

السُّلَيْمَةُ النُّورَانِيَّةُ



التَّزْيِينَةُ الرَّبَّانِيَّةُ



التَّزْيِينَةُ وَالسُّلَاوِيَّةُ



الخطبة
الجمعة

السلسلة النورانية
في

التربية الربانية
١٤٢٨

التربية والسلوك
١٤٢٨

لفضيلة الإمام العلامة
فور الدين
علي جمعة
مفتي الديار المصرية

الإمام
العلم

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر

www.alimamalallama.com

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
لشركة الوايل الصيِّب
للإنتاج والتوزيع والنشر

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٢٢٣٠

الترقيم الدولي I.S.BN

X-١٠-٦٢١٤-٩٧٧

**الإمام
الصالح**

الوايل الصيِّب للإنتاج والتوزيع والنشر

٧٠٤٧ شارع ١٧ - المقطم - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٥٠٨٧٣٨٣ - ٢٠٢ + - ٢٥٠٧٦١٤٥ - ٢٠٢ +

E-Mail:Info@Alwabell.com

www.alwabell.com

www.alimamalallama.com

www.alimamalallama.com





مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذه سلسلة من خطب العلامة الإمام / علي جمعة تناول فيها فضيلته قضية هي
من أهم القضايا، وهي قضية التربية، حيث إنها أساس بناء فقه المعاملة - مع الله ﷻ ومع
رسول الله ﷺ ومع المسلمين ومع غير المسلمين ومع سائر مخلوقات الله تعالى - ومن
خلال هذه الخطب كان يضع الأصول التربوية لنموذج المسلم الكامل الصالح المصلح
والذي يثبت أمام الفتن ويرسخ أمام الشبهات بل يُثَبِّتُ وَيُرْسِخُ من حوله، ومثل هؤلاء
هم الذين ينصلح عليهم أمر الدنيا؛ حيث إنها لا تنصلح إلا على يد طلاب الآخرة،
وَتُوَجَّهُ بهم المههم إلى الدرجات العالية في محالّ رضوان الرب تبارك وتعالى وجناته.

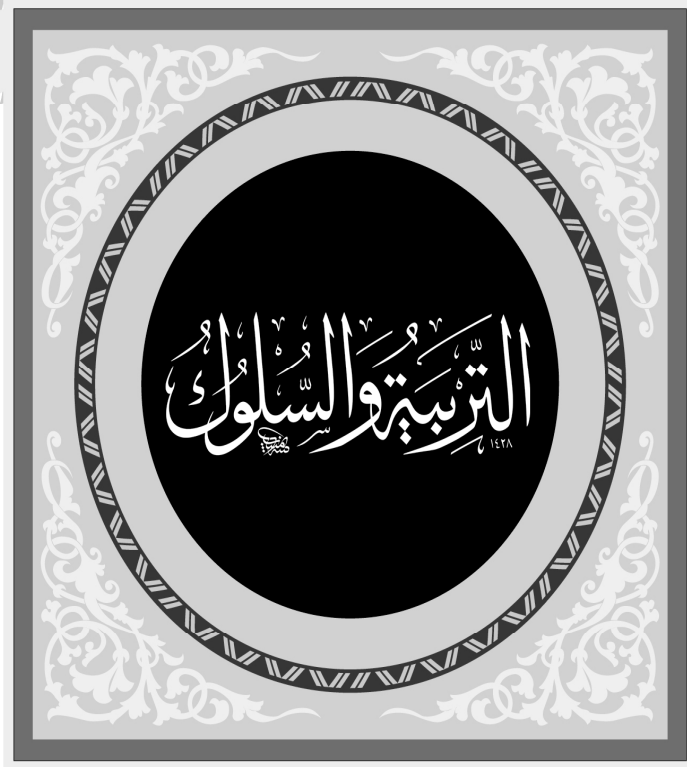
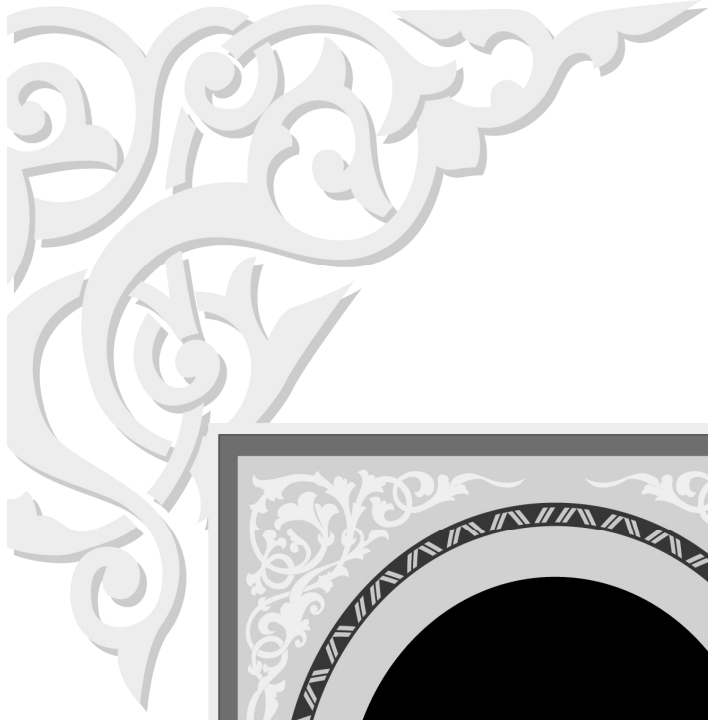
ونرى في هذه السلسلة أنها قد ترجمت قيم الإسلام ومعاني الإيمان إلى حياة يحياها
المسلم في معاملاته ومعاشراته وأخلاقه، ووضعت له الموازين والضوابط التي يتعامل بها
مع الكون من حوله.

فنسأل الله جل في علاه أن يبارك في هذا العمل وأن نراه مطبقاً بيننا، وتنشأ على
أساسه المؤسسات التربوية من مسجد ومدرسة وبيت... إلخ؛ حتى ننقذ أمتنا من أسباب
الانحراف والفساد التي انتشرت وعمت، وننقذ شبابنا مما هم فيه من تيه لا يجدون من
يأخذ بأيديهم إلى الله ﷻ، ولا يقوم بهذا الأمر إلا من سلك طريق الحبيب ﷺ واتبع هديه
وسار على سنته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الناشر







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله .. نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه..؛

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ونبيه ووصييه وحيييه؛ بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح للأمة وكشف الغمّة وجاهد في سبيل الله، وتركنا على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها؛ لا يزيغ عنها إلا هالك... صلى الله وسلم عليك يا سيدي يا رسول الله.. ما ذكرك الذّاكرون، وغفل عنك الغافلون..

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِيهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِمُ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣)...

أما بعد..؛

فإن أصدق الحديث كتاب الله.. وخير الهدي هدي سيدنا محمد رسول الله.. وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة...

عباد الله

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٠-٧١.



عبادة الرحمن

من أفكار الخطبة

- ١ (خواص الرحمن؛ وبنوره يمشون؛ فهم على قدم نبيهم رحمة الله للعالمين ﷺ.
- ٢ (حمدوه على نعمة الرحمة ففروا برحمته إلى رحمته، لنعمه شاكرون، وبذكره قائلون.
- ٣ (عرفنا ربنا ﷻ بصفاتهم التي بها تحققوا، وفيها ارتقوا حتى نعرفهم، وبهم نعرف جوهر الرسالة، وروح الشريعة.
- ٤ (خمس عشرة صفة تتأملها وتتخلق بها حتى تكون عبداً ربانياً رحمانياً قادراً على تحمل الدعوة التي هي رحمة للعالمين.
- ٥ (للمتقين إماماً؛ رفعوا العبادة مقامها وعمروا الأرض على مراده ﷻ؛ على قلب رجل واحد، قبلتهم واحدة، ووجهتهم واحدة، وإليهم يؤم المتقون.
- ٦ (نفسٌ عظيمة من غير كبر.. كريمة من غير سرف.. رحيمة من غير ضعف.. قوية من غير قسوة.. نفسٌ ربّاه رسول الله ﷺ فكانت من عباد الرحمن.
- ٧ (هكذا رسول الله ﷺ - الذي كان خُلِقَ القرآن - ربّي أمة جاهلية يأكلون ما يعبدون، ويقتلون ما ينسلون! حتى كان منهم هذه الروح العالية الفياضة.
- ٨ (بما صبروا..! إذا مد أحدهم يده إلى السماء: «يا رب» - اهتز له الكون.
- ٩ (جوهر الدعوة: (الإنسان المسلم) الذي هو عبد الله تعالى من عباد الرحمن.
- ١٠ (يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة..!





عباد الرحمن

فإن الله ﷻ قد ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١) وليبلغه إلى العالمين وجعله خاتماً للأنبياء والمرسلين، واصطفانا فجعلنا خير أمة أخرجت للناس نحمل الدعوة عن سيد المرسلين إلى يوم الدين؛ يأمره ربه فيقول:

﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، وجعل دين الإسلام ناسخاً لما قبله من الأديان، وجعل القرآن مهيمناً على ما بين أيديهم من الكتب؛ قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).
حُكِّمْنَا الرِّسَالَةَ.. فما هي صفات عباد الرحمن الذين حملوها؟ وما هو جوهر الرسالة التي كلفنا بأن نحملها إلى العالمين؟

ربنا يتكلم عن حزب الله وعن حزب الشيطان.. وعن حزب الرحمن وعن حزب الأبالسة؛ يقول في أولئك الذين رفعوا عبادة الله مقامها.. يقول في أولئك الذين عمَّروا الأرض كما أراد الله وعلى مراد الله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾^(٥)، وهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: خواصَّ الرحمن^(٥)؛ نسبهم إلى اسمه (الرحمن) وخصهم به، وبه وبنوره يمشون في الناس، فهم أعرف الناس بالحق وأرحمهم بالخلق، هم الراحمون يرحمهم الرحمن ويعاملون من في

(١) سورة التوبة، آية: ٣٣.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٠٦.

(٥) جزء في تفسير ابن عباس / سورة الفرقان، الآية: ٦٣.



الأرض بالرحمة، وهم السائرون على قدم نبيهم ﷺ الذي أرسله ربه رحمة للعالمين.. عرفنا ربنا ﷻ بصفاتهم التي بها تحققوا، وفيها ارتقوا حتى نعرفهم وأمرنا فقال: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾^(١).. عدد لهم خمس عشرة صفة إلى نهاية سورة الفرقان، تتأملها أيها المسلم وتتخلق بها حتى تكون عبدًا ربانيًا رحاميًا قادرًا على تحمل الدعوة للعالمين، حتى تكون مرضيًا عنك من رب العالمين، حتى تكون حقيقًا بأن تمد يدك إلى السماء: يا رب يا رب؛ فيستجيب الله لك..

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾^(٢) لا يمشون على الأرض طغيانًا وتجبرًا، ولكن مشيهم بالسكينة والوقار، والتواضع والخشية.. يمشون على الأرض وهم يدركون أنها تسبح لله، يمشون على الأرض وفي قلوبهم حب لعباد الله الإنسان قبل الحيوان، والحيوان قبل الأكوان ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ تترقق الرحمة في قلوبهم، يتعاملون مع الكون وكأنه حي مدرك، ويتعاملون معه برفق.

عبد من عباد الرحمن؛ يمشي على الأرض هونًا، ويعتذر لخلق الله، ويقدر حالهم من الجهل والجهالة ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ يسلمون من الناس، ويسلم الناس منهم بصبرهم وحلمهم؛ فلا يعتدون عليهم بمثل ما يعتدي عليهم بل إنهم يصبرون لله وباللهم، وفي أواخر السورة يبين الله لنا أجر الصابرين وجزاء من تحمل ألم الصبر، يصبرون لله رب العالمين وهم قادرين على الرد، وقادرون على رد العدوان بالعدوان، بل إنه قد أبيض لهم ذلك، ولكن الله رقى حالهم، وجعل الصبر أحلى وأعلى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣) خاطبهم بالجهل بشأنهم وما هم عليه، أو بالجهالة عليهم والتطاول في الخطاب، إلا أنهم لا يواجهونهم إلا بالسلام، فالقول السلام يشمل الفعل السلام، فهم - رحمة بهم - يلمون عليهم، وكأنهم يسدون عليهم موارد

(١) سورة لقمان، آية: ١٥.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣.



الفساد، وكأنهم يسدون عليهم موارد النزاع والخصام؛ فإن النزاع والخصام لا يكون معه استقرار، وإذا لم يكن هناك استقرار لا يكون هناك أمن، وإذا كان هناك اضطراب وانعدام أمن فإن الإيمان في خطر، يفهم المؤمن ذلك عن ربه في طوال القرآن وعرضه، ويقول لمن سابه أو لاعنه أو تفاحش عليه من خلق الله مسلمهم وكافرهم - وقد رأى الجهالة في تصرفه ورأى الخروج عن دائرة المعقول في فعله وسلوكه - ﴿سَلَمًا﴾ يدعوه ويذكره بالسلام، وهو اسم من أسماء الله تعالى..

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾^(١) يعلمون أنه «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٢)..

في ثلث الليل الأخير منحة إلهية، ونفحة صمدانية، حالة ربانية يستجيب الله للدعاء فيها، وما معنى في ثلث الليل الأخير؟ معناه أنه قد هجر فراشه لله، وترك لذته لله، وأنَّ حُبَّ الله في قلبه أعلى وأجلى وأكثر وأرجح من حب الحياة الدنيا..

امنح جفونك أن تذوق مناما * وذر الدموع على الحدود سجاما
واعلم بأنك ميتٌ ومحاسبٌ * يا من على سخط الجليل أقاما
لله قوم أخلصوا في حبه * فرضي بهم واختارهم خداما
قومٌ إذا جنَّ الظلام عليهم * باتوا هنالك سُجَّداً وقياما

من هذا شأنه كان قادراً على تحمل أعباء الرسالة إلى العالمين، ومن ضبط نفسه هكذا حال الغضب مع الآخرين فقد عرف دوره في الحياة الدنيا، وعرف معنى عالمية الإسلام، وأدرك معنى الدعوة ومعنى تبليغها.

إنه ناصح صافي السريرة يعرف كيف يفهم عن ربه ما يقول له، ويعرف كيف

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٤.

(٢) صحيح البخاري/ الدعوات-٦١٧٦.



يخاطبه.. ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(١)
فيه عُرْمٌ وضياع وهلاك لازم ثابت..

يا رب سلِّم سلِّم: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٢) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرًّا وَمُقَامًا^(٣)
تذكروا أنه يستعيد من عذاب الله وعقابه وسخطه، ويرى في هذه جهنم، ويرى أنها
سَاءت مُسْتَقْرًّا وَمُقَامًا، في مقابلتها الجنة ورضا الله ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقْرًّا وَمُقَامًا﴾^(٣) كما
سنرى في آخر السورة. هذا هو سخط الله وهذا هو رضوان الله، والعاقل عليه أن يختار،
ولذلك كان الكفار ضالين ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(٤) وإنه ليس من العقل
أن يختار الإنسان سخط ربه على رضوانه، ولا ناره على جنته، ولا عذابه على ثوابه، هو
مغفل والكفار مغفلون، هو غافل والكفار كذلك في غفلة عن ربهم وحجاب.. ﴿فِي
غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾^(٥).

ومهمة المسلم الذي هو من عباد الرحمن أن يزيل الحجاب بين الإنسان وبين ربه،
وأن يدل ويرشد والهداية بيد الله؛ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ﴾^(٦)، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرًّا وَمُقَامًا﴾^(٧).

المسلم معتدل: عنده ميزان، والميزان يمثل عنده الحكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ
فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٨)، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٥ .

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٥-٦٦ .

(٣) سورة الفرقان، آية: ٧٦ .

(٤) سورة الفرقان، آية: ٤٤ .

(٥) سورة الذاريات، آية: ١١ .

(٦) سورة القصص، آية: ٥٦ .

(٧) سورة الفرقان، آية: ٦٦ .

(٨) سورة البقرة، آية: ٢٦٩ .



ذَلِكَ قَوْمًا^(١) لَمْ يَحْشُرُوا مَعَ الْمُتْرَفِينَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ^(٢) وَلَمْ يَحْشُرْ مَعَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَتَبُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاصْتَوَتْ جَنُوبَهُمْ بِهَا فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَأ..؛ إِنَّهُ مَعْطَاءٌ بِأَذْلِ كَرِيمٍ فِي غَيْرِ سُرْفٍ، إِنَّهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَلَا يَسْرِفُ ﴿إِنَّهُ لَا تَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣).

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٤) هُمْ يَقْتُلُونَ إِنَّمَا عِنْدَمَا يَكُونُ فِي الْقَتْلِ دَرَّةٌ لِلْقَتْلِ، وَعِنْدَمَا يَكُونُ فِي الْقَتْلِ نَفِي

لِلْقَتْلِ؛ عِنْدَمَا يَكُونُ فِيهِ الْحَيَاةُ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾^(٥).

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ بل يتزوجون؛ أُبِيحَ لَكُمْ -بِشَرَطِ الطَّوْلِ وَالْعَدْلِ- وَاحِدَةٌ وَالثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثَةُ وَالرَّابِعَةُ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ الزَّانَا ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ وَتِلْكَ زُرِّيَعٌ﴾^(٦)؛ أَمَا الزَّانَا ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٧) وَحَرَّمَهُ اللَّهُ مِنْ بَدَايَتِهِ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ فِي الْقُرْآنِ بِطَوْلِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الزَّانَا، بَلْ جَعَلَ التَّحْرِيمَ حَتَّى مِنْ النِّظَرَةِ الْأُولَى وَمِنْ الْكَلَامِ بِغَيْرِ الْمَعْرُوفِ، وَمِنْ الْخُلُوةِ وَاللَّمْسِ؛ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مَقْدَمَاتٍ لِلزَّانَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَرَامًا..

﴿وَلَا يَزْنُونَ^٥ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٧﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَيَحْتَدُّ فِيهِ مَهَانًا ﴿٦٨﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(٨) يجعل هذه السيئات تتحول بتغيير بيئتها إلى حسنات يوم

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٢) سورة الواقعة، آية: ٤٥-٤٦.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٩.

(٦) سورة النساء، آية: ٣.

(٧) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٨) سورة الفرقان، آية: ٦٨-٧٠.



القيامة، ويفهم هذا عن ربه من فتح الله عليه، ونمر هنا بها مرور الكرام لدقتها، ولكن فضل الله كبير، ورحمة الله واسعة؛ فتدبروا وتأملوا كتاب ربكم وعيشوا في ظلاله فظلاله وافرة.. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾^(١) فعبر بالمفعول المطلق للتأكيد، فالمفعول المطلق يبين الحقيقة وينفي المجاز، ويؤكد المصدر مرة بعد أخرى، فاستعمله ربنا هنا؛ فيقول: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ لم يسكت؛ قال جل في علاه: ﴿مَتَابًا﴾ أي قبول حقيقي لها، أي توبة نصوحًا مقبولة على حقيقتها، وليس فيها أي نوع من أنواع المجاز، ومؤكدة.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾^(٢) فما الذي شاع في الناس الآن؟ على حد إخبار النبي المصطفى والحبیب المجتبی ﷺ في علامات آخر الزمان «يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا»^(٣)، وَيَشْهَدُونَ بِالزُّورِ، وشهادة الزور ظاهرها جميل - زُورٌ في لغة العرب: جَمَلٌ وَحَسَنٌ وباطنه قبيح؛ فهو كذب - ورسول الله ﷺ يعظم علينا الكذب فيقول فيما أخرجه مالك في موطئه، عن صفوان بن سليم، أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا؟ فَقَالَ: «لَا»!..^(٤).. وشهادة الزور من الكذب، وقد شاع الكذب في الناس...؟

كيف يحمل الكذاب دعوة ربه إلى العالمين؟! كيف يحمل شاهد الزور - بشهادته هذه - دين ربنا وهو صدق كله؟! وهو دين جاء ونعى على الأمم السابقة الكذب والتخريف والتخريف الذي أحدثوه في أديانهم وكتبهم وعقائدهم!! لا يتسق ذلك

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٠ - ٧١.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٧٢.

(٣) من حديث رواه مسلم / فضائل الصحابة - ٦٤٢٥.

(٤) موطأ مالك / باب الصدق والكذب - ١٨٤٢.



ولا يكون؛ والأمر أمر هداية من عند الله، والأمر أمر توفيق من عند الله ﷻ للعبد
﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(١)..

﴿وَأِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.. انظر إلى تلك النفسية الراقية النبيلة التقية النقية؛
يمر باللغو فلا يندرج فيه، يراه أمامه ويسمعه بأذنيه ولكنه لا يُستدرج إليه..

نفس عظيمة من غير كبر، نفس كريمة من غير سرف، نفس رحيمة من غير ضعف،
نفس قوية من غير قسوة نفس ربّاه رسول الله ﷺ فكانت من عباد الرحمن، وعباد
الرحمن إذا مد أحدهم يده إلى السماء وهي قبلة الدعاء: (يا رب) - اهتز له الكون، هكذا
ربّي رسول الله ﷺ بقرآن ربه، وبكريم خلقه، بتربية ربنا ﷺ له، ربّي أمة جاهلية كانوا
يأكلون ما يعبدون، ويقتلون ما ينسلون! أمة لا يمكن أن يتصور أحد من العالمين أن
يتحول الشاب الفذ من أعرابهم إلى نبيلٍ له هذه الروح الفياضة العالية، وله هذا الخلق
القويم، لا يتصور أحد أبدًا أن يتم ذلك وإنما نتصوره لأنه تم من رب العالمين، ويجعل
الله وحده، ولإرساله هذا الرسول الكريم الذي استوفى الأمر كله وكان إنسانًا كاملاً
يُحتذى؛ فصلّي الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٢) وَالَّذِينَ إِذَا
ذُكِّرُوا بِبَآئِتٍ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا^(٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا
مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ^(٤) وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا^(٥) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ
بِمَا صَبَرُوا^(٦)..

قال الحسن رضي الله عنه: «كنت والله إذا رأيتهم قومًا كأنهم رأيتهم في عين. والله ما كانوا بأهل
جدل وباطل، ولكن جاءهم من الله أمر فصدقوا به، فنعتهم الله في القرآن أحسن نعت،

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٢ .

(٢) سورة الفرقان، آية: ٧٢-٧٥ .



لأمرٍ ما سهر ليلهم، ولأمرٍ ما خشع نهارهم.. صدق القوم. والله الذي لا إله إلا هو فعلوا ولم يتمنوا. فإياكم وهذه الأمانى يرحمكم الله! فإن الله لم يعط عبداً بالمنية خيراً في الدنيا والآخرة قط». وكان يقول: «يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة»!

كأن هذه التكاليف تحتاج إلى تربية وتحتاج إلى صبر، كأن هذه التكاليف تحتاج إلى حبس النفس، كأن هذه التكاليف تحتاج إلى تغيير المعتاد.. ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾^(١) كما كانوا يقولونه في الحياة الدنيا للجاهلين تقوله الملائكة لهم في الجنة... ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾^(٢) في مقابلة ما تعوذوا به من الإساءة في المستقر والمقام من جهنم أعادنا الله وإياكم حرها ومنظرها ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾^(٣)..

فادعوا ربكم عسى أن يفتح علينا فتوح العارفين به.



الحمد لله رب السموات والأرض وما بينهما حمداً كثيراً طيباً طاهراً مباركاً فيه، ملء السموات والأرض وما بينهما، وأشهد ألا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله؛ اللهم صل على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته ومن اتبع هداه إلى يوم نلقاك ونلقاه. أما بعد...

فيا عباد الله هذا جزء من جوهر الدعوة الإسلامية (الإنسان المسلم) الذي هو

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٥ .

(٢) سورة الفرقان، آية: ٧٦ .

(٣) سورة الفرقان، آية: ٧٧ .

عبد الله تعالى من عباد الرحمن، هذا الإنسان المسلم يعلمنا رسول الله ﷺ كيف يكون.
وكيف نبداً؟ فقال: «ابداً بنفسك»^(١)..

فابدأ بنفسك ولا تنظر القذاة في عين أخيك وتترك جذع النخلة في عينك..

واشتغل بعيوبك.. وغير نفسك وجدد إيمانك..

وتهباً لأن تكون مسلماً داعياً إلى الله، إما بقالك وإما بحالك..؛ «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ
آيَةً»^(٢)..

وتعامل مع الرحمن ﷻ على أنه يحبك، وعلى أنه وفقك لشيء قد حُرّمه الكثير..؛

فقل الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من عباده.



(١) رواه مسلم/ الزكاة-٩٩٧.

(٢) رواه البخاري/ الأنبياء-٣٣٨٦.



مَنْ صَلَّى الليلَ لا يفوته الفجرُ..!

من أفكار الخطبة

- ١ (التفتوا إلى (الإنسان) ظاهرا كقطعة لحم، وباطنا كنفس أمارة بالسوء!
- ٢ (النفس الحيوانية حقيقة، فهل نسلم لها! النفس الإنسانية شأنٌ آخر عزيز.
- ٣ (هو مولاهما فزكاها، وطمأنها وهدأها، وألهمها تقواها؛ رضيت وأرضاها.
- ٤ (المؤمن صاحب قضية وأحب الأسماء وأصدقها ما يذكرنا بالقضية.
- ٥ (يسير المؤمن وهو يتذكر رسالته في الأرض وأنه مكلف، ويسير الكافر لا يؤمن بإله ولا بقضية فلا يرى إلا نفسه ولا يعبد إلا هواه.
- ٦ (اعرف نفسك ولا تظلمها.. ولنبدأ من الليل.. بصلاة الليل..!
- ٧ (اشتد الظلام فسלטوا من كنانتك سهام الدعاء.. واقصدوا في مشيكم.
- ٨ (من صلى الليل لا يفوته الفجر، فكان في ذمة الله..؛ فهلا وعيناها!
- ٩ (بابٌ من ورائه النور والجمال، والراحة والطمأنينة.. ألا فاستفتحوا بسم الله.
- ١٠ (الأمارة بالسوء ستكون لوامة.. راضية مرضية.. مطمئنة كاملة في سيرها إلى الله بعد ذلك. وقد أفلح من زكاها.





مَنْ صَلَّى اللَّيْلَ لَا يَفُوتُهُ الْفَجْرُ..!

قالوا في النفس البشرية ونظروا..

وجعلوا لها علمًا يدرسها على أساس المادة فقط..!

لا علاقة له بوحى الرب ﷻ، ولا علاقة لسه بأخلاقٍ من ميراث النبوة، ولا علاقة له بالإنسان الذي جعله الله خليفةً له في الأرض ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)... نسوا هذا كله...؟

والفتوا من (الإنسان) إلى: المادة.. قطعة اللحم التي أمامهم..

إلى النفس الأمانة بالسوء ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(٢) نظروا إلى هذه النفس الأمانة بالسوء... وكفى!

ولكن المسلمون ينظرون نظرة أخرى ليست كنظرة هؤلاء.

هؤلاء بنوا الخطاب مع الإنسان من خلال نفسه الأمانة بالسوء، حتى قال فرويد: إن كل تصرفات (الإنسان) تنشأ من غريزته الجنسية! نعم النفس الأمانة بالسوء فيها هذا الجانب، ولكن...

من الذي قال لك أيها الملحد في البداية أن (الإنسان) ينبغي أن يُسلم نفسه لهذا..! لشهواته وشهوات قلبه وكبره وغرائزه يفعل فيها ما يشاء، وحتى لا يكتب فإن عليه أن يرتكب ما أسماه ربنا بالمعاصي، وأن يتعدى حدود الله لأنه لا يرى في الكون إلا نفسه؟!

نعم كل هذا الكلام صدق في حدود النفس الأمانة بالسوء، ولكن ربنا ﷻ أرادنا أن نخرج عن اتباع هذه الشهوات وألا نميل ميلاً عظيماً؛ فرسم لنا نفساً أخرى:

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة يوسف، آية: ٥٣.



﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٣٠﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٣١﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٣٢﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٣﴾﴾^(١).

النفس الراضية المرضية التي يصل بها الرضا عن ربها، وعمّا أقامها فيه من خير وعمّا أقامها فيه من وظيفة- رضيت عن الله فاطمأنت..

فما صفات هذه النفس؟

انظر..؛ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾^(٢) وليس عباد الشيطان، وليس الذي اتخذ إلهه هواه ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِينًا ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٣٧﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٣٨﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣٩﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٤٣﴾ أُولَٰئِكَ نُجْزِيهِمُ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴿٤٤﴾﴾^(٣) حسبوا أنفسهم عن الشهوات.. ساروا في طريق الله إلى المثال المبتغى الذي سمعناه الآن ﴿صَبَرُوا﴾ ﴿أُولَٰئِكَ نُجْزِيهِمُ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٤٥﴾﴾

(١) سورة الفجر، آية: ٢٧-٣٠.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣-٧٥.



خَلْدِينَ فِيهَا حَسُنْتَ مُسْتَقْرًا وَمَقَامًا ﴿٧٧﴾ قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٨﴾^(١).

هذه هي النفس المطمئنة التي تستحق أن تكون عابدة للرحمن.. هذه هي النفس المطمئنة التي إذا سارت في الأرض تعلم أن هذه الأرض من أجساد الناس عبر العصور؛ فالموت حقيقة؛ الله ﷻ خلق الموت والحياة ليبتلينا ويمتحننا أيُّنا أحسن عملاً..

صاح هذي قبورنا تملأ الرِّحْ * بَ فأين القبور من عهد عادِ
خَفُّ الوطأ! ما أرى أديم الأُر * ضٍ إلا من هذه الأجسادِ
يسير المؤمن وهو يتذكر رسالته في الأرض، وأنه مكلف ويسير الكافر لا يؤمن بإله ولا يؤمن بقضية فلا يرى إلا نفسه، يسير المؤمن هوناً في الأرض في قلبه تواضع، ولكن الكافر امتلاً كبيراً وعجباً بنفسه حتى ضل الطريق ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٧٨﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٧٩﴾^(٢).
هذا هو المؤمن يقول فيه رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ»^(٣) وحببة الخردل حبة خفيفة الوزن؛ حبة الشعير أو القمح تساوي نحو ٦٠٠٠ من حب الخردل؛ إذن حب الخردل هذا وزنه ضئيل، وإذا كان في قلبك هذا المقدار «مِثْقَالَ حَبَّةٍ حَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ» فإنك لا تدخل الجنة؛ فيظل المؤمن متواضعاً يخاف الكبر والتكبر على أمر الله وعلى خلق الله، ويسير على الأرض وهو يعلم أنه صاحب رسالة، يسير على الأرض وهو يذكر الله ويذكر أنه ما خلق في هذه الأرض إلا للعبادة والعمارة، وأنه وهو يسير إنما هو رحمة من الله للعالمين؛ فلا يهلك حرتاً ولا يقتل طفلاً ولا يعتدي على ضعيف، ولا يصدر منه إلا كل ما يتوجه به إلى الله ويأتمر به بأمر الله..
هذا هو عبد الرحمن، والنبى ﷺ حتى حينما يذكرنا بتسمية أولادنا يقول: «..وَأَحَبُّ

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٥-٧٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٧-٣٨.

(٣) الطبراني/ مسند الشاميين- ٦٢.



الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عِبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَوَمْرَةٌ»^(١)
 يريد المؤمن أن يكون عبداً لله، وعبداً للرحمن، وأن يحترث في هذه الأرض إيمانه بهمة؛
 فهذه هي الأسماء التي حتى إذا ما سمينا بها أولادنا تذكرنا القضية.
 المؤمن صاحب قضية.

هذه نفسه المطمئنة يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، ولا يقتل ولا يعتدي على الأعراض
 ولا على الأملاك، كل ذلك في خاصة نفسه..

سنرى فيما بعد حينما يعلمنا القرآن أسس الاجتماع البشري كيف أن هذه الصفات
 سيربطها بالآخرين، لكننا اليوم نتكلم عن النفس البشرية.. نفس الإنسان كيف تكون؟
 لا بد من الإيمان بالله ولا بد من البعد عن هذا الجو والبيئة التي تلوث نفس الإنسان،
 ولا بد من الدعاء.

ربنا يخاطب العالمين والعالم والجاهل في كل العصور بكل الألسنة، يرسم لنا برنامجاً
 بسيطاً نستطيع أن نحقق فيه ما أمر، وأول ذلك ﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ تَصَفَّهُ أَوْ أَنْقِصْ
 مِنْهُ قَلِيلًا ۖ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(٢) مفتاح تستطيع به وحده أن تقيم
 الإسلام كله في نفسك، وأن تصل إلى النفس المطمئنة..

﴿قُمْ اللَّيْلَ﴾ قبل الفجر.. استيقظ.. وما الذي يجعلك تستيقظ؟ إنك تريد الله..
 صل ركعتين واختمها بركعة للوتر.

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلَاةَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ أَوْتَرَ
 بِرُكْعَةٍ»^(٣).. صل بالليل فإن الليل صاحب القرآن، والليل فيه السكينة، وفي ثلثه الأخير
 ينزل ربنا ﷻ إلى السماء الدنيا فيقول: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٤)

(١) أبو داود/ تغيير الأسماء - ٤٩٤٦.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢-٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر - ٥٠٨٨.

(٤) سبق بتأمله ص ١٧.



فإنَّ اللهَ ﷻ يعطيك فرصة، وفي هذه الأوقات بركة، وهذه البركة تنزل فيها الأسرار والأَنْوَارُ؛ الأسرار التي تنبثق من قلبك لتعلم الأدب مع الله، والأَنْوَارُ التي تطمئن قلبك وتوجد البركة في حركاتك وسكناتك في يومك..

جَرَّبَ جَرَّبَ قِيَامَ اللَّيْلِ؛ فإنَّ اللهَ ينور به القلوب ويغفر به الذنوب.. جرب قيام الليل؛ فهو مفتاح بسيط ولكن الله ﷻ ذكره في سياق بناء شخصية عباد الرحمن، وأنت في قيام الليل كن خائفًا من الله.. خائفًا من عذابه.. ملتجئًا إليه ﷻ؛ فإنَّ هذا يجعلك تعيش في جوٍّ آخر غير الجو الذي يريدون أن نعيش فيه، فتكون نفسك لوامةً في بداية الأمر.. ثم لا تزال ترتقي حتى تصير راضية مرضية بعد ذلك.. مطمئنة في نهاية المطاف.. كاملة في سيرها إلى الله بعد ذلك.

أيها المؤمن.. هذه صفات عباد الرحمن تركوا المحرمات وفعلوا الخيرات.. هذه هي النفس البشرية التي أرادوا دسها في أمانة بالسوء ولا يريدون لها تزكية.. هذه النفس البشرية التي رحم ربي فرضي عنها وأرضاها.. إذن..؛
نقاوم ونصبر على ما قد جُبلنا عليه من توجه إلى الشر، ومن ميل إلى الشهوات
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَهْمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾^(١).

فينبغي علينا أن نكون من المزكين للنفس، وبداية ذلك صلاة الليل تُوقَّع فيها الدعاء فتلتجئ إلى الله..؛

ومن صلى الليل لا يفوته الفجر، ومن صلى الفجر كان في ذمة الله..!
كل هذه الأشياء تناساها كثير من الناس، واستيقظوا بعد فوات الأوان وبعد شروق الشمس، ولا يدرون كيف أن المسلم إذا استيقظ في تلك الساعة أصبحت نفسه وَخَمَةً^(٢) والشيطان قد ترصد له..! جربوا مع الله ما أمر الله به، وسترونه بابًا قد فُتح لكم.. فيه

(١) سورة الشمس، آية: ٧-١٠.

(٢) أي ثقيلة. لسان العرب/ وخم.



الجمال وفيه الراحة وفيه الطمأنينة، وهو سهل يشترك فيه كل أحد، ليس صعباً في فهمه، ولا في تطبيقه، ولا مستحيلاً في ذاته.

أيها المسلمون.. هكذا علمنا ربنا في بناء النفس، ولم يعلمنا أن نتبعها ونتبع هواها ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١) فاستغفروا ربكم...



الحمد لله حمد الشاكرين له، الواقفين على بابه حتى يرضى ويفتح علينا فتوح العارفين به، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ونبيه ووصفيه وحبيبه، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين؛ فصلّى الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله..
أما بعد؛ فيا عباد الله..

في هذا العصر النكد الذي تتوالى فيه الأحداث تترى - يحتاج المؤمن منا إلى نفسٍ راضية مرضية مطمئنة، يواجه بها هذا البحر بل البحار من الظلمات؛ الكيد هنا وهناك، وقلّة العقل وقلّة الحكمة التي قال فيها الله ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢) قد أصاب كثيراً من الناس، وفي كل يوم يأتون بما يثبط الهمم من القتل والتدمير والسخرية بمقدساتنا!

يريدون أن يحطموا نفسية المسلمين. وأنت في أشد الحاجة في هذه الأوقات إلى تقوية علاقتك مع ربك، وقيام الليل ليس بعيداً عن الأحداث التي نحن فيها؛ فسلطوا من سهام الدعاء في جوف الليل؛ «وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ

(١) سورة النساء، آية: ٦٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.



فَيَلْقَاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١)..؛

الدُّعَاءُ. الدُّعَاءُ..؛ الفعال لما يريد هو الله، والذي يحمي بيته هو الله..؛ نلجأ إليه كما
لجأ إليه عبد المطلب قال: هذه غنمي وإن للبيت رباً يحمي.

علينا أن نحسن العلاقة مع الله حتى نتقوى في السير في هذا العصر النكد، وحتى
نواجه هذا كله؛ لأنه رُكَّام^(٢) يُذهبه الله في لحظة، فندعو الله ﷻ ألا يجعل مصيبتنا في ديننا،
وألا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، وأن يجب إلينا يوم لقائه، وأن يجعلنا شهداء
في سبيله، وأن يجب إلينا هذا الأمر من الدين.. اللهم أحيينا مسلمين، وأماتنا مسلمين،
غير خزايا ولا مفتونين...



(١) رواه البزار والطبراني، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. يعتلجان: يتصارعان ويتدافعان. الترغيب
والترهيب/ الذكر والدعاء- ٢٥٣١.

(٢) من الرُّكْم، وهو جمع شيءٍ فوق آخر حتى يصير رُكَّامًا، وازتكم الشيء وتراكم: اجتمع فصار ركاما.
القاموس. ركم. وفي التنزيل: ﴿لِيَجْيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ
فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ الأنفال / ٣٧.



حين ينقلب الهرم..!

من أفكار الخطبة

- (١) النجاة النجاة.. الاعتصام بحبل الله..؛ فالفتن يرقق بعضها بعضا..!
- (٢) الإنسان سر الصلاح..، وانقلاب هرم الأولويات لدى الإنسان سر الفساد في الأرض.
- (٣) الإنجاز سبق الأخلاق، والنشاط سبق التفكير، والمصلحة سبقت الشريعة، والمنفعة واللذات سبقت عبادة الله ﷻ!!
- (٤) الناس ثلاثة: فاجر قوي، وعاجز تقى، ومؤمن كامل وفي..؛ فاختر لنفسك!
- (٥) بلاء يسبب الفساد: خروج من جوار الله إلى الكم، ومن حوله وقوته ﷻ حولنا وقوتنا.
- (٦) إن الله لا يحب أن يتقدم الفاجر القوي على العاجز التقى، ولا يحب من التقى أن يستمر على عجزه.
- (٧) «عاد» تريد الإنجاز قوة..! و«هود» يريد بقاء الإنجاز من خلال الإيمان قوة إلى قوة.
- (٨) علمنا الإسلام أن الجار قبل الدار، والكيف قبل الكم، والتقوى قبل الإنجاز.





حين ينقلب الهرم...!

فمع أسباب الفساد الذي شاع وذاع في عصرنا وظهر في البر والبحر والجو، ومع هداية ربنا وتوجيهه لنا أن يا عبادي اعبدوني على ما أردته لكم من سعادة الدارين؛ ما ترك لنا طريقاً يبلِّغنا إلى رضاه ﷻ وإلى الجنة إلا وقد أرشدنا رسول الله ﷺ، وما ترك لنا طريقاً يهوي بنا في النار وفي غضب الله - جل وعلا- في الدنيا والآخرة إلا حذرنا منه وأحدث لنا منه ذكراً، وتركنا ﷻ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

مع بعض أسباب الفساد الذي نراه، يتحير الحلِيم في إدراك أسبابه، والنبِي ﷺ يصف فتنة تعم الأمة فيقول: «.. فِتْنَةٌ تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا»^(١) يفكر حولها فلا يعرف قبيلها من دبرها...! يحاول أن يعلم أين هو منها فإذ به وكأنه في ظلمات بعضها فوق بعض..! فتنة كموج البحر كلما ظن الإنسان أنه خرج منها عاد فيها..! «وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرْفِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا. وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ. وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ..!»^(٢) فتنة يصبح الرجل فيها مؤمناً فيمسي كافراً، ويمسي مؤمناً فيصبح كافراً! «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(٣).

فالنجاة النجاة...! نريد أن نعتصم بحبل الله تعالى.

من أسباب الفساد غير ما قدمناه أن الإنجاز قد سبق الأخلاق والقيم، وأن النشاط قد سبق الفكر والتفكير والتدبير، وأن المصلحة قد سبقت الشريعة، وأن المنفعة واللذات ودفع الآلام قد سبق عبادة الله ﷻ...؛

فالناس على ثلاثة أنحاء: فاجر قوي، وعاجز تقي، ومؤمن كامل وفي..

أما الفاجر القوي فقد تمكّن اليوم من العالم وأصبح الإنجاز مقدّم على القيم

(١) من حديث رواه الترمذي/ الزهد- ٢٤٤٦.

(٢) صحيح مسلم/ الإمارة- ٤٧٣٢.

(٣) صحيح مسلم/ الإيثار- ٢٧٣.



والأخلاق...؛ يفتح الطفل الآن أمامه (الإنترنت) فتأتيه فضائح كليبتون: وكان رئيس أكبر دولة في العالم تدعي لنفسها السيادة على البشرية وعلى العالمين...! فضائحه لا تضر؛ لأنه مُنجز قد نجح في عمله أو في غالب عمله، وأفاد كما أريد له أن يفيد وهذا هو المهم!! فإذا يتعلم أولادنا من هذه القصة من غير كلام؟! يتعلمون أن يكون أحدهم قويًا حتى ولو كان فاجرًا؛ فلو أننا قارنا بين الفاجر القوي وبين العاجز التقي لتقدم الفاجر القوي وتأخر العاجز التقي، فكن أيها الشاب فاجرًا!

ولا تدع القوة! وإن كانت الوسيلة لاستدراك هذه القوة هي الفجر والخروج عن الدين وعن الأخلاق.. فاترك الدين والأخلاق ونحها بسرعة وبقرار حازم وإياك أن تتدين! وإياك أن تتمسك بالخلق القويم! وإياك أن تذكر قضية العيب أبدًا.. عليك بأن تكون قويًا كيفما اتفق!!

تربية الله ورسوله لنا على غير هذا الشأن؛ يرينا رسول الله ﷺ أن نكون أقوياء، والعاجز منا نأخذ بيده ويقول: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» ولا يسكت وإنما يقول: «وَفِي كُلِّ خَيْرٍ»^(١)..

فالمؤمن القوي الوفي الكامل مقدم على العاجز التقي.. والعاجز التقي يتقواه مقدم على الفاجر القوي الذي عتب عليه الله ورسوله، وأراد هو أن يخرج عن حد قيادة البشرية والإنسانية في طريقها إلى الله، وفي طريقها لعمارة الكون. عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُخَيَّرُ فِيهِ الرَّجُلُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْفُجُورِ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَلْيَخْتَرْ الْعَجْزَ عَلَى الْفُجُورِ»^(٢).

هذه هي أسس التربية أننا نأمر أولادنا بالقوة مع التقوى، ونريهم على هذه القوة وأن «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»، و(خير) كلمة تعني أفعال التفضيل أي (أخير) وأفعال التفضيل يقتضي مشاركة الأمرين؛ هذا أحسن من هذا؛ أي أن كلاهما حسن

(١) صحيح مسلم/ القدر- ٦٧٢٥.

(٢) رواه أحمد، وأبو يعلى عن شيخ عن أبي هريرة، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد/ ١٢٢٤٣.



ولكن الحُسن في الأول أشد من الحُسن في الثاني؛ فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف..؛

ففي المؤمن الضعيف أيضًا خير، أما العاجز التقى فهو ملوم ومأمور أن يتوب.

اعتمدت مجتمعاتنا هذا المبدأ دون أن نشعر..! مبدأ الإنجاز كيفما اتفق، ومبدأ

الإنجاز يحدثنا عنه ربنا ﷺ في أحلى صورة يقول: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ

أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٩﴾﴾^(١) هود

يخاطب قومه حيثما كذبوه.. ماذا فعلت «عاد»؟ وماذا أراد هود عليه السلام؟!

«عاد» تريد الإنجاز قوةً...

و«هود» يريد بقاء الإنجاز من خلال الإيمان قوةً إلى قوة..؛

لأن الإنجاز من خلال الإيمان هو الذي سيبقى.. هو الذي سيبقى الإنسانية

للإنسان.. هو الذي سيؤدي ببني آدم إلى سعادة الدارين:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ

ءَايَةٍ تَعْبَثُونَ ﴿١٣٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٣٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٤٠﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿١٤٣﴾

وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٤﴾ أَمَدَّكُمْ بِنِعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا تَحْصَىٰ ﴿١٤٥﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٦﴾ فماذا كان ردهم؟ قالوا وتمسكوا بشرعية النظام.. تمسكوا بما قد ورثوه

وقرروه ولو كان مخالفاً لمراد الله ورسوله هود ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ

الْوَاعِظِينَ ﴿١٤٧﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٤٩﴾ فَكَذَّبُوهُ

فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ ﴿١٥٠﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ ﴿١٥٢﴾...؛ فهل دخلنا في دائرة عاد..!!

(١) سورة الشعراء، آية: ١٢٣-١٢٦.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٢٧-١٣٤.

(٣) سورة الشعراء، آية: ١٣٥.

(٤) سورة الشعراء، آية: ١٣٦-١٤٠.



نبني آيةً بكل ريع نعبث؛ إذ قد جعلنا الإنجاز قرين القوة وجعلنا العجز قرين التقوى، والله لا يحب أن يتقدم الفاجر القوي على العاجز التقى، ولا يحب من التقى أن يستمر على عجزه.

أيها المسلمون.. بلاء يسبب الفساد في الأرض: أن نخرج من جوار الله إلى الكم، وأن نخرج من جوار الله إلى حولنا وقوتنا.

سأل أحدهم أخاه عن مثل عربي صاغه الحكماء قالوا فيه: «الجار قبل الدار».. أورد هذا في كتاب ربنا؟ قال: نعم في شأن امرأة فرعون ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾^(١) فقالت: ﴿عِنْدَكَ بَيْتًا﴾ ولم تقل: (بيتاً عندك) فقدمت الجوار على الدار، ونحن قد أذن الله لنا في جواره في إسلامه، ومنّ علينا من غير حول ولا قوة بنعمة لا تعدلها نعمة أن أخرجنا من غير بحثٍ ولا تأنٍ منا مسلمين مؤمنين موحدتين فاهمين لكتابه ولسنة رسوله، ﴿وَنَجَّيْنَا مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) من الدوائر التي تحيط بها، وهي تؤمن بالله وتذكره ليل نهار؛ فضرب الله بها مثلاً للذين آمنوا.

الجار قبل الدار، والكيف قبل الكم، والتقوى قبل الإنجاز...، وإن كانت الدار الوسيعة مطلوبة؛ فمن سعادة ابن آدم - كما ورد في الحديث الشريف - «المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمزكّب الهنيء»^(٣)، الدار الوسيعة نعمة من نعم الله، ولكن الجار قبل الدار.

أيها المسلمون.. تأملوا في قصص الأنبياء من قبلنا.. تأملوا في هداية ربنا لنا إلى الطريق القويم، واعلموا أنه كلما فرطنا في مقدار معين من هداية ربنا، كلما شاع الفساد وذاع في عصرنا وبلادنا وبلاد الناس أجمعين.. وادعوا ربكم.



(١) سورة التحريم، آية: ١١.

(٢) سورة التحريم، آية: ١١.

(٣) ابن حبان في صحيحه/ باب الهدى - ٣٩٦٦.



من أفكار الخطبة

- (١) الرزق حلال وحرام، والنعمة في ابتغاء الحلال واجتناب الحرام.
- (٢) افهم معالم الحلال والحرام في الموارد والمصارف واحذر اتباع خطوات الشيطان.
- (٣) تقتير هنا، وإسراف هناك!.. أَبْتَرُّ مَعَطَّلَةً.. وَقَصْرٌ مَشِيدٌ..!!؟
- (٤) حرروا أرزاقكم؛ فياسعد من أطاب مطعمه، واستجيب دعوته!..!



يا سعد..! أظب مطعمك

فقد شاع الحرام في أوساط الناس، والرزق عند أهل السنة يطلق على الحلال وعلى الحرام؛ فالله ﷻ هو الذي يرزق الخلق، ومن هذا الرزق ما هو حلال ومنه ما هو حرام، ولقد أمرنا ربنا ﷻ بالتماس الحلال في المكاسب وأمرنا ربنا ﷻ باجتنب الحرام في المكاسب، وكل من عند الله إلا أن هذا فيه نعمة الابتغاء والطلب والسعي من أجل تحصيله، وهذا فيه نعمة الاجتناب والترك من أجل الله ﷻ؛ فالله خلق الحلال والحرام، ورزق الناس الحلال والحرام؛ حتى يقوم المؤمن بوظيفته التي أمره الله بها أو نهاه عنها، حتى ينال المؤمن الثواب الجزيل إذا ما هو طلب الحلال، وينال الثواب الجزيل إذا ما هو ابتعد عن الحرام، ومن أجل ذلك كان الحلال والحرام نعمة من عند الله؛ لأن المؤمن سيثاب في كل من الطرفين؛ هذا في ابتغائه وتحصيله...، وهذا في البعد عنه والترك له.

ربنا ﷻ يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾^(١) فيخاطب المؤمن والكافر ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ والذي في الأرض قد أتاحه الله لنا، وهو في متناول أيدينا لكننا يمكن أن نجعله رزقاً طيباً حلالاً حسناً بتحصيله من وجهه على مراد ربنا وأوامره ويمكن أن نجعله رزقاً خبيثاً حراماً يغضب عليه الله ورسوله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيْباً﴾ أي أن الذي في الأرض منه الحلال ومنه الحرام.. منه الخنزير والميتة ومنه الطيبات من الأنعام، فجعل الله ﷻ معالم الحلال والحرام في قرآنه وسنة نبيه في دينه ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيْباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٣).

(١) سورة البقرة، آية: ١٦٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٨-١٦٩.



فلا بد عليك أيها المؤمن أن تفهم معالم الحلال والحرام في المكاسب، ومن الناس الآن من يتبع خطوات الشيطان، وإذا ما حصلوا شيئاً من الحرام أرادوا أن يغسلوه كما لو أن ذلك الغسيل يحوله إلى حلال، ويأبى الله الشيطانَ وخطواته، ويمنعنا الله ﷻ من التحايل والخداع عليه، ويبين لنا أن المجتمعات إذا ظلمت هذا الظلم المبین - تهلك، وأن صور الهلاك أن تعطل الحلال وأن نغمس في الترف.

من أنواع غسيل الأموال في الداخل والخارج أننا نعطل الموارد الحلال التي أمر الله بها، وأن نشيد القصور التي لا معنى لتشيدها، ونشيد البروج التي لا معنى لتشيدها، ونقيم هنا وهناك من أنواع الترف والسخف، ونعطل ما ينبغي أن يقوم بالناس، والله جعل لنا قياماً في أموالنا على السفهاء، إلا أن هؤلاء عندما يفعلون ذلك لا يفعلونه سفاهةً إنما يفعلونه عن عمدٍ وقصد لغسيل أموالهم الحرام، ووضعها في صور كثيرة لا تفيد ولا تغني الناس...؛ ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾^(١) انظر الهلاك سببه الظلم ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ نتاج للهلاك العروش والأسقف وقوعها على الأرض.. خَرَّت.. انهار المجتمع ﴿وَبِعْرِ مُعَطَّلٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ بئر فيها الماء وهو أساس حياة الإنسان والحيوان والنبات.. وما كان كذلك فهو معطل عند أولئك الظلمة، وقصر كان يكتفي ساكنه بكوخ يأويه من الحر والبرد والمطر..، لكنه شابهُ بالشيب وجَصَّصه بالجصِّ^(٢)، وحلاه وزينه على أبداع ما يكون، ومكَّن بنيانه بحيث جاء الهلاك فأبقى القصر على ما هو عليه؛ تذكرة لمن بعدهم بعد هلاكهم..! فالقصر لم يتأثر بالهلاك؛ فهو قصر ثابت مبذول فيه كل الجهد، وللأسف البئر معطلة...!

هذا مظهر الظلم..! مظهر الظلم أن نجد قرية من قرى الله ﷻ قد عطلت فيها أدوات الإنتاج وما ينفع الناس وما يعم خيره، وقد شيدت فيها قاعات الأفراح والليالي الملاح والقصور والاستراحات لعلية القوم بملايين الملايين، ونترك الشعب يأكل بعضه

(١) سورة الحج، آية: ٤٥.

(٢) شابهُ بالشيب: معناه: بيَّضه بالبياض، وجَصَّصه بالجصِّ (وهو الطلاء). لسان العرب/ شيب، جصص.



بعضاً، ولا نسد ما علينا لأولئك الذين بنوا وصنعوا وأدوا ما عليهم...! مظهر الظلم في تعطيل الموارد، وفي السفه في المصروفات (تقتير هنا وإسراف هناك)...! ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١) هذا الظلم سياتر عليه الجوع والخوف؛ لأننا لا نسير وراء سنة نبينا، ولا وراء أوامر ربنا ﷺ.

يقول ربنا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَّ اللَّهُ لِهَا لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢) بسبب صـنعهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٣) جاءهم العذاب بغتة.. جاءهم العذاب بسبب تكذيبهم لرسولهم، والتكذيب درجات منها الإصرار على عدم اتباع كلام النبي المصطفى والحبيب المجتبي وهو يقول للجميع: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»^(٤)، وفي رواية أحمد^(٥): «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وهو يقول لهم: «ارْزُقْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ ﷻ، وَارْزُقْ فِيهَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(٦)، وهو الذي كان لا يدخر سوى قوت عامه؛ فلا تمضي الشهور القليلة حتى لا يجد ولا أهل بيته شيئاً من القوت، وهو سيد المرسلين وحبيب رب العالمين وخاتم النبيين، وهو الشافع المشفع يوم القيامة، وهو إنسان عين البشرية أجمعين ﷺ أفلا يهتز قلب المؤمن إلى تقليده ﷺ ويعلم أن الترف لا خير فيه، وأن الظلم فيه خلل عظيم...! وإنما لا بد أن نشغل الناس، ولا بد علينا من أن يعملوا في بناء أساس المجتمع، وأنا ينبغي علينا أن نتقوى وأن نستعد للجهاد ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾^(٧) بدلاً من الإسراف هنا والتقتير هناك.

(١) سورة الأنعام، آية: ١٤١.

(٢) سورة النحل، آية: ١١٢.

(٣) سورة النحل، آية: ١١٣.

(٤) البخاري/ الرقاق - ٦٢٦٩.

(٥) في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - ٦١٤٠.

(٦) الحاكم في المستدرک/ الرقاق - ٧٩٤٥، وصححه.

(٧) سورة الأنفال، آية: ٦٠.



ربنا ﷻ يذكرنا أنه أنزل إلينا الوحي ليحيي قلوبنا كما يحيي الأرض الميتة ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

أنتم أيها الناس الذين تتخذون مما رزقكم الله به سكرًا ورزقًا حسنًا؛ السُّكْرُ حرام، وفي مقابلته ومغايرته الرزق الحسن؛ فاتخذوا طريق الرزق الحسن.
فلم من الله علينا بالسُّكْر؟ حتى نبعد عنه فننال ثوابه ﷻ.

أيها الناس.. لا بد أن تتحررّى الحلال، ولا بد أن تعلم أن الحلال له مورد وله مصرف، وأن الموارد والمصارف جميعًا ينبغي أن تلتزم فيها بشرع الله ﷻ، فإذا أنت كنت من هؤلاء كنت مستجاب الدعاء، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ. فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٣). ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ. أَشْعَثَ أَغْبَرَ. يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ. وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغَدْيِي بِالْحَرَامِ. فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟^(٤) إذا أردتم أن يستجيب الله دعاءكم فحرروا أرزاقكم..؛ «يا سعد! أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»^(٥).

فيا سعد من أطاب مطعمه.. واستجيبت دعوته..!

(١) سورة النحل، آية: ٦٥-٦٧.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٤) رواه مسلم / الزكاة- ٢٢٩٩.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط / ٦٦٤٠، وذكره النووي في شرح الأربعين- حديث ٤٣.



وأنكروا على أولئك الذين لا يباليون بالحلال والحرام، بعضهم الآن يأخذ أموال المخدرات التي تأتيها من الخارج ليغسلها لهم ويأخذ عمولة على ذلك «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا» والشيطان يسوّل له فعله هذا بكل طريق، وهذا كله حرام يأباه الله ورسوله والمؤمنون، ويوقع المجتمع في اختلال في تكوينه؛ حتى نصل إلى بئر معطله وقصر مشيد...! فيكون الظلم، ويتلو الظلم الملاك والإهلاك من بعد جوع وخوف؛ لعصياننا لربنا جلّ جلاله ومخالفتنا لسنة نبيه ﷺ.

فافهم أيها المسلم كيف تقرأ ما حولك من أحداث، وكيف تفهم كتاب ربك الذي نزل هداية للبشرية إلى يوم الدين، والله من وراء القصد، وادعوا ربكم لعلها أن تكون ساعة الإجابة...



الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء يا رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأتباعه وذريته إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه يا رب العالمين، وجازه عنا خير ما جازيت نبيًا عن أمته.

مدخلكم إلى ربكم العبادة، وهو ﷺ كفيلا بكم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(١).



(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦-٥٨.



ثق بالله ولا تخف

من أفكار الخطبة

- (١) الثقة بالله ديدن المؤمنين الصادقين وركن شديد، وصلة جليلة بين العبد وربّه.
- (٢) القصص القرآني بيان للسنن الإلهية الجارية، فيها من العبر والحكم ما يهديننا بنور الله في حياتنا أئماً وأفراداً.
- (٣) في قصص الأنبياء علامات على طريق من سار على دربهم واهتدى بهداهم.
- (٤) سيدنا موسى عليه السلام كان قويا في جميع خصاله، خائفا في كل مراحل تنقله..!
- (٥) الخوف ضد الأمن، وسمى الله سبحانه مواجهة العدو خوفاً، وكان العدو فرعون: عنوان الطغيان في الأرض.
- (٦) وفي سورة الأنعام آية هي قاعدة قرآنية بليغة عظيمة تبلغ نفوس المؤمنين وتُنشئ في قلوبهم الثقة بالله واليقين بنصره ﷻ.
- (٧) اجعلها دستوراً أمامك في مواجهة الأحداث، وتب إلى ربك، وطهر قلبك وانظر إلى الغيب من سترٍ رقيق واعلم أن الله ينصر من ينصره.
- (٨) ما نراه من الدول الكرتونية ومن الشخصيات الهشة هو القادر على إزالتها ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها.
- (٩) ثق بالله.. وسترى عجائب مقدوره في خلقه..!



ثِقْ بِاللَّهِ وَلَا تَخَفْ

الثقة بالله ﷻ دَيْدَنٌ^(١) المؤمنين، والثقة بالله ركن من أركان الإيمان، وصلة واضحة جلية بين العبد وربه، والثقة بالله تجعلنا نؤمن بما عند الله أكثر من تصديقنا بما بين أيدينا؛ لأن الله ﷻ فعَّال لما يريد، وهو على كل شيء قدير، وهو رب السماوات والأرض وما بينهما، وهو الذي خلقنا وأحيانا ويميتنا، وهو الذي رزقنا وهدانا إلى سواء الصراط المستقيم.

أيها الناس.. لا يدخلن على أحدٍ من المؤمنين شك في ربه؛ فإن الله ﷻ أنزل القرآن هدايةً للعالمين إلى يوم الدين، ويبيّن لنا فيه سنناً إلهيةً قد جرت عبر التاريخ لا من أجل أن نستمع إلى قصصٍ أو حكاية، بل من أجل أن نجعلها هداية ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾^(٢) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(٣).

الله ﷻ أنزل القرآن هدىً للمتقين وعمىً على الكافرين.. وربنا ﷻ يقص لنا قصة موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، حتى وكأنها قد شغلت أكثر من نصف القصص عن الأنبياء السابقين، فيها من العبر والحكم ما يهدينا بنور من الله في حياتنا، حياة الأفراد وحياة الأمة..، ومن هذه الهداية أنه ﷻ وصف موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- بأنه كان قويا.. كان قويا في كل شيء؛ وصف جسمه بالقوة وأخبر عن ذلك في قصة تعرفونها ملخصها قوله تعالى ﴿... رَجُلَيْنِ يَقَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾^(٤).

(١) الديدن: الدأب والعادة. لسان العرب/ ددن.

(٢) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٤) سورة القصص، آية: ١٥.



موسى ضرب عدوه ضربةً واحدة.. لا ليست ضربة بل هي وكزه فمات..! فأى قوة جسدية هذه! كلمات بليغات يبين لنا فيها ربنا قوة موسى ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ قتله.. مات.. إذن فموسى كان قوي الجسد، ثم ﴿فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾^(١).. مرة أخرى..؟

إذن..؟ فقد كان الناس يهتمون بموسى وبقوته..

أى نفسية تكون بداخل ذلك الجسد الذي يستطيع أن يهرب الآخرين بمجرد رؤيته؟! إنها نفسية قوية قادرة على إيقاع ما تريد بالناس وبمن حولها، يستطيع الحماية ويستطيع الغلبة...؟

إذن..؟ موسى نفسيته قوية..

وفي «مدين» استطاع أن يسقي لبنات شعيب مع رعاء الناس؛ فكأنه دخل بالبهاءم وسط الزحام فسقى لهما واستطاع ذلك.. موسى كان قوياً..

موسى هذا القوي كان قوي الإيمان، ومازلنا نقول عنه إلى الآن عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.. سيدنا موسى كليم الرحمن ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾^(٢) يعني تكليماً حقيقياً؛ فإن المصدر إذا استعمل في الكلام دل على الحقيقة ولم يقل «كلم الله موسى» وكفى، بل قال ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ فاستعمال المفعول المطلق والمصدر في لغة العرب للتأكيد والحقيقة؛ فموسى نجى الله، وكليم الله، والنبى ﷺ يجعله من أولي العزم من الرسل، والنبى ﷺ يخبر أننا عندما نخرج يوم القيامة يجد موسى متعلقاً بقوائم العرش، فيقول سيدنا ﷺ: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ

(١) سورة القصص، آية: ١٨.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٤.



بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعُرْشِ، فَلَا أَذْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أُمُّ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ^(١) فهل أحياه الله قبل النبي المصطفى والحبيب المجتبي، قبل سيد ولد آدم -عليه الصلاة والسلام- أم أن الله كفاه بالصعقة التي صعقها على الجبل؛ فلم يصعق مع من يصعقون يوم القيامة.

إذن نبي الله موسى كان قوياً في الظاهر وكان قوياً في الباطن.. هذه هي صورة موسى في القرآن الكريم، ولكننا...

نرى أنه كان خائفاً في كل مراحل حياته ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾^(٢) بعد القتل ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾^(٣) بعد التحذير، وهو يعود، وفي كلامه مع رب العالمين..؛ وكان موسى يأنس بالكلام مع رب العالمين، ومن من البشر لا يأنس بالكلام معه ﷺ؟! حتى قال أهل الله: إنه طول في الحديث مع الله ﷻ استثناساً بكلام الله.. إذن موسى في المعية العظمى ومؤيد بتأييد الله.

﴿وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٤) فما هذا الخوف الشديد!

ربنا يخبر عن موسى أنه خائف في كل مراحل التنقل وخائف من كل شيء..

﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٥) وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي^(٦) إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ^(٧)..

وإذ به -وبعد كل تأييد الله له- يأتي في وسط الناس، وفي وسط السحرة فيخاف! ويقول ربه: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٨) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى^(٩).

(١) البخاري/ الأنبياء- ٣٣٢٨.

(٢) سورة القصص، آية: ١٨.

(٣) سورة القصص، آية: ٢١.

(٤) سورة الشعراء، آية: ١٤.

(٥) سورة القصص، آية: ٣٣-٣٤.

(٦) سورة طه، آية: ٦٧-٦٨.



موسى قوي الجسد.. قوي النفس.. قوي الإيمان.. قوي التأيد من الله ﷻ يخاف كل

هذا الخوف.. لماذا؟!؟

لأن العدو كان فاجراً فُجراً ما بعده فُجراً..؟

فرعون يُحكى عنه أنه كان يقتل بالنظرة، فإذا أوماً بنظره إلى أحدهم قُتل؛ أخذه أتباعه وقتلوه من غير أمرٍ ولا تحريك لسان ولا إصدار قرارٍ ولا أي شيء! فرعون كان يقول عن نفسه ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(١).

فرعون وصفه الله ﷻ فقال فيه وفي من كان مثله من الجبابرة الطغاة على مر التاريخ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَأَطَعُوا﴾^(٢) ﴿كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَأَطَعُوا﴾ والقرآن هداية لنا.. فهؤلاء الناس كانوا أظلم من هؤلاء الجبابرة الذين يعتدون على المسلمين، ويحتلون أرضهم ويستحلون أعراضهم، وكانوا أشد منهم ظلماً وأشد منهم جبروتاً وأشد منهم طغياناً إلى أن يخاف موسى - عليه الصلاة والسلام - من هذا العُتُل^(٣) الفاجر الكافر المسمى بفرعون.

والله ﷻ أنبأنا في قاعدة قرآنية بليغة عظيمة تبلغ نفوس المؤمنين وتُنشئ في قلوبهم الثقة بالله والثقة بنصره ﷻ؛ يقول ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾^(٤) ولم يقل «لهم» ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ يتكلم عن الغائب وإذ به يلتفت ويقول هنا: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾ وكان الخطاب إلى يوم الدين يخاطب المؤمنين...؛

نعم مكّن لفرعون وعاد وثمود وغيرهم من جبابرة الأرض الذين أخذهم الله

(١) سورة النازعات، آية: ٢٤.

(٢) سورة النجم، آية: ٥٢.

(٣) العتل: الشديد الجافي والفظ الغليظ من الناس / لسان العرب - عتل.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٦.



بذنوبهم.. مكن لهم ﴿مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ وهو خطاب لهؤلاء الذين يعتدون على الله ورسوله والمسلمين..

مكّن ربنا ﷻ للأولين ما لم يمكّن لكم ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾^(١) وأعطاهم من الغنى ما استطاعوا أن يجعلوا قصورهم من الذهب والفضة بل ومدنهم كذلك ﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾^(٢).

ربنا ﷻ يخبرنا أن هذا الذي نراه من الدول الكرتونية ومن الشخصيات الهشة هو قادر على إزالتها ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها، كما أنه أزال أمماً وجابرةً وطغاةً في لمحة عين، ويؤكد ذلك لك ويثبت فؤادك ويقول لك: لا تخف، وإن وقع الخوف في قلبك فلا تضطرب؛ فإن الخوف قد وقع في قلب كلِّيم الله موسى، إنما سلاه الله وأيده وسلاك وأيدك بقصصه.. سلاك وأيدك بعبارةٍ بليغةٍ تبلغ قلبك..؛

فاهتد بهدي كلِّيم الله موسى في التصديق بأمر الله وثق بالله ولا تخف.. واجعل كل حياتك لله.. اجعله هو مقصودك.. واجعله هو ناصرِك.. واجعله هو اعتمادك.. واجعله هو ذكرك..

وكن فيما أمرك الله ﷻ من تزكية النفس، وعمارة الأرض، وعبادته وحده لا شريك له، واجعله هو توجهك حتى لو ميت ولو لم يكن معك أحد؛ قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ رَهْطٌ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ رَجُلٌ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»^(٣)... وَعَنْ أَسْمَاءِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها قَالَتْ: رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو وَبْنَ نُفَيْلٍ -مات قبل بعثة النبي ﷺ- قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَقُولُ: «يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَيَّ دِينَ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي»^(٤).

(١) سورة الأنعام، آية: ٦.

(٢) سورة الفجر، آية: ٧-٨.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه - عرض الله ﷻ الأمم / ٦٣١٧، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري/ مناقب الأنصار.



وكان يقول: «إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم»، قال: وذكره النبي فقال: «يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحْدَهُ، بَيْنِي وَبَيْنَ عَيْسَى»^(١)؛ عامل الله وثق بالله.

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا آلَ نَهْرٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾^(٢) هذه الآية من سورة الأنعام، وقصة موسى على مر القرآن.. اجعلها دستورًا أمامك في مواجهة الأحداث، واعلم أن البلاء لا ينزل إلا بذنوب، فتب إلى ربك، وطهر قلبك، وانظر إلى الغيب من ستر رقيق، واعلم أن الله ينصر من ينصره، وأن النبي ﷺ قال: «وَلَا يُغْلَبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ»^(٣)، وأن النبي ﷺ يقصد -بمفهوم هذا الحديث- أنه يُغلب الملايين من عدم الاعتماد على الله، لكن ليس بسبب القلة ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤).

ثق بالله فترى عجائب مقدوره في خلقه..!

ثق بالله ولو لم يثق به أحد.. كن أنت مع ربك ولا تخف ولا تحزن أنك قد خفت..

إذا وقع الخوف في قلبك فقد وقع مثله في قلب كل من الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فسلاه ربه وهو يسليك ويقول لك هذا..؛

فأثبت على الحق..، فإنك على الحق واعلم أن الناس جميعًا في كل العالم يحتاجون إلى المسلمين؛ حيث يلجئون إليهم في النهاية ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.. فأثبت إنك على الحق..؛

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: كَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَذْكُرُ لَهُ

(١) رواه النسائي في الكبرى - المناقب / ٨٠٩٠.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦.

(٣) رواه الترمذي - السير / ١٥٥٨، وقال: حسن غريب، وأحمد وابن ماجه وأبو داود، والبيهقي، وابن خزيمة في صحيحه - المناسك / ٢٥٢٢، وابن حبان - الخروج وكيفية الجهاد / ٤٦٢٧، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.



جُمُوعاً مِنَ الرُّومِ وَمَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ مَهْمَا يَنْزِلُ بِعَيْدِ مُؤْمِنٍ مِنْ مَنَزَلٍ شَدِيدٍ يَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَهُ فَرَجًا، وَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرِينَ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] (١) وادعوا ربكم...

أطلّ علينا وأظلنا رمضان، ورمضان شهر الذكر والدعاء.. شهر الصلاة والصيام والقيام.. شهر القرآن.. شهر فضيل كريم تُسلسل فيه الشياطين؛ فاستعدوا له والتجئوا بقلوبكم لربكم أن يرد علينا أرضنا، وأن يصد عنا عدونا، وأن يجعل تدميرهم تدميرهم، وإنا نجعله سبحانه في نحورهم ونعوذ به من شرورهم، ونرضى ونسلم بقضائه وقدره ونصبر حيثما أنزل علينا البلاء.. فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا....



(١) رواه مالك في موطئه - الجهاد / ٩٧٨.

أوصيك بتقوى الله وأفنيك!

من أفكار الخطبة

- (١) «المعلوم من الدين بالضرورة» هل صار باهتا عند المسلمين إلى هذا الحد فيحتاج إلى فتوى!
- (٢) نحن إلى قليل من التقوى أحوج منا إلى كثير من الفتوى.
- (٣) غناء السيل: كثير في العدد.. قليل في التقوى.
- (٤) قال: إني على سفر فانصحني. قلت: عليك بتقوى الله. فقال...!
- (٥) جوامع الكلم كنز بين يديك فاستخلص المعاني وجدد حياتك.
- (٦) إيمان وذكر. خوف وعمل. رضا واستعداد، فتشوّف للقاء؛ إذن فقد خرج الوهن من قلبك.
- (٧) سيناديك الحجر، ويخدمك الشجر! فكن عبد الله المُنَادَى.
- (٨) أحسنوا...؛ ف (إن الله كتب الإحسان على كل شيء).
- (٩) هكذا يأخذ بنا الحبيب ﷺ إلى مواطن الخير ودوائر الرضا بيسر وسهولة.
- (١٠) «أعلاها منيحة العنز»! بحبوة منحها الله لنا..؛ فتمتعوا بحبوة الله.



أوصيك بتقوى الله وأفتيك

فإننا في عصرٍ كثرت فيه الفتن، وقل فيه ذكر الله، وبعُد كثير من الناس قاصيهم ودانيهم عن الله ورسوله ﷺ فخسروا وخسرانا مبينا، وفاتهم الكنز الذي من الله عليهم به؛ فكانوا كغشاء السيل كثير في العدد قليل في التقوى.

يسألني بعض الناس عن حكم ارتداء المرأة الحجاب.. وهل يلزمها تغطية بدنهما فيما عدا الوجه والكفين أم أن الأمر راجع لعرف الناس؟ وسألت نفسي: هل وصلنا إلى زمنٍ يحتاج المعلوم من دين الله بالضرورة إلى فتوى! وإلى إصدار بيان نسرده للناس ما أجمع عليه المسلمون شرقاً وغرباً سلفاً وخلفاً بكل فرق المسلمين المنتسبين إلى القبلة والمنتسبين إلى الحبيب المصطفى والنبي المجتبي ﷺ، وأنه يعد جزءاً من هوية الإسلام!!.. وقد فعلنا.. ولكن..

أو يقضي ذلك على الفتنة؟! أبدا...؛

الذي يقضي على الفتنة هو أن ندعو الناس إلى تقوى الله.

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِيْشًا وَلِبَاسٌ اَلتَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾^(١).

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ اَلتَّقْوَى وَاتَّقُوا نِيَّوَالِيَّ اَلْأَلْبَابِ﴾^(٢).

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اَللَّهَ﴾^(٣).

جاءني ابن من أبنائنا الصالحين على سفر وقال لي: انصحني..؛ فقلت له: «اتق الله

حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بحُلُقٍ حسنٍ»^(٤).

قال: هذه نصيحة عامة؛ انصحني نصيحة خاصة!

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٦ .

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٧ .

(٣) سورة النساء، آية: ١٣١ .

(٤) الحاكم في المستدرک/ الإبان- ١٨٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.



فكرتُ الكلام عليه...! هذه نصيحة رسول الله ﷺ..

هذه النصيحة إذا طبقناها وجعلناها دستورًا لحياتنا فإننا لا نحتاج إلى الرقابة الإدارية والنيابة الإدارية، ولا نحتاج إلى شرطي المرور ولا إلى مفتش التموين ولا إلى أي محتسبٍ كان..

هذه النصيحة إذا طبقناها ذهب ذلك الفساد العريض الذي يحتاج البلاد والعباد مخالفاً للنظام مُعلنًا بالمعصية مجاهرًا بالشهوات..

هذا الدستور الذي يرشدنا إليه أفصح العرب في كلماتٍ بيناتٍ واضحاتٍ جلياتٍ قلياتٍ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ».

كيف يتقي الإنسان ربه حيثما كان؟ لا بد من أنه يؤمن به؛

فالإيمان هو أول درجات التقوى، ولا يُتصور من أحدٍ من العالمين يتقي الله وهو لا يؤمن به، ويفترق الناس إلى فريقين: فريق قد آمنوا برهيم، وفريق قد كفروا برهيم. ثانيًا: لا يمكن أن تتقي الله إلا إذا ذكرته؛ فإن كنت قد نسيت الله فكيف تتقيه؟ فلا بد من ذكر الله.

والمؤمن بربه أحد اثنين: ذاكٍ متيقظ، أو ناسٍ غافل، فلا بد عليك - عبد الله - أن تكون ممن آمن بالله، وأن تكون ممن ذكر الله من أولئك المؤمنين.

ثالثًا: لا يمكن أن تتقي الله رب العالمين إلا إذا استحضرت الخوف والحشية والرهبنة من جلاله ﷻ، أما إذا لم تستحضر ذلك وذكر لسانك دون أن يذكر قلبك، ولا أن يخشع لرب العالمين فلا بد أنك تقع - نسيانًا - في الذنب وفي المعصية، أو تغلبك شهوتك فتأتي ذلك عامدًا متعمدا؛ لأنك لم تستحضر خشية الله ورهبته وخوفه في قلبك.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل أبي بن كعب - وكانت الصحابة تحب أن تتذاكر العلم لتطبقه في حياتها ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) - ما التقوى يا أباي؟

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٥.



قال: أَسْرَتَ فِي وادٍ فِيهِ شَوْكٌ؟ قال: نعم. قال: ماذا فعلت؟ قال: شَمَرْتُ عَنْ ثِيَابِي
وحذرت ما أرى؛ قال: هذه هي التقوى.

وأخذ ابن المعتز ذلك وصاغه شعرا، وقال:

خَلَّ الذَّنُوبَ صَغِيرَهَا * وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التَّقَى
واصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضِ * الشَّوْكِ يَحْدُرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً * إِنَّ الْجِبَالَ مِنْ الْحَصَى

وسيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: التقوى: الخوف من الجليل - ركن من
أركان التقوى أن تؤمن بالله وأن تذكره وأن تحافه - ويأتي لنا بعناصر أخرى فيقول:
والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضا بالقليل.
(اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ) و(حيثما) تستعمل للمكان والزمان، يعني في كل زمانك، وفي
أي مكانٍ كنت فيه.

برنامج عمل كامل لو طبقته غيرت حياتك ورأيت الإسلام كله بين يديك.. بين
جنبيك؛ مؤمناً بالله.. ذاكراً لجلاله وجماله.. خائفاً منه.. عاملاً بتنزيله.. راضياً بالقليل..
مستعداً ليوم الرحيل.. متشوقاً للقاءه، إذن..؛

فقد خرج الوهن من قلبك، وخرجت الدنيا من قلبك حتى ولو كانت في يدك.
برنامج يحتاج إلى تدبر وإلى تأمل وإلى استخلاص للمعاني، وإلى تحويلها إلى برنامج
عملٍ يومي تعيش فيه (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ)..
برنامج عمل يغنيننا عن صراع السياسة والأعياب الإعلام.. يغنيننا عن الرد على كل
ناعقٍ ومنافق.. يغنيننا عن الاحتياج إلى البشر.. يخرج الإنسان من دائرة الضعف إلى دائرة
القوة، والله يحب المؤمن القوي (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ).

(وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا)؛

الله على مؤمنٍ نظر نظرة ورأى فيها معصيةً فذهب وتوضأ..

الله على مؤمنٍ ارتكب في حق أخيه غيبةً أو نميمةً فدعا له..



الله على مؤمن نسي الله فذكره.. فسبحه، أو أساء إلى جيرانه فصلّى ركعتين
والحسنة يذهبن السيئات..

الله على من حاسب نفسه قبل أن يحاسب، على من التفت إلى نفسه ورأى فيها جذع
الشجرة وتغاضى عن القذاة التي في عين أخيه ورأى الناس كلهم خيراً منه..
الله على المسلم عندما يكون عبداً لله.

المسلم «عبد الله».. هو الذي سينصره الله.. هو الذي سيؤيده.. هو الذي سيعيد إليه
الأقصى ويعيده إليه.. هو الذي سيحرر على يديه أرض المسلمين المغتصبة.. هو الذي
سيعز الله به دينه ويكون مبلغاً عن الله رب العالمين..؟

أتذكرون من الذي سوف يناديه كل حجرٍ، وبم يناديه؟! «يا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ»^(١)...؟
من الذي سوف يفهم ذلك؟ يفهمه المنادي بهذا النداء.. يفهمه: عبد الله. ومتى
يكون (عبد الله)؟ يكون عندما ينفذ نصيحة رسول الله ﷺ.

«وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا» برنامج لعدم فعل المعصية بعد ذلك؛ فكلما صدر منك
مخالفة ذهبت ففعلت خيراً، فإنك لا تتسرع في المخالفة بعد ذلك أبداً.

ثم يُتَمُّ رسول الله ﷺ ذلك التدريب السهل اليسير على ما عودنا رسول الله ﷺ
بالأخذ بيدنا إلى مواطن الخير ودوائر رضا الله بيسر وسهولة، يخاطب بها العالمين إلى يوم
الدين جاهلهم وعالمهم.. قويهم وضعيفهم.. رجالهم ونساءهم، يتوج ذلك كله بما جاء
ليتمم..؟ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٢)، فيقول: «وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِ حَسَنٍ»
وما الخلق الحسن؟ أنت تعرفه؛ لا بد أن تفعل مع الناس ما تكون حبيباً عند الناس به:
«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(٣)، «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ

(١) رواه مسلم/ الفتن وأشراف الساعة - ٧٢٨٨.

(٢) البيهقي في الكبرى/ من تجوز شهادته - ٢١٢٤٢.

(٣) صحيح ابن حبان/ حسن الخلق - ٤٧٤ والترمذي البر والصلة/ ما جاء في صنائع المعروف ١٩٥٦،
وحسنه ولفظه عنده تبسمك في وجه أخيك لك صدقة.



شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(١)، «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢)، «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلْيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»^(٣)، «وَتَوَقَّ كِرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»^(٤)، و«عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ»^(٥).

كثير من أخلاق النبوة.. كثير.. يفتحها رسول الله ﷺ أمامك واسعة فيقول: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنَزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً ثَوَابِهَا وَتَصَدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ»^(٦). منيحة العنز: أن تعطي الشاة لجارك يجلبها ويأخذ لبنها ويعيدها إليك، فلم تخسر شيئاً أبداً؛ فإذا بها على رأس قائمة من أربعين خصلة هي أعلاها إن فعلتها «رَجَاءً ثَوَابِهَا وَتَصَدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ» يعني: بسببها.

ما هذا الفضل! وما تلك السعة! إنها بحبوحه منحها الله لنا، فتمتعوا بحبوحه الله، وكونوا على تقوى من الله، وليكن عملك بين الرجاء والخوف، وليكن أمرك في الدنيا داعياً إلى الله ورسوله ومبلغاً عنها «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(٧).

ولتكن مصلحاً في هذه الأرض، ولا تلتفت إلى إلحاد الملحدين، ولا إلى الألسنة المغرضين؛ وأعرض عنهم ولا تشغل بالرد عليهم:

لَوْ كُلُّ كَلْبٍ عَوَى الْقَمْتَهُ حَجْرًا * لِأَصْبَحَ الصَّخْرُ مِثْقَالاً بِدِينَارٍ!
ادعوا ربكم.

(١) مسلم/ البر والصلة - ٧٥٥٤.

(٢) الترمذي/ البر والصلة - ١٩٢٨، وقال: حسن صحيح.

(٣) الترمذي/ الديات - ١٤٠٨، وقال: حسن صحيح.

(٤) البخاري/ الزكاة - ١٤٤٠.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى ورجاله ثقات. مجمع الزوائد/ الأدب - ١٢٦٧٢.

(٦) البخاري/ الهبة وفضلها - ٢٥٨٠.

(٧) سبق تحريجه من رواية البخاري ص ٢٣.



أما بعد؛ فقد ودّعنا فارسًا من فرسان الدعوة إلى الله تعالى العلامة الشيخ عبد الله شحاتة رئيس قسم التفسير الأسبق بدار العلوم، والداعية المعروف المشهور الذي كان يُحبّب الناس في دين الله، انتقل إلى رحمة الله تعالى ليجعل مكانه فارغًا، نسأل الله ﷻ أن يسده بمن يقوم مقامه ويكون خير خلفٍ لخير سلف.

كان ﷻ خطيبًا لمسجد الإمام الشافعي، وألّف أول ما ألّف في بداية طلبه كتابًا عن الإمام الشافعي، وتدرّج بعد ذلك في مدارج العلم وكتب تفسيرًا كاملاً وفقه الله إليه في أكثر من ثلاثين عاما، ووهب نفسه ووقته للدعوة إلى الله.. فاللهم نور ضريحه واقبله عندك قبولًا حسنا.. اللهم إنه كان فينا يدعو إليك، ويُيسر دينك على عبادك، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأنت أعلم به منا؛ فإن كان محسنًا فزد في إحسانه، وإن كان غير ذلك فتجاوز عن سيئاته، واقبله على كل حالٍ فهو في حاجةٍ إلى رحمتك، ولست في حاجةٍ إلى عذابه ولا إلى حسابه ولا إلى عقابه ولا عتابه..
فاللهم يا ربنا ألحقنا به على الإسلام وتمام الإيمان...



المعصية الإدمية والمعصية الإبليسية

من أفكار الخطبة

- (١) البشر نوعان: آدمي وإبليسي وشتان ما بين معصية آدم، ومعصية إبليس .
- (٢) معصية آدمية لا عزم فيها ولكن نسياناً وضعف بشري وغفلة وقتية، يتبعها ندم واعتراف وأوبة وتوبة وطلب للمغفرة، وعقيدة مبناها حسن الظن بالله رب العالمين.
- (٣) معصية إبليسية جمعت بين الإباء والاستكبار والكفر والعتو وسوء القياس والجهل المركب، وعقيدة مبناها سوء الظن بالله رب العالمين.
- (٤) احذر أن تتحول معصيتك بالإصرار عليها والتكبر بها إلى هذا النوع الإبليسي اللعين.
- (٥) هكذا في المعصية الإبليسية دائماً ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾^(١)!
- (٦) من عجيب شأن المؤمن التقي أنه إذا مسه طائف من الشيطان ذكر الله، فاستغفر لذنبه فغفر الله له.
- (٧) كن خير الخطائين: كن من التوابين؛ تكن من خير بني آدم.

(١) سورة الأعراف، آية: ١٣١.



المعصية الأدمية والمعصية الإبلسية

فما يحدث في دنيا الناس من حولنا تندى له جبين البشرية..؟

ولكن البشر على نوعين: آدمي وإبلسي.

أما الأدمي: فقد خلّصه الله من سلطان إبليس عليه فكان من عباده المخلصين.

وأما الإبلسي: فقد صدّق عليهم إبليس ظنّه وقد توعدّهم بأن يغويهم فأغواهم،

وأن يضلهم فأضلهم.

وأتأمل في فعل البشر فيما يحدث في الأرض المحتلة، وأتأمل من فعل البشر فيما

يحدث في الشيشان، وفي كشمير، وفي أمريكا، وفي جنوب السودان، وفي كل مكان...

وهم يعلنون راية الكفر ضد الإسلام، ويعلنون معصية إبليس ضد هذا الدين الذي نزل

بيئاً للتوحيد، ورفع لبني آدم، وتكريماً لهم.

وسألني سائل: أوليست هذه معصية يرتكبوها؟ قلت: بلى. هي معصية ارتكبوها

ويرتكبوها، قال: أوليس المسلمون عصاة في تركهم لسنة نبيهم ولأوامر ربهم؟ قلت:

بلى. إذا ترك المسلم سنة نبيه وأمر ربه كان عاصياً،

قال: فقد اشتركتنا في المعصية إذن. قلت: لا..؟

معصية المسلمين معصية أدمية، ومعصية الكفار هذه معصية إبلسية.

ولقد صدرت المعصية عن آدم وصدرت المعصية عن إبليس، إلا إنها لما صدرت عن

آدم صدرت بدافع الشهوة والخطأ والنسيان، وتلاها ندم واعتراف وأوبة وتوبة، ورجوع

وطلب للمغفرة من رب العالمين، واستقامة على أمره ﷻ، واستهداء بهدأته..

أما إبليس فقد كان عامداً قاصداً، وكان متكبراً عالياً، وكان قد فعل ما فعل بإصرار

ثم بعد ذلك استمر في إصراره وفي تعاليه وتكبره وإبائه..



فعلها إبليس وهو يتحدى بها رب العالمين، وآدم فعلها عندما خار عزمه وقلت همته ونسي أمر ربه ونسي نفسه فتعرض لها؛ معصية آدمية..

لا ينبغي أن نعصي الله ﷻ على أي حال، ولا ينبغي أن نُديم على المعصية، فهذا الحال الذي نعيش فيه إنما هو من معاصينا ومن تركنا لأوامر ربنا، ولا ينبغي لمؤمن أن يحول معصيته الآدمية إلى معصية إبليسية فيصدق فيه إبليس ظنه، والمعصية الإبليسية معروفة في بدايتها ونهايتها..؛

يقول ربنا ﷻ ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْيَئِ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾^(١) لم يقل إبليس: (لا)! بل أضاف إلى ذلك وقال ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾^(٢) فجمع بين الاستكبار ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٣).

جمع بين الإباء والاستكبار والكفر والعتو وسوء القياس والجهل المركب..؛ ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾^(٤) قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَايُنْكَ رَجِيمٌ^(٥).

إبليس وعلى الرغم مما فعل يبدو وكأنه - لغلبة الجهل والكبر عليه والحمق - لم يكن يتصور ذلك، وعقيدته في ربه عقيدة غير صحيحة، وأراد أن يتلاعب مع ربه، وربنا يشدد عليه في كل خطوة يريد فيها أن يتلاعب معه فإنه علام الغيوب، وهو يعلم ما في أنفسنا وهو الخالق العليم القدير القادر الحكيم... هذه عقيدة المؤمنين في ربهم، أما عقيدة إبليس فهي مبنية على الكبر وعلى العجب وعلى الظن السيئ بالله رب العالمين.

﴿ قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَايُنْكَ رَجِيمٌ ﴾^(٦) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(٧) - انظر

(١) سورة ص، آية: ٧٥.

(٢) سورة ص، آية: ٧٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٤.

(٤) سورة ص، آية: ٧٦-٧٧.

(٥) سورة ص، آية: ٧٧-٧٨.



التلاعب - ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١) يظن بذلك أنه سينجو من العذاب، وأنه ستكون هناك فرصة للتلاعب وتأجيل المشكلات!

منهج إبلسي يطبقه أعداؤنا معنا، ونحن نصرخ في الناس ونبين لهم ما بين الله فلا يسمعون أحد، إنما يريدون أن يستمعوا إلى عقولهم وحولهم وقوتهم ووجهة نظرهم في المسألة، ولا يريدون أن يسمعوا إلى ما كشف الله لنا من نفوس هؤلاء.

﴿فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧٧﴾ إِلَى يَوْمِ آتَ وَتِ الْمَعْلُومِ﴾^(٣) ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٤) يعتقد إبليس أنه انتصر وأنه لما أُعطي الفرصة فإنه سينتقم من هذا الذي كان سبباً في طرده!

وكان آدم هو السبب! والسبب الحقيقي هو المعصية الإبلسية والتحدي والكبر والعجب والخروج عن أمر الله، وليس السبب هو آدم..! إنما هكذا في المعصية الإبلسية دائماً..

﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾^(٥)...! ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ثم يستدرك ويعلم أنه غير قادر على العباد المخلصين..

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٦) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٧) مصيبة..!

مصيبة قد أوقع إبليس فيها نفسه لأنه في نهاية الأمر شدد الله عليه بما شدد على نفسه، وجعل نهاية التلاعب مع رب العالمين جهنم وبئس المصير خالداً فيها أبداً هو ومن اتبعه من الغاوين.

(١) سورة ص، آية: ٧٩.

(٢) سورة الحجر، آية: ٣٦-٣٨.

(٣) سورة ص، آية: ٨٢.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٣١.

(٥) سورة ص، آية: ٨٣-٨٥.



المعصية الإبلسية فيها كبر.. فيها إصرار.. فيها قصد.. فيها استمرار.. فيها علو.. فيها نذالة وخسة.

والمعصية الأدمية فيها خطأ.. فيها نسيان.. فيها نوع من أنواع الضعف الذي خلقه الله في الإنسان.. فيها انكسار وطلب للرحمة، فيها توبة وأوبة ورجعة إلى الله..؛ المعصية تختلف، ويقع الإنسان كثيراً في المعصية ويقول الرسول ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١).

إذن..؛ فيا أيها الإنسان.. عليك بالتوبة والاستغفار والأوبة والرجوع إلى الله ﷻ دائماً وأبداً حتى تكون من أهل الخير ومن العباد المخلصين، ولا تحول معصيتك بالإصرار عليها والتكبر بها إلى معصية إبليسية..،

ولا تفقد الثقة بربك ولا بنفسك عندما تقع خطأً في مثل ذلك ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢) وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبتُ القنن ولا الذين يموتون وهم كفارٌ أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً^(٣).

شأن المؤمن أنه إذا مسه طائف من الشيطان ذكر الله، فاستغفر لذنبه فغفر الله له..

شأن المؤمن أنه يفعل مثل ما فعل أبوه آدم ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٤) إنما ماذا قال هو وزوجه..؟ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥) فماذا فعل الله بهم؟ ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

(١) الحاكم في المستدرک/ التوبة والإنابة - ٧٦٩١. و صححه.

(٢) سورة النساء، آية: ١٧-١٨.

(٣) سورة طه، آية: ١١٥.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٣.



كَلِمَتِ فِتَابٍ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ ..؛

الله ﷻ يسمع منهم هذه التوبة فيغفر لهم، ويعلم أن آدم ليس له عزم وأنه إنما فعل ذلك من شهوة اشتهاها ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٠﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتِ فِتَابٍ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

إذن هذه المعصية الأدمية، وهذه هي المعصية الإبلسية..

سَلِّ نفسك بآيات ربك وبتوجيهه للصبر على ما نراه من قتل الأطفال والنساء والمدنيين والعسكريين، وكلما مد أحدهم يده بسلام نحوهم قتلوا وذبحوا وضربوا! وكأنه لا يردعهم إلا القتال والجهاد في سبيل الله، وكما أمر الله ﷻ؛ فيرفع الله به الذل الذي سلطه علينا بذنوبنا وما أصاب قلوبنا من الوهن كما أخبر رسول الله ﷺ، ولكن إلى أن يمن الله علينا وينقلنا من دائرة سخطة إلى دائرة رضاه، ويتقبل منا توبة نصوحا يردنا بها إلى ديننا ردا جميلا.. إلى أن يفعل ذلك بنا، ويجمع قلوبنا، ويهدي أفئدتنا إليه، ويعلمنا الأدب معه.. إلى أن يوحد أمة محمد ﷺ، ويهدي قاداتها، وينور طريقهم.. ويجمع صفهم..

اجعل أيها المسلم القرآن العظيم سبب صبرك وسلوانك وتشبثاً لقلبك، كما كان تشبثاً لقلب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - في الشدائد والمحن..

ادعوا ربكم.



(١) سورة البقرة، آية: ٣٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٦-٣٧.



أما بعد؛ فيا عباد الله ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْتَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)؛

احذرو.



(١) سورة الأعراف، آية: ٢٧.

منبهات ربانية

من أفكار الخطبة ...

- (١) الجمعة بعد الجمعة تذكير للمؤمنين، وتكفير لذنوبهم، وتطهير بشأن زمانهم.
- (٢) المنبهات علامات في الآفاق وفي أنفسنا تحرك قلوبنا لمراد الله فينا.
- (٣) بلوغ الأربعين والشيب وهشاشة العظام والمرض: منبهات تتعلق بالإنسان.
- (٤) من المنبهات الكونية: الزلازل والأعاصير والأوبئة وموت الفجأة والهرج^(١).
- (٥) البدر ينمحق حتى يصير هلالاً ثم يأفل.. والشمس تأفل!.. والأيام دول.
- (٦) ليس بعد التمام إلا النقصان، والليل والنهار يتعاقبان، وعلامة الزوال الطغيان، واشتداد الظلمة انفراج يأذن للفجر بانبلاج.
- (٧) عباد الله.. هونوا على أنفسكم أمر الدنيا!.. واستكينوا لربكم وله تضرعوا.
- (٨) تكون الأرض الطيبة هامة فإذا استقبلت ماء السماء اهتزت وربت وأنبئت.
- (٩) لمثل هذا يبكي القلب من كمد.. إن كان في القلب إسلام وإيمان!
- (١٠) «يا عبد الله! ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

(١) الهرج: القتل القتل.

(٢) حديث متفق عليه؛ رواه البخاري - الدعوات / ٦٢٦٢، ومسلم - الذكر والدعاء / ٦٨١٤، عن أبي موسى الأشعري.



منبهات ربانية

شرع الله اجتماع يوم الجمعة التي نحن فيها الآن من أجل الموعدة وتحريك القلوب وتشوُّف النفوس إلى رب العالمين، ومما لفتنا الله إليه في الكون وفي الآفاق وفي الأنفس وفي التاريخ - المنبهات.. العلامات التي يُستدل بها على ما وراءها.

هذه المنبهات قد تتعلق بالإنسان؛ فالإنسان يُولد صغيراً لا يعلم شيئاً، ثم يشب ويصبح بعد ذلك شديد القوى، ثم يُعَمَّر ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(١) ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وعندما يبدأ الرأس في الشيب، والعظام في الهشاشة، فإنها منبهات تنبه الإنسان على أنه ينبغي أن يخلع نفسه من العصيان.. يخلع نفسه لله رب العالمين وأن يستعد ليوم الرحيل ويقدم في هذه الدنيا ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهُ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾^(٣).

بلوغ الأربعين علامة من العلامات ومنبه من المنبهات جعلت العاقل يعود إلى ربه ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤).

وهن العظم وهشاشته وخط الشيب في الرأس علامة من العلامات ومنبه من المنبهات؛ لعل الإنسان أن يرتدع وأن يعود..

(١) سورة الحج، آية: ٥.

(٢) سورة يس، آية: ٦٨.

(٣) سورة مريم، آية: ٤.

(٤) سورة الأحقاف، آية: ١٥.



المرض بعد الصحة منبه من المنبهات يوقظ هذا وذاك وليعود إلى ربه.
ومنها ما يكون خارج الإنسان..؛ في الأرض جعل الله من المنبهات الزلزال الذي
أبتلينا به، وبدأت توابعه تتكاثر سنةً من بعد سنة، وضرب بلاد المسلمين وبلاد الكفار،
فقتل ونبه؛ حتى يعود الناس إلى ربهم، حتى يتذكروا الزلزال الأكبر ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ
زُلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ﴿٣﴾﴾^(١) كأنه يحدث نفسه ولا
يخاطبها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾^(٢).

إذن هذه الزلزلة إنما هي من المنبهات، والغرض منها في الكون أن تعود إلى الله، وأن
تذكر أن هذه الدنيا فانية، وأنه يمكن أن تنتهي الحياة في أي لحظة، فإذا تذكرت ذلك
هانت عليك الدنيا،

وإذا تذكرت ذلك سهل عليك اتباع كلمة الله..

أن تستحضر الموت أمام عينيك: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا
خَلَقْنٰكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
وَنُقَرِّئُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾^(٣).

وبعدما بلغ أحدنا أشدّه ماذا يكون؟ أبداً ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ وهو قد بلغ
أشدّه وفي عز الشباب: ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا
يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾^(٤).

يذكرنا ربنا بالقيامة وأنه ﴿مُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَمِيَّتِ وَمُخْرِجُ الْمَمِيَّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٥)

(١) سورة الزلزلة، آية: ١-٣.

(٢) سورة الزلزلة، آية: ٤-٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٥.

(٤) سورة الحج، آية: ٥.

(٥) سورة يونس، آية: ٣١.



ويذكرنا بأنه قد خلقنا أطوارا، ويذكرنا ﷺ بتلك العلامات وأنه قد أنشأ في الكون علامات وأنشأ في النفس علامات.. ﴿وَعَلَّمْتَ وَيَا لَنَجْمٍ هُمْ يَتَّعِدُونَ﴾^(١).
 فالعقل خصيم نفسه.. العقل هو الذي يلتفت إلى العلامات، ويرى في هذه الزلزلة علامة يعود فيها إلى ربه، وتهون عليه فيها الدنيا، ويسهل فيها الاتباع وترك تلك الدنيا، وأن يجعلها الله في أيدينا لا في قلوبنا فلا نخاف..
 بتذكر الموت ينتهي الخوف إلا من الله.

وجعل الله العلامات في السماوات ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٢) وَالْقَمَرَ قَدَّرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ^(٣).
 القمر يظهر هلالاً، ويتم بدرًا، وينقص بعد ذلك إلى أن يكون هلالاً، وكل ذلك جعله الله علامات.. علامات للبدء والتوسط والانتهاج ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٤). إذن..؟

لكل شيء إذا ما تم نُقِصَانٌ * فلا يُعْرَبُ بطيب العيش إنسانُ
 هي الأمور كما شاهدتها دُولٌ * من سره زمن ساءتُه أزمانُ

يقولها أبو البقاء الرندي^(٤) وهو يرى الأندلس تنهار؛ وهو يرى دولة المسلمين بعد

(١) سورة النحل، آية: ١٦.

(٢) سورة يس، آية: ٣٨-٣٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٤) أبو البقاء: صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف الرندي الأندلسي (٦٠١-٦٨٤ هـ الموافق ١٢٠٤-١٢٨٥ م) هو من أبناء (رندة) قرب الجزيرة الخضراء بالأندلس وإليها نسبته. وهو من الفقهاء وحفظة الحديث. وقد كان بارعا في نظم الكلام ونثره. وكذلك أجاد في المدح والغزل والوصف والزهد. إلا أن شهرته تعود إلى قصيدة نظمها بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية - وهي هذه القصيدة - وقال عنه عبد الملك المراكشي في: «الذيل والتكملة»: كان خاتمة الأدباء في الأندلس بارع التصرف في منظوم الكلام ونثره فقيها حافظا فرضيا (عالم بقضايا الموارث) له مقامات بديعة في أغراض شتى وكلامه نظما ونثرا مدون. وله علم بالحساب ومن مؤلفاته كتاب في نقد الشعر وصنعتة سماه (الوافي في نظم القوافي) مخطوط، و(روضة الأُنس ونزهة النفس) بقيت منه قطعة، وله مؤلفات أخرى إضافة إلى ديوان شعرٍ مفقود، ومجموعة من الرسائل.



أن وصلت إلى قمتها تنحط كما ينحط البدر في السماء إلى أن يصير هلالاً، ولكن لكل ظلامٍ نهار، ولكل ليلٍ سراج، ولكل بداية نهاية..؛
فما نحن فيه من بلاء ومن تسلط الأمم علينا له نهاية، وعلاماتها واضحة جلية:
الوصول إلى الطغيان إلى الحد الأعلى.

والشاعر يقول بسنة الله في كونه، ولا يكون في كونه إلا ما أراد سبحانه..

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١)

مَا طَارَ طَيْرٌ وَازْتَفَعُ * إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَفَعُ

فعندما يصل الظالم إلى نهاية ظلمه، فهذا إيذان بعد تمام ظلمه وطغيانه بالانحطاط وبذهاب دولته... والتمكين إنما هو لمن أخلص وآمن وعمل صالحاً.. وما كان الله دام واتصل.. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢)؛ ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣)..

أيها المسلمون.. في الكون وفي الآفاق وفي أنفسكم وفي التاريخ منبهات وعلامات تزيد من إيمانكم.. تنزع الخوف من قلوبكم.. تجعل رؤوسكم بين العالمين عالية، منبهات تهون عليكم أمر الدنيا.. منبهات تنزعكم نزعاً من العصيان إلى طاعة الرحمن.. منبهات لا تجعلكم تخافون من الظالمين ولا من الطغاة؛ فإنهم بعد أن يصلوا إلى قمة ما يصلون إليه مما أراد الله لهم من ظلمٍ وطغيان كتب عليهم ليذلمهم وليخزيهم - فإن دولتهم ستزول.

أيها الناس.. تأملوا وتدبروا هذه الآيات البينات، وتدبروا بالأخص ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾^(٤)؛ فهذه الأمة الطيبة ولو كانت كالأرض الهامدة فإن الماء سينزل عليها من السماء، وستلتفت إلى ماء ربها الذي

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٢٨.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٤) سورة الحج، آية: ٥.



أنزله على قلب الحبيب المصطفى والنبي المجتبي ﷺ، فيشير فيها ما تثير، وتنبت بعد ذلك من كل زوج بهيج، ﴿وَضَرَبُ اللَّهِ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾^(١).

أيها الناس.. دين الإسلام دين كامل أرشدنا الله فيه إلى منهج الحياة..

تدبروا قرآن ربكم.. تأملوا سنة نبيكم ﷺ، وانظروا إلى الأحداث التي تجري حولكم، واعلموا أن الله بالغ أمره، وأن الله قاهر فوق عباده، وأن من أساء الله القهار، واذكروا باسمه «القهار»؛ فإن اسمه القهار يزلزل الكائنات، وينصر المؤمنين ويثبت القلوب.. اذكروا باسمه «القهار» حتى يكشف عن هذه الأمة الغمة، وحتى ينصر عباده المؤمنين.. وادعوا ربكم...



أما بعد..؛ فيا أيها المؤمنون عندما أوشكت الخلافة في الأفول وفي الغياب، اجتمع أهل الله في بلاد تركيا وبدأوا في ذكر اسمه «القهار»، إلا أنهم لما رأوا قضاء الله نافذا سكتوا عن ذلك الاسم؛

فالمسلم يسلم بقضاء الله وقدره..؛ وعرفوا أن نزاع المسلمين بينهم وبين أنفسهم -وهو منهي عنه- لا يأتي بخير!

فقيم التنازع والتدابير والتباغض.. وفيم التحاسد والتغالب والتقاطع...!!!

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم * وأنتم يا عباد الله إخوان؟!
لمثل هذا يبكي القلب من كمد * إن كان في القلب إسلام وإيمان

واسمه «القهار» لا بد أن يتذكره المسلمون مرة أخرى، وألا يستهينوا به؛ فإن به من تثبيت القلوب، ومن نزع الإنسان مما هو فيه إلى دائرة رضا الله تعالى ورحمته ونظره ما الله به عليم..؛

ولا يستخفن أحدكم بذكر الله، ولا بأن هذا ليس هو الطريق الذي نحرر به أوطاننا،

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٥ .



أو نقاوم به أعداءنا؛ فإنه لا حول ولا قوة بنا بعدما فرطنا في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١).. فقد وُلدنا في زمان قد فرط المسلمون فيها..! بعد قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢) وُلدنا وقد فرط المسلمون فيها..!

فليس أماننا إلا «لا حول ولا قوة إلا بالله»..

نلهج بها ونصدق فيها ونتحقق بمعناها.

الله الله.. وقد أمرنا الله عند الضعف أن نتقوى بذكر اسمه ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٣) ولا تعلم ما الله فاعل في هذه الحياة الدنيا، في هؤلاء الناس. اذكر ربك ليل نهار.. يا قَهَّارُ يا قَهَّارُ عسى الله أن يستجيب دعاءنا، وأن يحول هذه القلوب الشريرة عنا.. اللهم اشغلهم بأنفسهم يا أرحم الراحمين، واجعل بأسهم بينهم شديدا.. وألف بين قلوبنا.. اللهم فرق كلمتهم.. ووحّد كلمتنا...



(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

التربية من جديد

من أفكار الخطبة

- ١ (تكاثرت الفتن، واشتدت حاجتنا لدعوة صادقة، نقية خالصة، ناصعة ناصحة.
- ٢ (بالتربية..؛ فهيا بنا ولنبدأ من جديد وكأننا خُلِقنا اليوم.
- ٣ (خواتيم سورة الشعراء منهج يؤسس معالم التربية من جديد.
- ٤ (معرفة التوحيد وأن هذه الدنيا دار تكليف عنوان تربيتنا وأول قضاياها.
- ٥ (بنفسك فابدأ ثم من يليك، ولتكن الرحمة هي المنطلق، والعلاقة، والغاية.
- ٦ (لن يستجيب الجميع، فلا تتخذ رضا الناس ميزانا؛ واصبر.. واستمر.. ودُم.
- ٧ (اتخذ الأسباب ولا تعتمد عليها، سر في الطريق، ودائما علق قلبك بالله.
- ٨ (توكل على من يراك في نشاطك وتقلبك في الحياة ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾^(١)، والذي يراك في إخلاصك وعبادتك ودعائك ﴿ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ﴾^(٢).
- ٩ (من المفسدين من سيشوش عليك دينك وأمرك؛ فارصد على الكاذب كذبه.
- ١٠ (القافلة تسير..؛ فبادر ولا تيأس..! إنه دين الله ﷻ وهو حافظه بنا أو بغيرنا.

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٨.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٩.



التربية من جديد

إننا في عصر قد كثرت فيه الفتن، ظهرت وبطنت، ونحن في عصر نحتاج فيه إلى دعوة صادقة، ونحتاج فيه إلى أن نوجه الدعوة إلى الله ﷻ إلى ما فيه خير الأمة، ونحتاج من الأمة أن تستجيب للنصح في الله ورسوله.



سواء في ذلك أئمة المسلمين وعامتهم، نحتاج إلى ذلك كله ويجب أن ندري من أين نبدأ..!

جاء الشيخ عبد الحميد بن باديس^(١)...؛ فوجد الأمر قد وصل إلى منتهاه، فلا دعاة ولا رعاة؛ فبدأ بالتربية لأن الله ﷻ بذلك أمرنا؛ وتلك سنة المرسلين.

(١) ولد عبد الحميد بن باديس في ٥ ديسمبر ١٨٨٩ بقسنطينة من عائلة ميسورة، تلقى تعليمه الأول بمدينة قسنطينة وحفظ القرآن الكريم في صغره. انتقل سنة ١٩٠٨ إلى تونس لمواصلة تعليمه بجامعة الزيتونة، وبه تتلمذ على يد الشيخ الطاهر بن عاشور (صاحب تفسير التحرير والتنوير)، وتحصل بعد ٤ سنوات على إجازة الزيتونة. ثم رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج واستقر بالمدينة المنورة وهناك واصل تلقي العلم حتى حاز درجة العالمية، وفي طريق عودته إلى الجزائر عرج على القاهرة وبها تتلمذ على يد الشيخ رشيد رضا. بعد استقراره بقسنطينة بدأ مهمته الإصلاحية بعد أن نضح وعيه الإسلامي وتأثر بأفكار الجامعة الإسلامية، وأدرك أن طريق الإصلاح يبدأ بالتربية والتعليم والاعتزاز بهوية المسلم، بدأ بإلقاء دروس في تفسير القرآن بالجامع الأخضر بقسنطينة، فاستمع إليه المئات، وجذبهم حديثه العذب، وفكره الجديد، ودعوته إلى تطهير العقائد من الأوهام والأباطيل التي علقت بها، وظل ابن باديس يلقي دروسه في تفسير القرآن حتى انتهى منه بعد خمسة وعشرين عاما، وركز على تعليم الكبار بفتح مدارس خاصة بهم لمحو الأمية، كما اهتم بالمرأة من خلال المطالبة بتعليم الفتيات إذ أنشأ أول مدرسة للبنات بقسنطينة سنة ١٩١٨، واعتبر تعليم المرأة من شروط نهضة المجتمع لكن تعليم المرأة لا يعني تجاوز التقاليد والأخلاق الإسلامية. اعتمد على عقلية الإقناع في دعوته، وحارب الطريقة والتصوف السلبي، ودعا إلى فهم الإسلام فهما صحيحا، بعيدا عن الدجل والشعوذة ورفض التقليد الأعمى، واهتم بنشر الثقافة الإسلامية من خلال بناء المدارس والمساجد وتوسيع النشاط الدعوي والثقافي والصحافي، لذلك عمل مع أقرانه على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ٠٥ مايو ١٩٣١ وانتخب رئيسا لها إلى غاية وفاته في ١٦ أبريل ١٩٤٠، وهو في الواحدة والخمسين من عمره. رحمه الله. راجع: محمود قاسم - الإمام عبد الحميد بن باديس: - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٩ م، وغيره.

وفي ختام سورة الشعراء برنامج لمن أراد أن يبدأ التربية من جديد، بعد أن عاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً، وبعد أن بشرنا رسول الله ﷺ أن لا نياس، وأنه طوبى للغرباء^(١) وأنه «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ. لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ. حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^(٢).. يقول ربنا ﷻ وكأنه يضع لنا دستور ذلك:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾^(٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ^(٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ^(٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ^(٧) الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ^(٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ^(٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(١٠) هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيْطَانُ^(١١) تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ^(١٢).

ﷻ يذكر لنا أولاً أنه لا بد من عنوان لتربيتنا، فلنشئ المدارس التي تنشئ الأجيال القادمة من غير يأس منا، فلقد بدأ رسول الله ﷺ وهو بشر، وبشريته إنها كانت من أجل أن يجتدي به ويتخذ أسوة حسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١٣) إنها هو بشر من أجل أن نتخذه أسوة حسنة فلا نياس، بدأ وحده تحت هذا العنوان ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾^(١٤)..

هيا بنا ننشئ المدارس التي تعلم أبناءنا الإيمان بالله وتوحيده، وتعلمهم أنهم مكلفون في هذه الحياة الدنيا بأمر من الله ونهي، وتعلمهم أن هناك توفيقاً من الله ﷻ وأنه هناك خذلاً، وأن هناك آخرة فيها حساب: فيها ثواب وفيها عقاب، فيها جنة وفيها نار..؟

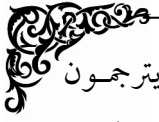
(١) «بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا وَسَعُوذٌ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ» رواه مسلم ٢٣٨.

(٢) رواه مسلم/ كتاب الإمارة باب قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق / ١٠٣٧ وبنحو البخاري/ العلم باب من يرد الله به خيراً / ٧١.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢١٣-٢٢٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٢١٣.



هيا بنا نعلم أبناءنا كيف يحبون الله ورسوله، وكيف يوحدون ربهم وكيف يترجمون ذلك سلوكًا في حياتهم، ولنبداً من جديد وكأننا لم نسمع عن هذا من قبل، فنخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولا نياس من كثرة الفساد الذي حولنا، وإنما نُعلي كلام الله ورسوله ﷺ ونجاهد في سبيل الله، حتى يحكم الله ﷻ بيننا وبين القوم الظالمين ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ لخص فيها توحيد الله والإيمان به، وتكليف المكلفين في الدنيا والحساب في الآخرة، وأرشدنا كيف نبني هذه الجامعة التربوية التي نربي فيها أبناءنا..

ابداً بنفسك ثم بمن تعول.. ابداً بنفسك ثم بمن يليك ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) كيف تكون العلاقة؟ علاقة هيمنة وتسلط أم ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَالِدِ﴾^(٢) فتكون علاقة رحمة ﴿الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(٣)، ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، وهل ستستجيب الجماعة دائماً لتلك التربية؟ أبداً...؛ فإن عصوك فلا تتخذ رضاهم دافعاً لك ولا مانعاً.. بل اصبر ﴿فَصَبِرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^(٥)، ودُم في طريقك وأنت تربي أبناءك والجيل الذي بعدك..

دُم على ذلك، وبعد أن تخفض جناحك للمؤمنين فإنك لابد عليك من قول الحق والاستمرار فيه ف ﴿أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوُمُهَا وَإِنْ قَلَّ﴾^(٦)..
﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٧) ﴿اتَّبِعُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٢) رواه الدارمي / الطهارة والصلاة-٦٧٩.

(٣) سبق تخريجه من رواية الترمذي ص ٦٥.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٥) سورة يوسف، آية: ١٨.

(٦) رواه مسلم / صلاة المسافرين-١٧٨٠.

(٧) سورة الشعراء، آية: ٢١٦.

المنكر، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ شَحًّا مُطَاعًا، وَهَوَى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ»^(١)، وخاصة نفسك: يعني نفسك أو لا ثم من يخصك ممن يليك الأقرب فالأقرب «لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِن أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلَمُوا»^(٢)..

نعم هكذا يكون شأن التربية، ولكن لا بد عليكم من الاستعانة بالله والتعلق به ﷻ؛ فهو الهادي وهو الموفق؛ فاجعل قلبك دائماً معلقاً بالله.. اتخذ الأسباب ولا تعتمد عليها، سر في الطريق، ابن المدرسة، ضع المنهج، اختر من المدرسين من شئت، ثم بعد ذلك علق قلبك.. قبل ذلك علق قلبك.. مع ذلك علق قلبك بالله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الذي يرانك^(٣) في نشاطك وتقلبك في الحياة ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ والذي يراك في إخلاصك وعبادتك حتى ولو كان بالليل ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾^(٤).

ثم بعد ذلك يعالج البيئة الخارجية التي لن تدعك تسير في تربية تعلق الناس وقلوب الناس برب الناس، بل إن هناك من المفسدين من سوف يشوش عليك دينك وأمرك ﴿هَلْ أَنْبَيْتُمْ عَلَى مَنْ نَزَّلُ الشَّيْطِينَ﴾ ﷻ ﴿تَنْزِلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾^(٥) لا بد علينا أن نعلم أنه كذاب لأنه لا يريد وجه الله، وأنه آثم مؤثم عند الله فعبر بصيغة (فعيل) ﴿أَثِيمٍ﴾؛ لأنه يفعل الإثم ويركب الإثم عند ربه ﷻ.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾^(٦) وقد يكون هذا حال الإعلام إذا

(١) رواه الترمذي/ تفسير القرآن- ٣١٥٧، وحسنه، وابن ماجه في الفتن، وأبو داود في الملاحم، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرک وقال: صحيح الإسناد.

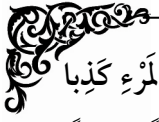
(٢) رواه الترمذي/ الفتن- ٢٠١٣. وحسنه.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢١٧-٢١٨.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٩.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٢٢١-٢٢٢.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٢٢٣.



انحرف عن شرع الله، أنهم يسمعون من هنا وهناك، والنبى ﷺ يقول: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه^(١) باعتباره حديثاً ضابطاً للتوثيق، ولكن شاع القيل والقال وشاع الكذب في الناس، حتى بنيت عقلية هشة تقبل كل ما يقال لها صواباً كان أو خطأ ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ لا يثبتون من شيء ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ و«كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(٢)!

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^(٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٧﴾ أما أولئك الذين حملوا على أنفسهم إنشاء رأي عام تربوي ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٤﴾.

كلام لا يصدر إلا من العزيز الرحيم ﷻ، وهناك في سورة الأنبياء يذكر أولئك الذين واجهوا النبي ﷺ بالأكاذيب ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمُ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْآوَلُونَ﴾ ﴿٦﴾ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾.

إنه موقف تربوي باقٍ إلى يوم القيامة يرشدنا إليه ربنا في كتابه العزيز. فلنبداً مرة أخرى بعد أن قد سقطنا في هذه الفوضى التي نعيش فيها إعلامياً وتربوياً

(١) حال بعض الرواة/ ٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢٢٤-٢٢٦.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢٢٧.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ١٠-٥.

وسياسياً واقتصادياً، وبعد أن تكالبت علينا الأمم كما تداعت الأكلة على قصعة الطعام..؛ هيا بنا ندعو الله ﷻ أن يجعل الدنيا في أيدينا وألا يجعلها في قلوبنا.. هيا بنا يتعلق قلبنا بعرش الرحمن ناظرين إلى لقاءه ﷻ ولا ننظر إلى دنيا نتغيها أو إلى مال نتأمله^(١) ونكتره ونضمه إلى خزائنا..

هيا بنا ننظر إلى أولادنا وأحفادنا نربهم على حب الله ورسوله فليس لنا في الدنيا سوى هذا، وليس لنا في الآخرة سوى هذا..

هيا بنا وقد منَّ الله علينا بالإسلام نشكر ربنا فعلياً وعملياً بالسنتنا وقلوبنا وأفعالنا..

هيا بنا ندعو الله ﷻ إلى أن يوحد قلوبنا وأن يؤلف بينها فإنه لا يؤلف بينها إلا هو.. هيا بنا نعود إلى ختام سورة الشعراء فنجعلها عنواناً على تربية للأجيال، ونجعل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْدِيَةِ﴾^(٢) ديننا وشعارنا نضعه فوق رؤوسنا وفي قلوبنا وفي سلوكنا، حتى نخرج مما نحن فيه من غير يأس أو إحباط، هيا بنا نبدأ كما بدأ رسول الله ﷺ فإن توفانا الله نعتذر إليه لأننا قلدنا ﷺ واتبعنا هداه وهو خير من يُقلد..؛ أرسله ربه لذلك ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣)



(١) التَّائُلُ: اتخاذ أصل مال. وفي حديث النبي ﷺ أنه قال في وصي اليتيم: «إنه يأكل من ماله غَيْرَ مُتَّائِلٍ» مائلاً، قال: المُتَّائِلُ الجامع. لسان العرب - أثل.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٣.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

المسجد مؤسسة التقوى

من أفكار الخطبة

- (١) من جمال رسول الله ﷺ - وهو قطب الجمال ومعدن الحُسن - أنه خاطب الكافة، وأفهم الجميع بحلاوة وبساطة لم نجد لها في مذهب ديني ولا فكري ولا أخلاقي على مر العصور لا قبله ولا بعده.
- (٢) أمرنا ﷺ بإنشاء مؤسسات لتبليغ الدين والعمل على إقامته منهجاً لحياتنا.
- (٣) المسجد أقوى المؤسسات، ومنه تنطلق معالم التأسيس كافة.
- (٤) إذا حَزَبهم^(١) أمرٌ نادى المنادي: «الصلاة جامعة.. الصلاة جامعة».
- (٥) كان مجلس القضاء في المسجد، فيُستنطق الشهود بعد أدائهم الصلاة لأداء اليمين؛ فلا ينكثون.
- (٦) المسجد ليس بنياناً فقط بل إنسان قبل البنيان؛ فأساسه التقوى والطهارة.
- (٧) القضية هي ذاك الإنسان الذي يجب أن يتطهر في الظاهر من الأنجاس والأرجاس، وفي الباطن فلا يتعلق قلبه إلا بالله لا شريك له.
- (٨) فلنعد للمساجد رونقها الظاهري والباطني ووظيفتها ودلالاتها لمفهوم الأمة.
- (٩) المسجد هو البداية وهو النهاية، يفقه ذلك كل أحد ولا يختلف فيه اثنان.

(١) حَزَبه أمرٌ أي أصابه. وفي الحديث: «كان ﷺ إذا حَزَبه أمرٌ صَلَّى»، أي إذا نزل به مُهمٌّ أو أصابه غمٌّ. وفي حديث الدعاء: اللهم أنتَ عُدَّتِي، إن حَزَبْت. لسان العرب / حزب.



المسجد مؤسسة التقوى

تركنا رسول الله ﷺ ونحن خير أمة أخرجت للناس؛ نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله.. تركنا حتى نكون دعاة وهداة مهديين وأرشدنا الطريق.. أحدث لنا من كل ما يقربنا إلى ربنا وإلى الحق والحقيقة وإلى الجنة بيانا، وأحدث لنا من ضد هذا مما يبعدنا عن الله ويدخلنا في الأوهام ويعطل مراد الله في كونه ويقربنا من غضب الرحمن ومن النار- أحدث لنا بيانا؛ فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك..

وجمال رسول الله ﷺ وحلاوته أنه قد خاطب الكافة، ففهم عنه القوي والضعيف، والذكي والغبي، والعالم والجاهل، والرجل والمرأة، والحاكم والمحكوم، والغني والفقير، والسلف والخلف جميعا فهموا عنه ﷺ، ورسم للجميع برنامجا مشتركا يستطيع به الإنسان أن يحقق مراد الله من كونه...؛ أمرنا بالوضوء.. أمرنا بالصلاة.. أمرنا بالزكاة.. أمرنا بإنشاء مؤسسات لتبليغ دين الله ببساطة.. بجمال.. بحلاوة لم نجدتها في مذهب فكري ولا أخلاقي ولا في دين مما سبق، ولا في ما ادعى مما بعده ﷺ.

وأقوى المؤسسات وأشملها مؤسسة المسجد.. المسجد الذي فيه تذكروا الله، والذي فيه تدعو إلى الله على بصيرة، والذي فيه تتلقى العلم، والذي فيه تدبر شأن المسلمين..، وكان يحب ﷺ أن يحنك الأطفال وأن يؤذن في أذانهم وأن يقيم في الأذن الأخرى، وبال عليه تسعة من أولاد المسلمين ﷺ، وهو الذي كان يقول لهم: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَالِدِ»^(١)..

كان يجب أن يصلي الجنائز في المسجد يودع بها ذلك المسلم الذي كان يسعى على الأرض منذ لحظات ثم إنه التحق بالرفيق الأعلى.. كان يدبر الجيوش وشتون الاقتصاد..

(١) سبق تحريجه من رواية الدارمي ص ٨٧.



كان يجتمع مع المسلمين إذا ما حَزَبَهُم أمر فيما بينهم، فكان يأمر مناديه يؤذن فيجمع الناس في غير أوقات الصلاة: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ. الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»، فيجتمعون في المسجد حوله ﷺ، ويشاورهم في الأمر ويقلبونه؛ سعياً لعبادة الله وعمارة الكون وتزكية النفس.

والمسجد ليس بنياناً فقط، إنما هو إنسان قبل أن يكون بنياناً.

البيان مأمور به؛ وهو الذي يجمعنا في الجماعات وفي الجمع، وهو الذي أمرنا ربنا أن نطهره وأن ننظفه وأن يكون لائقاً بعبادته..،

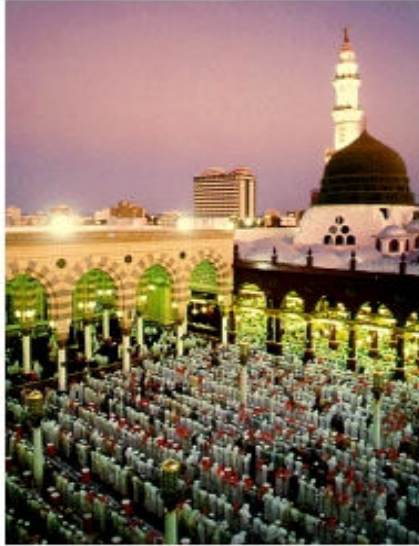
ونزَّهه من أن نتكلم فيه باللغو أو بشهادة الزور ومن أجل ذلك، إذا اشتدت القضية

في القضاء كانوا يعقدون مجلس القضاء في المسجد ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾^(١)..؛

السَّاجِدُ قَبْلَ الْمَسَاجِدِ

حتى إذا شهد الشهود فإنهم لا ينكثون؛

لأنهم يخافون الله ويعلمون أن المسجد إنما هو لله، وأنه محل نظر الله، وأنه إنما نشأ وبقي ويستمر لله، فترتعد فرائص^(٢) من أراد خلاف الحق وخلاف الواقع، لغلبة الخشية وجلال الموقف على قلبه، وإذا كان يكذب في الطرقات وفي الأسواق فإنه يأبى أن يكذب في مجلس القضاء خصوصاً إذا كان في مسجد من مساجد



(١) سورة المائدة، آية: ١٠٦.

(٢) جمع الفريضة: لحمه عند نُغْضِ الكتف في وسط الجنب عند مَبْنُضِ القلب، وهما فَرِيضَتَانِ تَرْتَعِدَانِ عند الفزع، والفريضة: اللحم الذي بين الكتف والصدر؛ ومنه الحديث: فجيءَ بهما تُرْعَدُ فرائضهما أي تَرْجُفُ. لسان العرب/ فرص.



الله، وبعد الصلاة، وفي حضرة ذوي الحكم والحكمة وأهل الحل والعقد من المسلمين.
ولكن ثمة حقيقة شرعية: الإنسان قَبْلَ البُنْيَانِ والسَّاجِدُ قَبْلَ المَسَاجِدِ هذا ما بينه لنا
ربنا ﷺ.. وعلى هذا ربي رسول الله ﷺ أصحابه وعلى نهجه سار التابعون بإحسان قرنا
بعد قرن وجيلا بعد جيل حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.
وهذا المسجد الذي نحن فيه لما بناه «السلطان حسن» ألحق به (دارًا للطب -
بيارستان) حتى يخفف الآلام عن المرضى، وألحق به مدرسة تحيط بنا من كل مكان حتى
ينقلوا العلم لمن بعدهم، وكانوا يدرسون أكثر من سبعين علما منها الفلك والطب
والهندسة... إلخ؛ حتى مكنهم الله من إقامة مثل هذا البناء الذي مازال شاهجا جميلا، فيه
من الروحانية ما الله به عليم إلى يومنا هذا بعد مضي القرون^(١).



المسجد قال فيه ربنا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (٢) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ
عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يُكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٤﴾^(١)
نعم يجب على المسلمين أن تتعلق قلوبهم برب العالمين دون سواه، فليس لنا رب ندعوه
إلا إياه، ولا هناك إله تتعلق به إلا الرحمن الرحيم الملك القدوس..

(١) يرجع تاريخ إنشائه إلى العام ٧٤٧ هجرية، الموافق ١٣٥٦ ميلادية.

(٢) سورة الجن، آية: ١٨-٢٠.

أما إذا ما كان الأساس على غير التقوى، وامتلاً البنيان بالأشرار وإرادة الشرور فإنه ليس مسجداً معتبراً ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَنُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَنَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْتَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾^(١).

نظر النبي ﷺ إلى الكعبة في يوم فقال لها: «مَا أَطْيَبَكَ وَأَطْيَبَ رِيحَكَ. مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ. مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنُّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا»^(٢).

وَأَيْنَ مَقَامُ الْبَيْتِ مِنْ قَدْرِ إِنْسَانٍ!



(١) سورة التوبة، آية: ١٠٧-١١٠.

(٢) سنن ابن ماجه / ١٢٩٧، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.



إذن...؛ القضية ليست قضية البنيان بل هي قضية ذاك الإنسان الذي يجب أن يتطهر...؛ يجب أن يتطهر في الظاهر من الأنجاس والأرجاس، ويجب أن يتطهر في الباطن فلا يتعلق قلبه إلا بالله لا شريك له، ﴿فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾^(١)، والنبي ﷺ ذهب إلى أهل قباء وسألهم كيف يتطهرون، فقالوا إنهم يستنجون بالماء نزلت هذه الآية تزكي فعلهم.. وحرصهم على كمال الطهارة.. و﴿إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَمُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٢)؛ إذن هم يزيلون عن أنفسهم النجاسات ظاهرا دلالةً وتوسلا وتوصلا إلى إزالة النجاسات الباطنة، فأحبهم الله وأمر رسوله بأن يزورهم وأن يصلي في مسجدهم، ويترك مسجد المنافقين لأن مسجد المنافقين ليست العبرة فيه ببنيان يبنى، وإنما بالدعوة إلى الله وأن تكون خالصة له ﷺ دون ما سواه: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٠٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿١٠٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠٨﴾

هذه هي صورة المسجد المؤسسة التي يعبد فيها المسلم ربه لا يخاف أحدا سواه ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۗ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٠﴾ وَاللَّهُ الشَّرِيفُ وَالْمَغْرِبُ ۗ فَأَيُّمَا تَوْلَا فَنَّمْ وَجْهَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١١﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ كُلُّ لَّهُ قٰنِثُونَ ﴿١١٢﴾ بَدِيعُ

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٨.

(٢) سورة البقرة، آية/ ٢٢٢.

(٣) سورة النور، آية: ٣٦-٣٨.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١﴾.

إذن هذا هو المسجد في دين الله؛ مؤسسة بسيطة بناها المسلمون ولم يغالوا فيها، بل جعلوها على أمر بسيط لذكر الله والعلم وعمارة الأرض وتركية النفس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.. جعلوها هكذا وشاعت وذاعت.

فلا بد علينا أن نرجع إليها رونقها الظاهري والباطني ووظيفتها.. لا بد علينا من أن نرجع إلى المسجد وأن نعظم شأنه وأن نلتف فيه حول مفهوم الأمة.. نقرأ فيه كتاب ربنا، ونتدبر قرآننا، وتجتمع قلوبنا على الحق.. نفعل الخير ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

إن المسجد هو البداية وهو النهاية، يفقه ذلك كل أحد ولا يختلف فيه اثنان، وخاطبنا فيه ربنا ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِبِينَ وَالْعَبِكْفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٤).. ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٥).

أيها المسلمون.. لا بد عليكم من أن تنظفوا أفئيتكم ومساجدكم، وأن تقوموا بها خير قيام، وأن تراعوها وأن تصونوا هيبتها ومبانيها، ولا بد عليكم أن ترجعوا وظيفتها ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٦).. ادعوا ربكم.



(١) سورة البقرة، آية: ١١٣-١١٧.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٢٥.

(٥) سورة الحج، آية/ ٣٢.

(٦) سورة القمر، آية/ ١٧.



الله إلى الطريق مدخل الخشوع

من أفكار الخطبة ...

- (١) في عصر اختلت فيه الموازين، وعمت الفوضى وكثرت الفتن والمحن - اشتدت حاجة الإنسان أن يعود للتدين مرة أخرى.
- (٢) تَسَلَّطَ الناس على المسلمين بما لم يكن في عصر من العصور.
- (٣) لا يسلي قلوبنا إلا أن نعود لديننا غضا طريا كما نزل.
- (٤) أول ما يُرفع الخشوع^(١)، ومنه تبدأ الخطوة الأولى في طريق الرجوع.
- (٥) المؤمن خاشع لله في كل شأنه، وفي جميع علاقاته.
- (٦) من الخشوع حركة، ومن الخشوع سكون.
- (٧) والخشوع تهيئة؛ خشوع الأرض يجعلها مهيأة لتلقي الماء للنبت الصالح، وخشوع القلب يهيئه لتَنْزُلِ الرحمات وتَفْجُرُ الأنوار.
- (٨) يا قوم طال الأمد...! هلموا بنا إلى دائرة الخشوع من جديد.
- (٩) هذا ما لم يفعله المسلمون..!

(١) صحيح ابن حبان/ ١٦٠٦، عن شداد بن أوس رضي الله عنه.



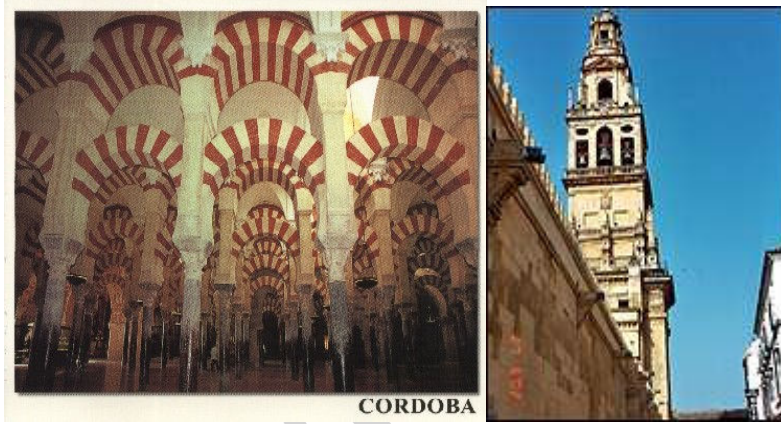


الخشوع

مدخل الطريق إلى الله

ما أحوجنا أيها المسلمون في عصرنا هذا إلى أن نسلي قلوبنا بعلاقة صحيحة مع الله رب العالمين.. فقد كثرت الفتن والمحن والإحزن.. ويَعُدُّ الناس في مجملهم عن الدين.. وشاع ذلك في العالمين.. وخرج الإنسان من عصور الإيَّان، حيث كان كل واحد من البشر يؤمن بشيء ما، حتى إن أهل الوثنية كانوا يؤمنون -والعياذ بالله- بالأحجار والأصنام..!

وفي عصر قد اختل فيه ميزان البشر وميزان العقل الصحيح الرجيح، وعمت الفوضى في هذا العالم الذي كثرت فيه المحن واشتدت على المسلمين، وفتحت عليهم لا كما فتحت عليهم في أي عصر من العصور..! لا في عصور حرب المشركين ضد الإسلام والمسلمين في مهد الدعوة، ولا في عصور الصليبيين ولا التتار، ولا في أي عصر..! ومن بعد أن نُصبت لهم محاكم التفتيش في الأندلس (الفردوس المفقود)، يفتشون منهم الضمائر والنوايا والأفكار، ويعذبون منهم الأجساد في الدنيا قبل الآخرة، ونكّلوا بهم نكالا حتى يخرجوا من دين الله أفواجا كما دخلوا فيه مؤمنين متقين.. حاربوا اللسان العربي بل أمعنوا حتى حاربوا أدنى شبه لخصال المسلمين الظاهرة حتى قتلوا على مجرد التبرد بالماء على هيئة وضوء المسلمين وأن القتل والتعذيب هو الوسيلة الوحيدة لرضا الرب والتطهر من هذا الذنب..!



CORDOBA

مأذنة وبرج "المسجد - الكاتدرائية" في قرطبة مسجد قرطبة من الداخل

وهدمت المساجد... ثم ماذا بعد...!!



بعد خمسة قرون الأذان من جديد: مسجد مسلمي غرناطة

لم يسمح بارتفاع المئذنة أكثر من ١٥ متراً^(١)

(١) نقلا عن: (BBC News) بتاريخ ٩/٧/٢٠٠٣ - تقرير: محمد يحيى: «بعد انتظار دام خمسمئة عام، نجح المسلمون الإسبان أخيراً في بناء جامع بمدينة غرناطة، وعلى مرمى حجر من قصر الحمراء، الذي كان في السابق رمزاً للنفوذ الإسلامي في أوروبا. وقد افتتح المسجد اليوم الخميس برفع آذان صلاة الظهر في غرناطة لأول مرة منذ طرد العرب من الأندلس قبل ٥١١ سنة.. وقد استوحى التصميم المعماري لجامع غرناطة الكبير من تصميم مسجد قرطبة الشهير، والمسجد الأقصى، ويتكون مبنى الجامع من ثلاثة أجزاء هي: قاعة الصلاة، والمركز الإسلامي، والحدائق... ويقول مسلمو إسبانيا إن الجامع يرمز للبعث الإسلامي في أوروبا، وللتراث الإسلامي الغني الذي =



احتاج الناس للدين.. مرة أخرى..

ويحتاج المسلمون أن يعودوا لدينهم غضا طريا كما نزل...

تسلطت الأمم على المسلمين في الشرق والغرب، واحتجنا إلى أن نعيد علاقتنا مع الله، ومدخل ذلك هو الخشوع...؛ لا بد علينا أن نرجع إلى الخشوع، وأن نتدبر شأن الخشوع.. الذي يكون في الصلاة.. في الجوارح.. في القلوب.. في السلوك.. في كل العلاقات التي يقوم بها المسلم في حياته، بينه وبين نفسه، وبينه وبين ربه، وبينه وبين الناس، وبينه وبين كونه المحيط.

الخشوع.. ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١)..

نعم..؛ هذا أول سبب من أسباب الفلاح عند الله، واستجابة الدعاء ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجْنَاهُ بِمَرْيَمَ إِنَّهُمْ كَانَُوا يُسْرِعُونَ ﴿٨٢﴾ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٢).. هذا الخشوع الذي كان عليه آل زكريا هو سبب استجابة الله نداءه الخفي فلم يتركه فردًا.

=تتمتع به بلادهم... وعندما قام مؤذن الجامع بتجربة رفع الأذان من قمة المئذنة، أصيب الجيران بصدمة حين سمعوا صوت المؤذن الذي لم يعتادوا عليه، وغاب عن المنطقة طيلة خمسة قرون.. يذكر أن الحكم العربي الإسلامي في جنوب إسبانيا قد استمر نحو ثمانمئة عام قبل أن ينتهي عام ١٤٩٢م. ولم يف الإِسبان بوعدهم باحترام حرية اعتناق الدين الإسلامي، فأقاموا محاكم التفتيش لإجبار السكان على التحول إلى المسيحية، أما من رفض الانصياع فقد طرد أو قتل. كما هدمت المساجد وبنيت الكنائس محلها. ولم يسلم إلا عدد محدود من المباني والمساجد التي شفع لها جمالها، كقصر الحمراء ومسجد قرطبة الذي تحول لكاتدرائية مزكيتا... وقال المتحدث باسم الطائفة الإسلامية في إسبانيا، عبد الحق سالايريا في مقابلة مع الديلي تلغراف: «إن مدينة غرناطة من الناحية التاريخية هي عاصمة الإسلام في أوروبا. وقد أسلم بعض الإِسبان بحثاً عن جذورهم، وأسلم آخرون مثلي لأسباب إيمانية بحتة». اهـ من: bbc news ٢٠٠٣/٧/٩. الناشر.

(١) سورة المؤمنون، آية: ١-٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٩-٩٠.



وكل واحد منا يشعر في هذا العصر أنه قد صار فرداً، ويدعو الله ﷻ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).. فاللهم يا ربنا استجب دعاءنا، ولا تتركنا وحدنا.. فلا قيمة لنا ولا حول لنا ولا قوة إلا بك.. اللهم يا ربنا علمنا الخشوع معك في قلوبنا وجوارحنا وصلاتنا... وفي شأنا كله.

نعم...؛ الخشوع هنا نوع من أنواع الحركة المباركة؛ لأنهم ﴿كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾^(٢) وهي حركة، ولأنهم كانوا يدعون ربهم رغباً ورهباً.. وهي حركة..؛ والخشوع يكون بالسكون ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٣) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٣﴾.. فظنهم الاعتقادي الجازم بالله وبلقائه في اليوم الآخر وبأنهم إليه يرجعون، ويرجعون..؛ يرجعون من غير حول منهم ولا قوة.. ويرجعون باعتبارها حقيقة كونية خلق الله الخلق عليها.. لينبتنا بما كنا فيه نختلف، وبما كنا نعمل.. ويحكم بيننا ربنا بالحق..

أيها المسلمون.. الخشوع فيه نوع من أنواع التهيئة.. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِمَ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤)..؛ فخشوع الأرض يجعلها مهيأة لتلقي الماء.. يجعلها مهيأة للنبت الصالح، وخشوع القلب يجعله مهيأً لتنزل الرحمت من عند رب العالمين، وتفجر الأنوار، وكشف الأسرار.

(١) سورة الأنبياء، آية: ٨٩.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٥-٤٦.

(٤) رأينا ذلك في البخاري ومسلم كما في النداء لصلاة الكسوف، ولمهمات الأمور كما في الإمارة- ٤٧٣٢ عند مسلم يروي عمرو بن العاص: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي سَفَرٍ. فَتَزَلْنَا مَنَزِلًا. فَمِنَّا مَنْ يُصَلِّحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا... إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ.. الحديث». وغير ذلك.. في حياة النبي وبعد انتقاله ﷺ، بدءاً من خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.



أيها المؤمن.. إنك في حاجة إلى الدخول في دائرة الخشوع.. تتبع مقتضيات ذلك في القرآن الكريم: من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصبر على الحق ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(١) من الديمومة على العهد.. من حسن الاعتقاد.. من التعلق برب العالمين.. من حب رسول الله ﷺ.. من اتباعه.. من جعله أسوة حسنة.

أيها المؤمنون.. إننا في حاجة إلى الخشوع تهيئةً للتجليات والرحمات الربانية، عسى الله ﷻ أن يسلي قلوبنا، وأن يثبت أقدامنا وأفئدتنا إلى أن نلقاه ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢).

عباد الله..! ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٣).



(١) سورة العصر، آية: ٣.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٩.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٦.

التكليفات ثلاثة

من أفكار الخطبة

- (١) أمة واحدة، مهما ترامت أقطارها وتباعدا أفرادها، بنيانٌ واحد وإن أرادوها شتاتاً..!
- (٢) أوجه الخطاب التكليفي في الإسلام ثلاثة: للفرد، وللجماعة، وللأمة.
- (٣) قوموا بنا نلتفت إلى أنفسنا كأمة واحدة، ونتعالى على البلاء الداخلي والخارجي.
- (٤) هيا بنا نستشعر منة الله علينا بإجابة دعوة أبنينا إبراهيم عليه السلام فينا.
- (٥) فينا بعث الله صلى الله عليه وسلم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم يتلو علينا آيات الله، ويعلمنا الكتاب، والحكمة، ويزكينا..؛ فالحمد لله على نعمة الإسلام.
- (٦) تلك هي النعمة العظمى، فماذا علينا إذ عرفناها!!
- (٧) تكليفات ثلاثة جامعة لأبواب الخير: الذكر، والشكر، والاستعانة بالصبر والصلاة.



التكليفات ثلاثة

فيا أيها المسلمون يقول رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(١)؛ فالبنيان لا يستقيم إلا إذا اتحدت الأمة، ويقول ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»^(٢).. أمة واحدة تعبد رباً واحداً، وتتبع نبياً واحداً، وتتلو كتاباً واحداً، وتوجه وجوهها قبلة واحدة..؟

أمة واحدة وإن أرادها الكافرون شتاتاً، وإن أرادها الفاسقون كذلك، والأمة كل أفرادها يجب بعضهم بعضاً..؛ فهيا بنا نتعدى الكافرين وشأن الفاسقين، ونذهب إلى رب العالمين نأخذ منه ونسمع كلامه ، والذي يوجهه إلى الأمة من غير فرقة بين أقطارها وإن ترامت أقطارها، ولا بين أفرادها وإن تعددت أفرادها؛ يخاطبنا كأمة واحدة، وسنظل كذلك إلى يوم الدين إن شاء الله رب العالمين.

يقول ربنا ﷻ وهو يمن علينا بأن أرسل إلى هذه الأمة رجاء إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣) يقول ربنا: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ -يعني لدعوة إبراهيم وإسماعيل إذ يرفع القواعد من البيت- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) فماذا يا ربي؟

(١) رواه البخاري/ الأدب- ٥٨٨٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ له/ الأدب- ٥٨٧٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٢٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥١.



﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١) أول التكليف في برنامج العمل الآن.. وقد علمتم ما هنالك ممن قد تسلط علينا من خارج الأمة ومن داخلها، وقد علمتم ما هنالك من أنه يجب على الأمة أن تلتفت لنفسها، وأن تقود حالها بنفسها، وأن تتعدى البلاء الخارجي والبلاء الداخلي ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٢).

كثير من الناس يطالبنا بالعمل.. ماذا نعمل؟ هناك ثلاث تكليفات:

التكليف الأول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ»^(٣)،.. وها نحن كلما قرأنا القرآن يؤول أمرنا إلى الذكر، فهلا انخلعت من نسيانك وغفلتك ودخلت في دائرة الذاكرين الله كثيرا والذاكرات؛ حتى يخفف الله عنك - أو عن الأمة بك - هذا البلاء.

التكليف الثاني: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ألا تستعمل النعم التي قد أنعم الله عليك بها في أن تبارزه بالمعصية وأن تواجهه بالذنوب؛ فانخلع من ذنوبك قدر المستطاع وتب إلى الله واستغفره في اليوم مرات؛ فإن سيد الخلق ﷺ يعلمنا - وهو من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر - أنه يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة^(٤)، ولا تكفر بربك واثبت على إيمانك، وتأكد من يقينك لا تهتز ولا تياس، واعلم أن ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥) وأنه ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٦) عرف ذلك من عرف وجهل ذلك من جهل.

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٣) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن بسر المازني - ١٧٣٦٨.

(٤) «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» رواه مسلم - الدعوات / ١٢٦٢ عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) سورة يوسف، آية: ٢١.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١٨.



التكليف الثالث: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾^(١) و«كان رسول الله ﷺ إذا حزبه - ضايقه وأهمه - أمرٌ صلى»^(٢)، ويقول: «خَيْرٌ مَوْضُوعٍ، اسْتَكْبَرُ أَوْ اسْتَقَلَّ»^(٣) ويقول: «بِالْبَلَاءِ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرْحَنًا بِهَا»^(٤).. كان يجد راحته في مناجاة ربه.. في حالة نصره وفي حالة هزيمته.. في حالة تقدم جيوشه وفي حالة إخفاقهم.. في كل حالة هو يرضى عن الله ويلجأ إلى الله ويزداد يقينا بالله؛ ففي كل هذا البلاء الذي نراه ونحيا فيه هُبَّ إلى ربِّك.. إلى الصلاة وتعوّد عليها، لا أقول لك: صلاة الفرض، بل الصلاة النافلة لله رب العالمين.. إذا ضاق صدرك مما تشاهد ومما تسمع ومما تعلم فافزع إلى الصلاة.. ادخل فيها.. ناج ربِّك؛ هو الذي يقول هذا.. هو الذي يرشدنا إلى كيفية الخروج وقد قلت حيلتنا وانعدمت، ومُنَعْنَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ ﷺ، أو لا يمكن أن ينطق لسانك بتمني الشهادة؟! أو لا يمكن أن يتعلق قلبك بتبديل الحال؟! إذ قد خرج الأمر من أيدينا ولم يبق لنا وسيلة إلا كانت أضرم من أختها..!

لا يبقى لك إلا أن تلجئ إلى الله..

من الناس من غرتهم المادة والحياة الدنيا فيئسوا من روح الله و﴿لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥) اثبت على إيمانك.. هُبَّ إلى الصلاة واستعن بالله ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٦) واعتقد العقيدة الصحيحة في هذه الحياة الدنيا، وأنها فانية، وأنها إلى زوال، وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٢) رواه أبو داود/ قيام الليل - ١٣١٩.

(٣) صحيح ابن حبان/ الاجتهاد - ٣٦٠.

(٤) رواه أبو داود/ صلاة العتمة - ٤٩٨١.

(٥) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾^(١) .. صدّقنا ربنا وآمنا وعرّفنا أنهم قد انتقلوا من هذه الحسيّة - من الدنيا - إلى سعة رحمتك وحياتك الأبدية.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَدَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) فينبغي عليك أن تدرب نفسك على الصبر وقد نزل البلاء، وأن تدعو الله ﷻ أن ينزل علينا الصبر حين البلاء؛ حتى يُثبّت أفتدتنا على الحق حتى نلقاه.. لا نهتم بثمرات نقصت، أو بشهداء سبقونا إلى ربنا وخان كثير من الناس دماءهم وأرواحهم عند بارئهم.. لا نهتم كثيرا بأولئك الذين أعمى الله بصائرهم وأراد لهم حساباً عسيراً، لا نهتم كثيراً بأن قد نزعنا الدنيا من أيدينا وقد كنا سادتها عندما كنا نريد وجه ربنا ونطيع أوامره وننتهي عن نواهيها..

نصبر ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٣) ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٤)... ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٥)..

نعم كنا قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فلم نشكر.. نعم قد يكون من كفر غيرنا ولسنا نحن بالذات، ولكننا قد قدر الله علينا أن نبقى في هذه العصور

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٥) سورة النحل، آية: ١١٢.

(٦) سورة النحل، آية: ١١٣.



المتأخرة امتحانا لنا وصبراً، ويُعد الله لنا الجنات التي عرضها السماوات والأرض..؛

فهي فرصة ومنحة وخير رباني ونفحات صمدانية..،

إنما تحتاج إلى الرجال وإلى النفوس الكبار، وإلى المسلم والمسلمة الصالح والصالحة،

إلى ﴿وَالَّذِينَ كَرِهَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرِهْتَ﴾^(١) ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكَرُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا

تَكْفُرُون﴾^(٢).. ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٣٦﴾ أُولَئِكَ

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾^(٣).. هل هناك أفضل من هذا؟ صلوات الله تنزل على

القلب الصابر عندما يسلم ويرضى لكنه يأبى كلاً من الكفر والفسق، ويأبى كلاً من

الطغيان والخذلان، ويأبى كلاً من المعصية والنفاق، ويثبت على ما هو عليه من توحيد

ربه ومن طاعته ومن السعي إليه، ويتمنى الشهادة دائماً ولا ينسى أن يحدث نفسه بالجهاد

إن أتيح له واستنفر إليه فإنه «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِّنْ

نِفَاقٍ» كما أخبرنا رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم^(٤)..، وإذ قد حرمننا من الجهاد الفعلي

فعلينا أن نجاهد أنفسنا حتى يأذن الله لنا وحتى يحكم الله بيننا. اللهم يا ربنا إنا نبرأ إليك

مما فعل هؤلاء ومما يفعل هؤلاء، وحسبنا الله ونعم الوكيل.. وإنا لله وإنا إليه راجعون

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٥).

برنامج عمل لا يحجبنا عنه إلا أننا قد تعودنا أن نتحرك ألسنتنا بالذكر دون

القلوب، وأن نُصلي في غير خشوع، وأن نسعى قبل الوعي، وأن نسكت ونعتقد أن هذا

السكوت هو الصبر.. أو أن نتكلم بغير الحكمة والموعظة الحسنة ونعد أنفسنا قد أدينا

(١) سورة الأحزاب، آية / ٣٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٦-١٥٧.

(٤) صحيح مسلم / الإمارة - ٤٨٨٧. وقال: «قَالَ ابْنُ سَهْمٍ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: فَتَرَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى

عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ»، مشيراً بذلك - وقد أورده في باب الإمارة - إلى أن هذا حين يكون تحت راية ولي أمر المسلمين صفاً واحداً.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٧.



واجبنا دعوة وتبليغا..!!

والأمر ليس كذلك.

فعودوا إلى ذكر ربكم كما ينبغي لوجهه الكريم، وعودوا إلى الصلاة في خشوعها، وعودوا إلى الصبر الذي تنكرون فيه المنكر بقلوبكم وألسنتكم وأفعالكم.. حتى نخرج من هذه الورطة فإننا في محنة وفي فتنة أخبر عنها رسول الله ﷺ فقال: «فِتْنَةٌ تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا»^(١).

أيها المؤمنون.. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^(٢).. هكذا كان شأن الأنبياء الذين فقهوا عن الله، والصبر كما قلت لكم فيه إنكار للمنكر، وفيه ثبات على الحق، وفيه عدم تردد ولا شك ولا ريب في أمر الله، وفيه تسليم ورضا، وفيه توكل عليه ﷻ لا على غيره؛ نطلب النصر منه.. والعون منه.. والتوفيق والهداية منه.



(١) رواه الترمذي/ الزهد - ٢٤٤٧.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٨.

خير تربية لخير جيل

من أفكار الخطبة

- ١ (التربية صُحبة وهم صحبوا خير الخلق ﷺ فكانوا خير الناس.
- ٢ (تعالوا نبحث في هذا الجيل عن مفتاح الخروج من دائرة الظلمات إلى دائرة النور.
- ٣ (أهى الإمكانيات توفرت؟ أم كان عالمهم ملؤه الخير فاستجاب لهم! أم وصلوا إلى مصافّ الملائكة وخرجوا عن طوق البشرية؟!)
- ٤ (عدد قليل في عدة بدائية والعدو محيط من كل جانب للفتك بهم.
- ٥ (الجوع...؟! وأنا، والذي نفسي بيده لأخر جني الذي أخرجكم؛ قوموا...!
- ٦ (جعل الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم ورتب لهم الأولويات؛ بنى فيهم المهمة.
- ٧ (وفي أثناء الطريق تحدثه نفسه!! ولكن ليس من طاعة رسول الله بّد.
- ٨ (وفيهم ماعز.. ومنهم نعيمان..! والثلاثة الذين خُلفوا...!)
- ٩ (أصحاب قضية وأصحاب أصول، لهم ثقافة شائعة لا ينكرها إلا المنافقون.
- ١٠ (عملوا للقضية ونصروا الغاية فخرجوا للعالم بنور الهداية..؛ والعاقل خصيم نفسه.

خير تربية لخير جيل

هكذا النبي ﷺ قد ربي أصحابه فكانت خير تربية لخير جيل على وجه هذه الأرض.. خرجوا حفاة عراة فغزوا العالم وأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، وبلغوا بإذن ربهم دعوة ربهم ﷺ.. نشروا الخير والسلام وكانوا مثالا يحتذى، حتى قال فيهم رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» متفق عليه^(١)، وحتى قال فيهم: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيْمِهِمِ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ»^(٢)، وحتى قال فيهم: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(٣) وحتى قال وهو ينهانا عن أن نخوض فيهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»^(٤)..^(٥)

يعني لو تصدق الصحابي بمُدٍّ من قمح فإن أحدنا لو تصدق بمثل أحد ذهبا لا يبلغ

(١) البخاري/ الشهادات- ٢٦٠٠، ومسلم/ فضائل الصحابة- ٦٤٢٤، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه رزين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. مشكاة المصابيح/ الفصل الثالث- ١(٦٠١٨)- ٢(١٢).

(٣) رواه الترمذي/ العلم- ٢٧٤٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) المد: مكيال معروف عند أهل المدينة يعادل ربع الصاع، وفي الحديث: أنه رضي الله عنه كان يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد. ونصيفه: نصفه، أي: ثمن الصاع، والمقصود الشيء اليسير القليل.

(٥) متفق عليه؛ رواه البخاري/ فضائل أصحاب النبي رضي الله عنه - ٣٥٩١، ومسلم/ فضائل الصحابة- ٦٤٤٠.

قال النووي: وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته رضي الله عنه وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلٍ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد/ ١٠)، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء. والفضائل لا تؤخذ بقياس؛ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (الجمعة/ ٤). مسلم بشرح النووي: فضائل الصحابة- تحريم سب الصحابة ج ١٦ / ٧٨.

ثواب هذا المُدَّ...؛ فلا بد علينا أن نبحث في هذا الجليل، وعلام كان كذلك، ولم نجح؟ ولم
 ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(١)؟ ولم أعز الله بهم الإسلام ونصرهم نصراً مؤيداً؟ لأن
 كل الإمكانات كانت متوفرة عندهم؟ أو أنهم كانوا يعملون في عالم ملؤه الخير والسعادة
 فاستجاب لهم؟ أو أنهم كانوا قد وصلوا إلى مصاف الملائكة الكرام وخلوا أنفسهم من
 كل حاجة بشرية أو من كل شهوة ولم يقعوا أبداً في معصية؟ أو أنهم ماذا كانوا!..
 هؤلاء الصحابة الكرام وهم يسكنون المدينة يحيط بهم العدو من كل مكان يريد أن
 يفتك بهم.. هؤلاء الصحابة الكرام كانوا في عدد قليل وفي عدة بدائية.. هؤلاء الصحابة
 الكرام يروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج نهاراً في وقت القيلولة، في وقت
 لا يخرج فيه الناس بل ينامون قبل الظهر - وهكذا كانت عادتهم يبدؤون يومهم بعد
 الفجر وينامون قبل الظهر - خرج فوجد أبا بكر وعمر فقال: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا
 هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَأَنَا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي
 أَخْرَجَكُمَا. فُومُوا» - خاطبهم بالجمع، فذهبوا إلى ابن التيهان وهو رجل من الأنصار كان
 يسكن أطراف المدينة، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرَّحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا
 رَسُولُ اللَّهِ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ - فإِن الْمَاءَ الَّذِي فِي الْبَيْرِ
 عندهم غير صالح للشرب، فذهب يستجلب ويستعذب لهم ماءً من المدينة من الآبار
 التي كانوا يشربون منها - إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَصَاحِبِيهِ - عرف ما بهم
 جوع - ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ
 فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرَطْبٌ. فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ - يسدون رمقهم ويذهبون جوعتهم به،
 وذهب يذبح لهم شاة - وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ - أي السكين - فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ
 وَالْحُلُوبَ» - يعني لا تأخذ الشاة الحلوب، حتى نستفيد من لبنها، وحتى لا نقضي على
 مورد من موارد رزق تلك الأسرة، وهو في أطراف المدينة يعني وكأنه من الأغنياء،

(١) سورة المائدة، آية: ١١٩.



وعنده بستان فيه عرق من البلح وعنده شياه يستطيع أن يذبح للأضياف منها، وهو لما رآهم يقول نزل بي خير ضيف في العالم ﷺ - فذبح هَمَّ. فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا. فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَسْأَلَنَّ عَنِ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعَ. ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»^(١) ﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾^(٢)...؛ هل هذا هو النعيم يا رسول الله!

أي إنسان رباه رسول الله ﷺ...!!! جعل الدنيا في أيديهم وأخرجها من قلوبهم.. ورتب لهم الأولويات.. بنى فيهم المهمة.

يروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه كان جائعا يسقط من طوله من الجوع ينتظر رسول الله ﷺ أن يرسل له شيئا- وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها- تعرض لرسول الله، فرأى فيه رسول الله ﷺ أثر الجوع فقال: الْحَقُّ أبا هر - يعني اتبعني - وذهب إلى البيت، فوجد لنا قد أهدي له فقال: «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي»، وفي الطريق تحدث نفس أبي هريرة أبا هريرة فيقول لنفسه: كنت أولى بأن أشرب هذه الشربة من رسول الله ﷺ تسد جوعتي..! ماذا تفعل هذه الشربة في أهل الصفة؟! لو أنني قد أتيت بهم لشربوها قبلي ولكن - وهكذا يقول- ولكن ليس هناك بد من طاعة الله ورسوله..

إذا فقد كان يحدث نفسه وقد كان جائعا قليل الإمكانيات، ولم يستطع أن يتغلب على الحاجة البشرية من جوع أو عطش، ولكن لم يكن من طاعة الله ورسوله بد..؛ فذهب فأحضر أهل الصفة وأخذ رسول الله ﷺ يعطي القدر لكل واحد منهم

(١) رواه مسلم/ الأشربة- ٥٢٥٩.

(٢) سورة التكاثر، آية: ٨.

فيشرب حتى يرتوي ويشعر بالري في نفسه وبالشبع في بطنه، حتى انتهى كل من حضر من الشرب فنظر النبي ﷺ إلى أبي هريرة وقال له: «بقيت أنا وأنت» قال: لم يبق إلا أنا وأنت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب» فقال: «اشرب»، فشربت، فما زال يقول: «اشرب»، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكًا. قال: «فأرني»، فأعطيته القدر، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة^(١).

أي قائد هذا؟! أي قائد هذا وأي زعيم يشعر بأتباعه ويقف معهم ويقول: «إنما أنا لكم مثل الوالد للولد»^(٢) كان يخطط نوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم^(٣) ويكون في مهنة أهله^(٤) وصدق ربه حيث وصفه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥).. من هؤلاء الذين خرجوا إلى العالم بنور الهداية؟

لا بد من طاعة الله ورسوله، لكن ما عزا قد زنا، ولكن نعيمان قد شرب الخمر، ولكن المخلفين قد كذبوا في فعلهم وصدقت أقوالهم، ولكن المنافقين في المدينة يصلون مع المسلمين ولا يؤمنون....؛ فلم تكن الأمور على سعة بل كانت الأمور في ضيق في الخارج والداخل.. وفازوا.

فهل يمكن أن نستخلص من ذلك مجموعة من الصفات التي يجب علينا أن نربي أبناءنا عليها حتى نجعل الدنيا في أيديهم ولا نجعلها في قلوبهم.. حتى نعود مرة أخرى إلى المهمة العالية.. إلى ترتيب الأولويات التي رتبها ربنا لنا.. إلى أن نأمر أنفسنا بالمعروف وأن ننهانا عن المنكر، وأن نعمل بلا ملل أو كلل، من غير كسل ولا طلب لأجر سوى من الله، كل هؤلاء كانوا يعملون من غير أجر، يعملون لقضية وغاية وهدف، يلتفون

(١) رواه البخاري/ الرقاق- ٦٣٠٥.

(٢) سبق تحريجه من رواية الدارمي ص ٨٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها- ٢٥٨٤٠.

(٤) أخرجه البخاري/ الأدب- ٥٩٠٠.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

حول المثل الأعلى والإنسان الكامل ﷺ، وهو أمرنا أن تكون لنا قضية وأن يكون لنا هدف وأن نلتف حول الأسوة الحسنة، نهانا عن أن نخرج عن ذلك على مر العصور، فخالقنا وقدمنا الدنيا على الآخرة، والمعصية على الطاعة، والفرقة على السداد والوحدة، فماذا حدث؟ تسلط علينا شرار الناس من الشرق والغرب.. من رعاة البقر وعباد البقر، وأخذوا يضربون في جسد الأمة الإسلامية كما كانت تضرب في كل وقت وحين، وبدأت الأمة الإسلامية تشكو وتئن من كثرة الضرب..! فأين نصر الله؟

نصر الله إذا ما نصرتموه في أنفسكم، فإذا فعلتم فسترون خيرا إن شاء الله تعالى في الدنيا والآخرة، وإذا تركتم فإنه سيسلط عليكم الذل كما أخبر به رسول الله ﷺ، والعقل خصيم نفسه وليتخير كل منا ما أراد ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(١). العقل خصيم نفسه.. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا..؟ كان الإمام الشافعي رحمته الله يقول:

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا * وما لزماننا عيبٌ سوانا

فاللهم يا ربنا انقلنا من دائرة سخطك إلى دائرة رضاك، وعلمنا مرادك، وأعنا على أنفسنا، ووحّد قلوبنا يا كريم.. ادعوا ربكم.

ملخص ذلك كله أن الإنسان لا بد أن يكون له هدف في هذه الحياة الدنيا وهو: عبادة الله، وأن تكون عنده همة؛ فإن الأمور ليست بالأماني وإنما بالعمل والاستمرار عليه، وأن يكون عنده ترتيب للأولويات فيعرف حكمة الخالق ﷻ ومراده، ويقدمه على ما سواه، وأن تكون هناك ثقافة شائعة.. جو عام.. أن تكون هناك أصول معتبرة نسير عليها جميعا؛ فننكر المنكر ونأمر بالمعروف وننهى عن كل ما يؤدي إلى الفساد في الأرض.. نتكاتف ونتعاون ونعمل فريقا واحدا من أجل الله ورسوله.. أن نهتم بتعليم أبنائنا بعد

(١) سورة الكهف، آية: ٢٩.



أن فشا فينا هذا التفرق وذهبت الأصول وأصبحت الثقافة العامة هي ثقافة الكذب وعقلية الخرافة بدلا من هذا الإنسان الذي رباه رسول الله ﷺ!..

ليس السبب في تخلفنا أن لدينا شهوات فقد كانت الصحابة لديها شهوات، أو لأننا نحتاج إلى الأكل والشرب ولا نستطيع أن نتزواج فقد كانت الصحابة كذلك رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وقد رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقدمهم..؛
إنما المسألة أنهم كانوا يعملون لوجه الله لا يريدون من أحد جزاءً ولا شكورا.. إنما المسألة في أنهم كانوا يحبون رسول الله ﷺ وينزلونه المنزلة الأجلل في أنفسهم وحياتهم وسكونهم..

إنما المسألة أنهم كانوا أصحاب قضية وكانوا أصحاب أصول، وكانت لهم ثقافة شائعة لا ينكرها أحد إلا المنافقون في الخفاء..؛ لا بد علينا أن نرجع بإعلامنا وبتربيتنا وبقرارنا السياسي إلى هذا، وإلا فأنتم كما ترون تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعة الطعام ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَا ذِمَّةً﴾^(١).. لا بد علينا أن نبلغ دين الله للعالمين، فاللهم يا ربنا يا كريم بلغ بنا دينك.



(١) سورة التوبة، آية: ١٠.

أسس الربانية في سورة الصف

من أفكار الخطبة

- (١) أرشدنا الله ﷺ طريق التربية ووضعاً أسسها، وليكون المسلم عبداً ربانياً.
- (٢) العبد الرباني عبد قوي في علاقته بربه وبكونه، قوي في نفسه، وفي الناس.
- (٣) تتحوّل الأمور وتختلف الأحوال ولا يتحوّل لأنه يعبد رباً واحداً، ويحمل قضية واحدة، ويدعو إلى حقيقة لا يُغبرّ عليها الدخان.
- (٤) العبد الرباني عبد نصر الله في نفسه وفي العالمين فنصره الله.
- (٥) استواء البنیان أن نكون صفا فيما بيننا وعلى عدونا؛ يشد بعضنا بعضا.
- (٦) حقيقة: القلب تابع للأعضاء فإذا اختلفت اختلفت، ففسد وفسدت.
- (٧) نتسق مع الكون ونسجد معه، ونسبح ويسبح الكون معنا، فنحن على الحق وبالحق قائمون.
- (٨) الخروج من دائرة الموافقة إلى دائرة المخالفة..؛ كبر مقتا..!
- (٩) ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾^(١) قالها ﷺ مع أولئك الحسدة الذين يريدون أن نخرج من ديننا؛ فما بالك فيما بين المسلمين بعضهم بعضا!!
- (١٠) نعم هي محنة... ولكن يمكن أن تكون منحة.

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٩.



أسس الربانية في سورة الصف

فإن الله ﷻ قد ربى المسلمين وأرشدهم إلى طريق التربية وسمى نفسه رب العالمين، ونحن نشكره ونحمده ونثني الخير كله عليه في كل يوم فنقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) وأمرنا في كتابه فقال: ﴿كُونُوا رَبَّيِّنَ﴾^(٢) فالله ﷻ أرشدنا طريق التربية ووضع لنا أساسها، فإذا امتثل المسلم صار عبداً ربانياً. أ.

والعبد الرباني إذا مد يده إلى السماء يدعو فإن الله يستجيب له والعبد الرباني إذا نزل به البلاء أنزل الله سكينته عليه كما أنزلها على رسوله والمؤمنين، والعبد الرباني عبد يعبد الله ويعمر الأرض ويزكي نفسه، والعبد الرباني عبد قوي في نفسه قوي في كونه قوي في علاقته مع ربه قوي في علاقته مع الناس.. تتحوّل الأمور وتختلف الأحوال وهو لا يتحوّل لأنه يعبد رباً واحداً، ويحمل قضية واحدة، ويدعو إلى حقيقة لا يُغبرّ عليها الدخان؛ إنه معلق قلبه بالله ومعلق قلبه بعرش ربنا سبحانه، ومعلق قلبه باليوم الآخر الذي هو الحيوان لو كنتم تعلمون، أي أنه هو حقيقة الحياة الدنيا وهو حقيقة الحياة الآخرة، وأن هذه الدنيا مآلها إلى الزوال، وأنها معبر وجسر إلى غيرها، وأنها فانية وأنها لا قيمة لها ولا تساوي عند الله جناح بعوضة..؛

العبد الرباني عبدٌ عبد ربه على حق.

فكيف التربية؟ وكيف أرشدنا ربنا إلى أن نصير عباداً ننصر الله ﷻ في أنفسنا وفي العالمين؟ يبين ربنا ﷻ - كدستور للتربية - في سورة أسماها «سورة الصف» لأن الله ﷻ أمرنا أن نكون في عبادته صفاً..؛ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلْبِسَنِي مِنَ الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى،

(١) سورة الفاتحة، آية: ٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٩.

ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ» قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: فَأَنْتُمْ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا!..^(١)

وفي قتالنا ضد العدو نكون صفاً واحداً لا يتخلف منا متخلف، وفي حياتنا نكون أمة واحدة لا يشذ منا شاذ، والشذاذ ساهم ربنا ﷺ بالمنافقين، والشذاذ أخرجهم من جملة الأمة، والشذاذ يقول فيهم رسول الله ﷺ «وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»^(٢)، يقول: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَالشَّيْطَانُ مَعَ مَنْ خَالَفَ يَرْكُضُ»^(٣).

ربنا ﷺ يضع لنا دستور التربية؛ فإياها المسلم وكما قال لك رسولك الكريم يُبين لك كيف تُغَيِّرُ ما بنفسك حتى يُغَيِّرَ الله ما بك: «ابدأ بنفسك»^(٤)، وقال عبد الله بن عمر: «يا عبد الله ابدأ بنفسك فاغزها، وابدأ بنفسك فجاهدها»^(٥) لا تلقي المغبة على غيرك، بل ولا تنتظر منه شيئاً بل ابدأ بنفسك.. جدد حياتك.. انطلق من هذه المنطلقات التي جعلها ربك للتذكرة: خمس صلوات في اليوم والليلة تغسلك من أدرانك وذنوبك، وتطهرك كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وفي الجمعة نجتمع على الخير، نتذاكر، نسمع الموعدة، نبدأ بعدها أسبوعاً جديداً، أو يوماً جديداً، أو ساعة جديدة؛ فابدأها بتربية الله لك..

يقول ربنا ﷺ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦) لِيُذَكِّرَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ بِأَنَّ هَذَا الْكَوْنُ يُسَبِّحُ، يُذَكِّرُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ بِأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ هُنَا وَلَقَدْ كَرَّمْتَ عَلَى هَذَا الْكَوْنِ، وَسَخَّرَ اللَّهُ لَكَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ؛ فَكُنْ ذَاكِرًا مَعَ هَذَا الْكَوْنِ لِرَبِّكَ، وَكُنْ سَاجِدًا مَعَ هَذَا الْكَوْنِ لِرَبِّكَ؛ فَإِنَّ الْكَوْنَ يَذْكُرُ وَيَسْجُدُ، وَالْمُسْلِمُ يَذْكُرُ وَيَسْجُدُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أُمَّةٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْآنَ تَذْكُرُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ذَكَرَ

(١) رواه مسلم/ الصلاة- ٩٢٣.

(٢) أخرجه الترمذي/ الفتن- ٢١٩١.

(٣) رواه الطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد/ الخلافة- ٩١٢٣.

(٤) سبق تخريجه من رواية مسلم. ص ٢٣.

(٥) مسند الطيالسي/ الجهاد- ٢٢٧٧.

(٦) سورة الصف، آية: ١.



المسلمين، وليس هناك أمة على وجه الأرض الآن تسجد سجود المسلمين لرب العالمين؛ نحن الأمة الواحدة الوحيدة التي تسجد لرب العالمين، نتسق مع الكون ونسجد معه، ونذكر ربنا ويذكر الكون معنا، فنحن على الحق ونحن بالحق ونحن قائلون من أجل ذلك الحق، ولا يقنط من روح الله إلا القوم الفاسقون الكافرون الخاسرون الظالمون. أيها المسلمون.. يقول ربنا في أول علامة لنا، وأول تربيته على مستوى الفرد، ثم على مستوى الجماعة، ثم على مستوى الأمة، في أي مكان أنت فيه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

يعني لا بد عليك من أن تكون صادقاً، يوافق كلامك عملك ويوافق عملك كلامك، لا بد أن يكون هناك اتساق، لا يكون هناك حجاب بينك وبين الله وبينك وبين الناس، ينبغي عليك أن تتبع القول بالعمل..؛

كل قول له حقيقة في العمل.. الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ حقيقتها التسليم له ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣)..؛

لا تقل ذلك بلسانك دون عملك؛ فالصلاة على النبي باللسان معروفة مشهورة، نُصَلِّي عليه في مجالسنا كلها بالليل والنهار، حتى إننا إذا ما جعلنا مجلس ذكرنا له ﷺ لكُفِينَا ووقينا كما قال حين سئل: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ. قَالَ: «إِذَا يَكْفِيكَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ»^(٤).. الصلاة على النبي

(١) سورة الصف، آية: ٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٤) رواه أحمد بإسناد جيد، والترمذي بنحوه وقال حسن صحيح. عن أبي بن كعب رضي الله عنه. مجمع الزوائد/ الأدعية- ١٧٢٧٩.



هي بدء الذكر الصحيح الذي يُوقر حب رسول الله ﷺ في قلب المؤمن ثم ينطلق.. الصلاة على النبي ﷺ تجمع بين ذكر الله وبين الاعتراف بالجميل لرسول الله؛ فهي تجمع حقيقة الشهادتين معاً، ولا يدخل الإنسان الإسلام إلا بالشهادتين معاً؛ فلو شهد أحدهم «أنه لا إله إلا الله» وكفى - لا يدخل الإسلام إلا بقوله «وأشهد أن محمداً رسول الله».. فاللهم صلّ عليه يا ربنا كما يليق بجلاله عندك..

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).. كان ينبغي عليك أن تُرَبِّي نفسك، وأن تأمر أهلِكَ، وأن تُنبت أبنائك على موافقة قولهم عملهم، وأن يتفق عملهم مع قولهم، وهو أمر ليس بالسهل إنما يظهر ذلك في مواقف الشدة؛ فإذا كان قولك مخالفاً لعملك وكان عملك لا يوافق قولك - فإنك قد كذبت في قولك أو كذبت في عملك.. هلا استطعت أن تأخذ من هذا دستوراً لك ومنهاجاً وبرنامجاً يومياً..؟ تستطيع أن تدرب نفسك للعودة إلى الله؛ عسى أن ينقلك من دائرة سخطه إلى دائرة رضاه وأن يجعلك ممن إذا مد يده إلى السماء يدعو: «يا رب» استجاب له. وهلا انتقلت من هذه الدائرة المظلمة التي فيها المخالفة إلى تلك المنيرة التي فيها الموافقة؛ فإذا بك إذا ما نزل بك مصاب ثبت على الحق الذي أنت عليه، وأرجعت الأمر كله لله، وسرت في طريقك بتبغى وجه الله وحده لا شريك له. أيها المؤمنون.. إن الله ﷻ وصف المخالفة بأنها من الكبائر، ووصفها بما هو أشد من الكبيرة وهو المقت والغضب من الله ومحق البركة، وكل ذلك مصيبة وبلية لكنه لا يظهر إلا في الشدائد، ولا يظهر إلا في المواقف، ولا يكون في حالة الدعة.. والله لا يتركنا على هذه الدعة حتى يمتحن أمورنا، ويمتحن أحوالنا حتى نكون مخلصين له ﷻ على كل حال؛ نعبده ولا نعبد رباً سواه ونستنصره ولا نستنصر أحداً إلا إياه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرَّضُونَ﴾^(٢) بعد

(١) سورة الصف، آية: ٢.

(٢) سورة الصف، آية: ٤.



ما بين لنا ما المقت وما الكبيرة وما الذي يكرهه ﷺ ويُجرمه علينا- يَنْ لنا طريق الخير وما أحبه سبحانه وما يرضى به علينا، وما يوفقنا به وينصرنا: أن نقاتل في سبيله صفًا.. لو كان أهل العراق قد قاتلوا في سبيله صفًا لانتصروا ولكن «الخيانة بئست البطانة»^(١).. لو كانت الأمة في سائرها من خليجها إلى محيطها، أو من طنجة إلى جاكرتا ومن غانا إلى فرغانة- قاتلوا صفًا واحدًا لانتصروا، ولكن غرتهم الحياة الدنيا، وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريجهم..

فحسبنا الله ونعم الوكيل.

الأمة ينبغي أن تكون واحدة وأن تقاتل صفًا واحدًا.. فإذا لم تفعل فما الذي تنتظره؟! وكيف ينزل الله النصر وقد عصيناه على كل المستويات؛ على مستوى الفرد: قلنا ما لم نفعل، وعلى مستوى الجماعة: هربنا وولينا الأدبار، وعلى مستوى الأمة: تفككتنا وانشغلنا بأمور لا نعلم قبيلها من دبرها ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ^(١).

﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ لم يقل «لتظهره» فينسب الأمر إلينا.. لحولنا وقوتنا.. لضعفنا وجهلنا، بل نسبه لنفسه ﷺ، حتى ولو كنا في هذه الحال؛ إلا أنه بعد ما دخل التتار أسلموا، ولما دخل الصليبيون أسلموا، ولما جاء هؤلاء في حرب الخليج الأولى أسلمت طائفة منهم كبيرة.. وها هم لن يخرجوا من هذه الورطة إلا إذا أراهم الله ﷻ ما يسلمون على مثله، ثم نكون نحن لا حول لنا ولا قوة في تبليغ دين الله، ولا يكون لنا وجه عند الله في أننا قد هدينا أحدًا وأرشدناه إليه ﷻ.. بل إنه هو الذي خلق الهداية في قلوبهم من غير حول منا ولا قوة..

(١) من حديث أخرجه الحاكم في المستدرک/ الدعاء والتكبير- ١٩٩٣، وصححه.

(٢) سورة الصف، آية: ٨-٩.



أيها المؤمنون..؛ فرصة عظيمة أن تكونوا أنصار الله ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا
 أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ مَنْ
 أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ
 عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(١) وهناك في سورة آل عمران لما سألهم نفس السؤال..
 ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ
 مُسْلِمُونَ﴾^(٢) ﴿رَبَّنَا﴾ حتى يبينوا صدق ما قالوا في قلوبهم، بعدما أخبروا
 بألستهم توجهوا إلى ربهم: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ
 الشَّاهِدِينَ﴾^(٣) وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٧﴾.. ادعوا ربكم.
 أيها المسلمون.. مصادركم كنز؛

ترك الله فيكم الكتاب والسنة وأهل بيته الكرام، لا وجود لأحد بهذا النسب الثابت
 في العالمين إلا أهل بيت النبي الكريم، ويقول ﷺ فيما رواه الترمذي وأحمد: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي»^(٤) وروى
 مسلم في صحيحه: «أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ. وَأَنَا
 تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ. فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ. وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ
 فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرْكُمْ
 اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(٥) وروى البيهقي: «كِتَابَ اللَّهِ وَسُيَّتِي»^(٦)..
 ترك فينا آيات باهرات ومصادر واضحات، نأخذ من الكتاب وصحيح السنة نبأاً

(١) سورة الصف، آية: ١٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٥٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٥٣-٥٤.

(٤) أخرجه الترمذي / مناقب أهل البيت - ٣٧٤٧ بإسناد حسن، وأحمد في مسنده عن أبي سعيد - ١٠٩٨.

(٥) فضائل الصحابة - ٦١٩٨.

(٦) سنن البيهقي الكبرى / آداب القاضي - ٢٠٧٨٠.



ومنهاجًا لحياتنا على كل المستويات..! الحق بين.. تاريخكم نظيف.. عقيدتكم واضحة..
 ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(١) وقد جاء، فحرف المحرفون وأخفى
 المخفون وغير المغيرون، وما زال العلماء يكتشفون حقيقة ما قد جاء به الرسول المجتبي
 والنبى المحترم ﷺ، وما فعلوا ذلك إلا ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
 الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)..
 ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ قالها مع أولئك الحسدة الذين يريدون أن نخرج من ديننا؛ فما بالك
 فيما بين المسلمين بعضهم وبعض!!

﴿إِنِّي حَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٣)!..

اتحدوا ووحدوا أمتكم وانسوا خلافاتكم، ثقوا بربكم؛ فإن الله على كل
 شيء قدير..،

اعفوا واصفحوا وتعالوا على الأحداث، وادعوا الله، وكونوا دعاة هادين مهديين في
 قوة المؤمن الذي لا يتزحزح، وفي همة تظهر عند المسلمين دائما بعد المحن، يحولون بها
 بفضل الله المحنة إلى منحة ربانية صمدانية..

وكونوا عبادًا ربانيين حتى تقولوا للشيء كن فيكون بإذن رب العالمين.



(١) سورة الصف، آية: ٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٣) سورة طه، آية: ٩٤.



هذا الميراث ونحن ورثته..!

من أفكار الخطبة....

- (١) أخبرنا نبينا ﷺ بما يكون، ووصف لنا المخرج، وأمرنا بالإدراك والتدارك والتجديد، وبشرنا في غربتنا.
- (٢) أحببنا الدنيا، وحرصنا على المال والولد والأنفس، وكرهنا لقاء الله!
- (٣) هل باتت الدعوة إلى الوحدة وكأنها شيء مضحك!! إنها عقلية الوهن.
- (٤) العالم من حولنا يتدين... ونحن وكأننا نخرج من ديننا..!
- (٥) العالم من حولنا يتصالح... ويраهن على الخصام فينا والفصام..!
- (٦) العالم من حولنا يتكتل... فماذا دهانا..!؟
- (٧) العالم من حولنا بعد أن تدين وتصالح وتكتل تحمّل المسؤولية!! فهل نتخلى نحن عن المسؤولية!؟
- (٨) هذا الميراث ونحن ورثته..؟ تعالوا بنا من غير إحباط ولا يأس..؛ نبدأ من جديد.
- (٩) تأملات تربوية ثرية- على مستوى الحرف- في سورة الإسراء.
- (١٠) أولويات ثلاثة للتجديد: تربية الأطفال، وتغيير النفس، وإحداث التوازن في حياتنا.



هذا الميراث ونحن ورثته..!

أخبرنا رسول الله ﷺ عما سيكون، وصدق رسول الله، وهذه الأحداث التي نمر بها تؤكد صدق رسول الله ﷺ على مر القرون وكر الدهور، هذه الأحداث التي وصفها لنا فكانت كما قال، حتى إذا ما رأها أحدنا وكأنه يلتقي بشخص يعرفه غاب عنه من زمن؛ تأكيداً لصدقه ﷺ، وكما وصفها رسول الله ﷺ؛

وصف لنا كيف نخرج منها.. وصف لنا الداء والدواء، فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.. وصف المؤمن فقال: «وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لِللِّسَانِ، وَمَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ»^(١)..

أمرنا أن نُدرك ما حولنا من الأحداث.. أمرنا أن نقايسها على ما عند الله ﷻ.. أمرنا أن نبدأ من جديد فنجدد ديننا الذي ارتضاه ربنا لنا، وأن نتبع أوامره ونجتنب نواهيه، وأن نعيد الكرة هداية للعالمين..

وبشرنا فقال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ عَرَبِيًّا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ عَرَبِيًّا فَطُوبَى لِلْعُرَبَاءِ»^(٢) وقال: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا». قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قَلْبَةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ عُثَاءً كَعُثَاءِ السَّيْلِ يَتَنَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(٣).

أحببنا الدنيا وتمسكنا بها، وحرصنا على المال والأولاد والأنفس، وكرهنا لقاء

(١) من حديث طويل أورده ابن حبان في صحيحه/ استحباب الاجتهاد- ٣٦٠.

(٢) رواه مسلم/ الإيوان- ٣٢٨.

(٣) رواه أبو داود: الملاحم- تداعي الأمم على الإسلام/ ٤٢٩٧، ورواه أحمد في مسنده عن ثوبان رضي الله عنه - ولفظ أحمد: (حب الحياة وكرهية الموت) ٢٢٠١٩، وفي الباب عن أبي هريرة بنحوه- ٨٦٤٩، وقال الهيثمي: وإسناد أحمد جيد. مجمع الزوائد/ الفتن- ١٢٢٤٤.



الله...!!! والله منّ علينا أن جعلنا مسلمين.. منّ علينا بالقرآن العظيم.. منّ علينا بالثواب الجزيل وبموجود الجنة..

وكل ذلك لا يؤثّر في الناس، فأصبح المسلمون أكثر الناس عددًا، حتى دخلوا في موسوعات الأرقام القياسية منذ سنة ١٩٩٠م لكنهم تفرقوا شذّرَ مَدَرَّ.. ذهبوا في كل وجه، وبدّدوا وتبدّدوا؛ وما تربّيّا عليه لم نجده في كبرنا.. وذهبت المشروعات الوطنية والقومية والوحدة الإسلامية..

وعادت الدعوة إلى الوحدة وكأنها شيء مضحك!!

العالم من حولنا يتديّن ونحن وكأننا نخرج من ديننا!! هذا زعيم الولايات المتحدة يتمي صراحة إلى مذهب ديني، ويتفاخر فيدعو القساوسة ليباركوه عندما فاز بالرياسة، يقرأ كل يوم كتاب صلوات «أوزالد شامبرز» الذي يجعل صلاة لكل يوم.. يقوم مُبكرًا فيبدأ حياته بالصلاة.. هذا زعيم السوفييت وروسيا يفتخر بأنه يذهب بزوجه إلى الكنيسة ويتباهى بها، وآخر رأيناه تلميذا نجيبا لشيخه هناك في الولايات المتحدة وعلى مذهبه سنوات.. يقرأ ما يقرأ ويشرب ما يشرب.. ويتفاخر بأنه متديّن.. وهؤلاء الهندوك منهم المتعصبون لا يخفى عليكم حالهم.. وهؤلاء الملاحدة تديّنوا، حتى بالبوذية التي لا تريد شيئًا على الإطلاق، لكنهم يريدونها.. لأنها دين.. أي دين.

بدأ الناس في العالم كله يرجعون إلى أديان الوثنية والكفر والإلحاد، ويتديّنون ويفتخرون بدينهم. فما بال أقوام من جلدتنا ولا يفتخرون بدينهم وشرعتهم، وكأن الإعلان عن الإسلام معرّة!! وهو دين الحق ولا يقبل الله بشرك من الناس سواه.. وهو دين الفطرة ولو كره الكافرون.. ولو كره المشركون.

العالم يتصالح.. الحاكم تصالح مع المحكوم في أركان الأرض كافة، وحكام المسلمين ألا يصطلحون مع شعوبهم.. وشعوب المسلمين ألا تزال تتوجّس خيفة من حكامهم!

أما أن لنا أن نرجع إلى الوحدة فيُحب الحاكم المحكوم والمحكوم الحاكم فتخافه



الأمم؟! إنهم يراهنون علينا على هذا الفصام.. أن يكون الحاكم في واد والشعب في واد آخر.. وأن يكون هناك كراهية يرصدونها بين حكام المسلمين وبين شعوبهم..

العالم كله يتصالح ونحن الذين ترك فينا رسول الله ﷺ ميراثه والذي يقول: «وَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»^(١)، والذي يقول: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ»^(٢)، وجعل عنواناً لنا في الصلاة إماماً واحداً يأتمر المصلون كلهم بأمره؛ فإذا كبر فركعون، وإذا سمع فيرفعون، وإذا سجد يسجدون..؛ إشارة إلى وحدة الأمة، وتفاعل الحاكم مع المحكوم، والإمام مع الرعية.. «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٣)..

كل العالم يتصالح.. ونحن الذين ترك فينا رسول الله ﷺ قوله: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسَهُ زَيْبَةً»^(٤).

فلا بد علينا من السمع والطاعة والوحدة.. لله..؛ فإذا رأنا الناس على هذه الهيئة خافونا، إلا أنهم يراهنون الآن على ذلك الفصام النكد..

كل العالم يتكتل؛ الـ «نورث أميركا» في الغرب، و«الاتحاد الأوربي» فوقنا، و«الكومنويلث» الروسي حولنا، و«الآسيان» هناك في شرقنا، ونحن على الخريطة في وسط تكتلات نعيش شذر مذر من غير وحدة، ومن غير تعاون، ومن غير تكاتف، ومن غير...؛ ما هذا؟! أين المسلمون..؟! أين الرأي العام؟! لم نحن هكذا؟! ماذا نفعل وما الذي أصابنا!!

كل العالم بعد أن تدين وتصالح وتكتل تحمّل المسؤولية!! ولكننا نرى الناس كثيرا منهم لا يتحملون المسؤولية ولا يريدونها!

ماذا ترك لنا رسول الله ﷺ حتى نبدأ من جديد من غير إحباط ولا يأس بعد

(١) رواه البخاري/ الجمعة- ٨٨٢.

(٢) رواه البخاري/ الصلاة- ٣٧٦.

(٣) رواه البخاري/ النكاح- ٥٠٧٩.

(٤) رواه البخاري- الأحكام/ ٦٩٨٤، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.



سقوط بغداد الثاني تحت الإحتلال؟ يقول رسول الله ﷺ وهو يُفسّر لنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١) «ابدأ بنفسك»^(٢).. غير نفسك.. علّق قلبك برّبك.. ابدأ في تغيير نفسك بنصيحة سورة الإسراء ودستورها - وقد تكلمنا عنه تفصيلاً قبل الآن - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا﴾^(٣).. ربع الحزب هذا فيه أساس من أسس الاجتماع البشري الذي يبدأ فيها المؤمن بنفسه.. علّم طفلك.. وستجد دستور تربية الطفل في القرآن.. تراه في وصية لقمان..

ضع هذه الوصية أمامك، واستخرج منها كيف تُعلّم طفلك العلم، وكيف تُعلّم طفلك العقيدة، وكيف تُعلّم طفلك المسؤولية، وكيف تُعلّم طفلك ذلك المسلم الذي لا يُؤيّل الأدبار.. ذلك المسلم الذي سوف يحمل الدعوة إلى العالمين.. ذلك المسلم الذي لن يتخلى عن بلاده وناسه ودينه بمجرد شهوة الدنيا.. ذلك المسلم الذي يتعلق قلبه بالله رب العالمين..؛ فيدعوه فيستجيب.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾^(٤) - وتعرفون ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٥) - ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِكْرُ اللَّهِ﴾^(٦) - أن اشكر الله ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٧) - ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلْتُهُ فِي غَامِظٍ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِكْرُ اللَّهِ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٣﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا

(١) سورة الرعد، آية: ١١.

(٢) سبق تخريجه من رواية مسلم ص ٢٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

(٦) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٧) سورة لقمان، آية: ١٢.



مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
يَبْنِيْ إِيَّاهَا إِنَّ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ
يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٢١﴾ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٢﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ
صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٣﴾^(١) وصية في كيفية الحياة في الخلق القويم،
يتهيأ بها الإنسان حتى يتقبل وصية سورة الإسراء، عندما يقول له ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ
مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾^(٢) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ
كَانَ خَطِيئًا كَبِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٣).. حتى يقول له
هناك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ
كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ
تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٢٦﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾^(٤).. يتعلم الطفل

هناك في سورة لقمان، ثم بعد ذلك يُذكره بما قد رباه عليه في سورة الإسراء.

«فإن أُعْطِيتْ شَيْئًا - أو قال: خيرًا - فَلْيُرْ عَلَيْكَ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»^(٥) ابدأ بنفسك ثم
بمن تعول؛.. تدبر الآيات والتي يقول فيها ربنا: اقصد في مشيك أي اجعل هدفك في
الحياة واضحًا، اقصد في مشيك أي اجعل لك مقصدًا..؛ لا أن تعبت، ولا أن تلهو؛ ينبغي
عليك ألا تسير في هذه الحياة بدون هدف.. اجعل لك هدفًا، واسع في هدفك، ليس معناها
أن تقصد من مشيك، بل قد أمرك بالمشي، وأمرك في المشي أن يكون لك هدف.

(١) سورة لقمان، آية: ١٣-١٩.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٢٩.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣١-٣٢.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٦-٣٨.

(٥) رواه أبو يعلى وقال الهيثمي: رجاله موثقون. مجمع الزوائد/ الجنائز - ٤٥٣٣.



تدبروا على مستوى الحرف مقاصد ربنا في وصيتنا لتدبير أطفالنا، واشتغلوا بهذا التدبر بعد أن تلتفتوا إلى أنفسكم بقدر المستطاع، وتجعلوا من أهداف سورة الإسراء برنامجاً لكم تعودون فيه إلى ربكم، وتغيرون واقعكم، وتشتغلون بالعمل والعلم معاً، بالدين والدنيا معاً الله عز وجل، بعد أن تتعلق قلوبكم به، وتحبوا لقاءه، فيزول من القلوب الوهن، وتزول عقلية الوهن التي نتجت من الوهن الذي في القلوب، فإن اطلع الله عليكم وعلينا في هذا فإنه ولا بد أنه سيؤلف بين قلوبنا، حيث لو أنفقنا ما في الأرض جميعاً، وهذا واضح ظاهر جلي ما ألفنا بين قلوبهم ولكن الله آلف بينهم..

نريد أيها المسلمون أن يؤلف الله بين قلوبنا مرة ثانية، فلنبداً بتربية الأطفال، ولنبدأ بتغيير النفس، ولنبدأ بإحداث التوازن في حياتنا استعداداً لما هو قادم من الأيام؛ فسقوط بغداد هو أول الطريق وليس هو آخره، والصراع بين الحق والباطل قد بدأ من سنين، وها نحن نترأخى في نصرة الحق ونسكت عن إنكار الباطل..؛
فاللهم يا ربنا هب لنا من أمرنا رشداً.



إنما ينقصنا الهمة

من أفكار الخطبة

- (١) ميراثه ﷺ أمانة في أعناقنا.. ونؤديها لمن خلفنا.
- (٢) ميراث إيمان وعلم وهدى نخرج به الناس كما أخرجنا ﷺ إلى النور.
- (٣) إنما ينقصنا الهمة؛ فتعلم الهمة، كما تتعلم الآية من القرآن.
- (٤) يا عبد الله! لا تكن مثل فلان.. ولا فلان! ومما شرع لنا فلنكتسب الهمة.
- (٥) صاحبُ الصوفية فتعلمت منهم: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل^(١).
- (٦) الهمة تدعوك إلى: مراعاة الأوقات، وترتيب الأولويات، وإتقان الأعمال.
- (٧) ما بين الهمة والههم حرف واحد.. وشتان بين الهَمَم والهَموم!.

(١) قال ابن القيم «بالمها من كلمتين، ما أنفعها وأجمعها، وأدلهما على علو همة قائلها، ويقظته.. ويكفي في هذا ثناء الشافعي على طائفة هذا قدر كلامهم». اهـ. من مدارج السالكين-٣/٩٨. هما من كلام الإمام الشافعي ومن أشعاره **هَمَمْتُهُ** :

فقيهاً وصوفياً فكن ليس واحداً**فإني وحق الله إياك أنصح
فذلك قياس لم يذق قلبه تقى** وهذا جهول كيف ذو الجهل يصلح؟؟

إنما ينقصنا الهمة

فهذا هو شهر ربيع الأول الأنور الأبرك، الذي شرف فيه سيد الكائنات هذا الكون ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضيق إلى السعة، ومن الكفر إلى الإيوان، ومن الضلالة إلى الهدى، سيد الكائنات ﷺ صاحب الخلق الرفيع ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) وعائشة رضي الله عنها أم المؤمنين تقول: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(٢) تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، بين ووضح وجاء للبشرية بالبينات ﷺ، فمن اهتدى وأمن فبتوفيق الله آمن، وهداية ربنا ﷺ اتبعه ﷺ، ومن ضل وأبى وعاند فإنما عاند على نفسه، فهو في شقاء في الدنيا، وهذه الظلمات تخرج من وجوههم يراها كل مؤمن، ويرى على جبين كل واحد منهم (كَفَرَ) لا يخطئها مؤمن في وجوههم، ومن اهتدى نور الله وجهه، ونور الله أثر سجوده، ونور الله قلبه وعرف ربه، وعرف أوليائه.

أيها الناس.. والله إنكم لعلى الحق وهم في الضلالة، ووالله إن رسول الله ﷺ تركنا بإيمان نقله لمن بعدنا، نخرج به الناس كما أخرجنا ﷺ من الظلمات إلى النور، ومن الضيق إلى السعة، ومن الكفر إلى الإيوان، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الاضطراب إلى الطمأنينة، ومن الخوف إلى الأمن.

أيها الناس.. رسول الله ﷺ، وفي شهره الكريم نتعلم منه الهمة، والهمة هي التي تنقصنا.. كان رسول الله ﷺ صاحب همة في الدين والدنيا؛ بالليل يقوم لربه قائماً تالياً راکعاً ساجداً مسبحاً، يقوم وينام، وفي نومه يتهيأ لقيامه، يعبد ربه على كل حال في الشدة

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) بهذا اللفظ رواه أحمد/ حديث السيدة عائشة رضي الله عنها - ٢٤٩٠٤، وأصله عند مسلم/ صلاة المسافرين - ١٦٨٩ في حديث طويل عن سعد بن هشام رحمه الله ورضي عنه، وفيه أنه قال: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَبَيْبِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلَا أَشَأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ...».



وفي السعة، مع قلة المال ومع كثرته؛ لأن قلبه كان معلقاً بالله، ليس لأنه كان مصطفىاً وليس لأنه كان ﷺ مرسلًا، بل لأنه أسوة حسنة لنا..

الهِمَّة.. الهمة عباد الله..؛ رسول الله ﷺ يقول لعبد الله بن عمر: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»^(١) وعائشة تصف حاله فتقول: «كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً»^(٢) (دائمًا) وهو يقول ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٣) ونهانا كما ورد بالقرآن الكريم وعلى لسانه الشريف ﷺ - عن اللغو ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(٤) واللغو يتنزّه عنه الإنسان وهو ليس بحرام^(٥)، لكنه مكروه تضييع به الأوقات، وهو ﷺ يقول: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(٦).

علّم رسول الله ﷺ أصحابه مراعاة الأوقات.. علمهم إتقان العمل وأن أحب الأعمال إلى الله أتقنها؛ فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَفَنَّهُ»^(٧). كان ﷺ يحب الجماعة ويقول: «ثَلَاثٌ لَا يُغْلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ، إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلاةِ الْأَمْرِ، لَزُومُ الْجَمَاعَةِ»^(٨) ويقول: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»^(٩).. أين هذا من

(١) البخاري/ التهجد- ١١٣٥.

(٢) البخاري/ الصوم- ١٩٦٤.

(٣) سبق تخريجه من رواية مسلم، ص ٩٠.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٣.

(٥) مما ترك فينا أبلغ الأثر وأرهف مشاعرنا ونذكره لفضيلة الدكتور الشيخ علي جمعة حفظه الله أنه عند هذا الموضوع من الخطبة صعد درجات المنبر طفل صغير، فقام أحدهم ليأخذه، فقطع خطيبنا خطبته هنيئة خشي عليه أن يتعثر على درجات المنبر ورق له قلبه وفي غير تكلف وفي سكينه ورحمة ظاهرة قال: «اتركه اتركه.. تعال اطلع هنا»، واسترسل في خطبته، وإنا والله لشهد أننا رأينا رأي العين سنة مية أحيها بصنيعه هذا، وكان درسًا لا ننساه كيف تعامل الطفولة..! (الناشر).

(٦) سنن الترمذي/ صفة القيامة- ٢٤٦٢. وقال حسن صحيح.

(٧) أبو يعلى في مسنده- ٤٣٨٩. وفيه مصعب بن ثابت وقد وثقه ابن حبان.

(٨) من حديث رواه أحمد والدارمي وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه/ الفقر والزهد- ٦٥٨.

(٩) رواه مسلم/ الإيمان- ١٥٩.



هذه الحالة المتردية التي يعمل فيها العامل في أوساطنا نصف ساعة في يومه وهو مكلف بثان ساعات؟! أين هذا من شخص يصلي صلاة ويترك الأخرى؟! أين هذا من إنسان مسلم لا يستطيع أن يسيطر على غضبه - ورسول الله ﷺ يقول: «لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ»^(١)؟! أين هذا من شخص لا يستطيع أن يعفو أو أن يرحم ورسول الله ﷺ يقول: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ازْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢) ويقول: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. وَلِيُحَدِّثْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ. فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»^(٣)، وفي قرآن ربنا ﷻ: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤)؟! أين هذا من شخص يعترض على الله في قلبه أو بلسانه والعياذ بالله، وربنا ﷻ أمرنا بالصبر، وجعل معية الصابرين أعلى معية، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٥)..؟

إذن فماذا نفعل حتى نصل إلى الهمة التي كان عليها رسول الله ﷺ؟ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٦) كيف نصل إلى الهمة حتى نكون شهداء على الناس، ويكون الرسول علينا شهيدا؟ كيف نصل إلى اتباع الأسوة الحسنة؟

رسول الله ﷺ يعلمنا ذلك في فرائض الإسلام، بيسر من غير تكلف «أتقن الوضوء» وهو يرتب الثواب الجليل على إتقان الوضوء وإسباغه، حتى لو كان في الشتاء، وحتى لو كان الوضوء يكرهه الإنسان لأنه يصاب بشيء من المعاناة في أن يقوم في الفجر

(١) رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وانظر مسند الشاميين له / يا رسول الله دلني على عمل... - ٢١.

(٢) سبق تخريجه من رواية الترمذي ص ٦٥.

(٣) رواه مسلم / الصيد والذباح وما يؤكل - ٥٠١١. ولفظ الترمذي والنسائي وأبي داود (وليرح).

(٤) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٤٣.



فيجافي مضجعه ليتوضأ، ثم ليصلي، لكن صمم أنت على هذا حتى لو كنت مكرهاً، أقم الصلاة في جماعة فإن يومك ينتظم، والاستمرار في جماعة يولد عندك الالتزام وتعلق قلبك بالمساجد.. بمواطن السجود.. بالجماعات- يولد عندك المهمة، تتولد المهمة من المحافظة على هذه الأشياء، عندما تتذكر دائماً جانب العبادة فيها، ولا تتحول في حياتك إلى العادة؛ لأن العبادة إذا تحولت إلى عادة فقدت معناها وحرمت عظيم ثمرتها وبركتها. النبي ﷺ يرشدك في الصيام إلى الصبر، وإلى حبس النفس، وإلى التهيو، ولكن ينبغي عليك أن تتذكر تلك المعاني؛ فإذ بنفسك تتهياً لك، وتتهياً لكل أنواع الأوامر والنواهي الربانية؛ حتى تصير محمدياً في حياتك.

هناك إرشاد نبوي لطيف في تربية الإنسان لنفسه: أننا إذا لم نستطع أن نكون مخلصين تمام الإخلاص في قلوبنا فلننفع هذا في ظاهرتنا؛ فإن الظاهر ينعكس على الباطن، إذا لم تستطع أن تعفو عن أخيك، فاعف عنه بلسانك، حتى لو كان قلبك لم يطاوعك بالعفو والصفح عنه، قل له: سامحك.

رسول الله ﷺ يقول في مرتبة الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، ولكن يقول بعدها - «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١) ويقول: «ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَحِدُوا بِكَاءٍ فَتَبَاكُوا»^(٢)؛ لأنك عندما تتباكى وليس هناك بكاء في عينيك- يؤثر هذا في نفسك من الداخل ويربيها حتى تصل إلى البكاء، يقول: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(٣) حتى لو كان قلبك لا يتبسم له، فإن هذا التبسم سوف يستدرجك من هذه الحالة التي تأبى فيها النفس وترفض فيها النفس الخير والثواب، سيستدرجك إلى الخير والثواب، حتى يصفح قلبك عن أخيك بتلك البسمة التي تبسمت بها فإنه صدقة، «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ».

(١) رواه البخاري/ الإيمان- ٥٠.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک/ إقامة الصلاة- ١٣٧٨. قال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) سبق تحريجه ص ٦٥.



إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع، فعليك ألا تترك الخير، إن أبى قلبك أن يفعلها فعليك أن تظهر الخير في جوارحك، لو كنت بخيلاً بالعطاء ولا تشعر بالكرم في نفسك وبحلاوة العطاء، اعط الفقير ثم اعط ثم اعط؛ فإن قلبك سيلين؛ فإن الظاهر يؤثر أيضاً في الباطن، عليك باتباع النبي ﷺ في جملة سنته، فإن كثيراً من الناس يقولون ماذا نفعل؟ توضعاً فأحسن الوضوء، ولا تظن أنها محض عبادة ومحض حركات، إنما هي تربية للنفس وتعويد لها على ملكات يصبح فيها الإنسان مسلماً حقاً، يستطيع أن يتحمل المكاره، ويستطيع أن يواجه الشرق والغرب؛ فلا يفر يوم الزحف ولا يخون ولا يسلم، وتنزل الألفة في قلوب المسلمين، والألفة من عند رب العالمين فتوحد الأمة، ووحد الأمة ليست بيد أحد، إنما بيد الله وحده، فألف بين قلوبهم ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾^(١) فهذا من عند الله - ومتى يفعله الله؟ عندما ينظر إليك حيث قال لك رسولك الكريم: «ابدأ بنفسك»^(٢) فيجدك قد بعثت نفسك لله ورسوله..

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٣).

اللهم صل وسلم عليك يا سيدي يا رسول الله ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٤) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض إلا إلى الله تصير الأمور... ادعوا ربكم..



(١) سورة الأنفال، آية: ٦٣.

(٢) سبق تخريجه من رواية مسلم ص ٢٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٠٧.

(٤) سورة الشورى، آية: ٥٢-٥٣.



إلى الطريق خطوات

من أفكار الخطبة

الخطوة الأولى : أن تنزل الرسول ﷺ منك منزلة الوالد للولد.

الخطوة الثانية : الذكر.

الخطوة الثالثة : رؤية دائرة النور ودائرة الظلام.

الخطوة الرابعة: استحضار نفاسة الآخرة في مقابل تفاهة الدنيا.



خطوات الطريق إلى الله

يسأل كثير من المسلمين، أن الشهوات تغلب عليهم، ثم يبصرون فيستغفرون ويرجعون ويتركون، ثم فوراً ينسون ويعودون إلى الشهوات كما كان الحال، فما المخرج من ذلك؟ وقد تتكرر على الإنسان إلى أن يكاد ييأس من نفسه ومن هذا الأمر، لا أقول ييأس من روح الله ف ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) ..

إنما قد كثرت الذنوب وأحاطت بنا المعاصي ومالت النفس إلى الشهوات؛ ردعها المسلم فلم ترتدع، وكرر عليها فلم تفعل، وكلما ذهب بها فراراً إلى الله وإلى طريق الله خالفته وعصته، ورجعت به إلى طريق الشهوات ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾^(٢) فكيف المخرج من ذلك؟

آيات نتلوها وكثير منا يحفظها في سورة الأحزاب، وقفت عندها ورأيت فيها دستوراً في خطوات إذا ما فعلته أيها المسلم أعانك على طريق الله.. في سبيل الله - يرسل الله لك رسولا ولا يجعله أباً لأحد من الرجال، ليكون خالصاً في أبوته لأمته، ويبقى له بعض الإناث فتموت «السيدة زينب» و«السيدة رقية» و«السيدة أم كلثوم» عليهن السلام في حياته ﷺ، وتبقى السيدة «فاطمة» عليها السلام بعده، ويقول لها: «وَأَنْتِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي حَاقًا بِي»^(٣)، فهاتت بعد ستة أشهر من وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ﷺ - وبشاء الله أن يسدَّ نسله إلا من «السيدة فاطمة»، ولم يبق بعد ذلك إلا «الحسن» و«الحسين» ونسلهم الشريف من السادة الأشراف ليمثلوا هذا الذي قاله رسول الله ﷺ معجزة «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي؛ أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي

(١) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٣) صحيح البخاري/ المناقب - ٣٥٤٥.



فِيهِمَا»^(١)، وروى مسلم^(٢) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه «أما بعدُ. أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ. وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوْلَاهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ. فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ. وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَعَبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي. أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي». كتاب الله محفوظ - وإثبات وجود النبي صلى الله عليه وآله في ذاته وأهله محفوظ، وليس هناك كتاب محفوظ ولا أهل بيت قد حفظوا إلا من رفع الله له ذكره صلى الله عليه وآله، وفيها رواه الدارمي^(٣) يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ؛ أَعْلَمُكُمْ»، وقال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٤).

فأي شرف أعظم من هذا..!

فالخطوة الأولى: أن تجعل نفسك ابناً للنبي حيث إن الله صلى الله عليه وآله قد خلاه من الولد، وماتوا جميعاً في حياته صغاراً أطفالاً ولم يبلغوا دور الرجولة، اعتز بنبيك اعتزازك بأبيك... لا.. بل أكثر بكثير، بحيث لا تكون هناك مقارنة بين أبيك وبين النبي صلى الله عليه وآله؛ قد تصاب العلاقة بينك وبين أبيك بشيء من الكدر أو الفتور، لكنها لا تصاب بينك وبين حبيب الله صلى الله عليه وآله...! استحضر صورته أمامك بالليل والنهار، عش معه فإن هذا سيعينك بلا شك على كل خطوات الطريق إلى الله...

أحب رسول الله من قلبك حتى تكون على استعداد لأن تضحي بنفسك في سبيل كلمة تقال في شأنه، لا في سبيل المحافظة على حياته كما كانت الصحابة الكرام تفعل «إنما أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ»^(٥) كانوا يحبونه ويعملون على الحفاظ عليه من كل جانب، ولكن.. وكما قال سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ،

(١) رواه الترمذي وحسنه، وأحمد، وأورده الحاكم في المستدرک بأطول من هذا / معرفة الصحابة-٤٦٢٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله.

(٢) مسلم / فضائل الصحابة-٦١٧٨.

(٣) في سننه / الطهارة والصلاة-٦٧٩.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٥) سبق تحريجه من رواية الدارمي ص ٨٧.



اتَّقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ»^(١)؛

لأنه كان أشجع الناس، وكان أقوى الناس، وكان أجمل الناس، وكان أعلى الناس،

وكان أعلى الناس ﷺ.

الخطوة الأولى: أن تنزل الرسول ﷺ في قلبك منزلة الوالد للولد، حيث خلاه الله ﷻ

من أبنائه الرجال، وأنت تبع له، وكوثر، والله أعطاه الكوثر ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾^(٢)

وروي بسند ضعيف: «تَنَاقَحُوا تَكْتُرُوا فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

بعد ما أنزلت رسول الله ﷺ منزلة المصاحب لك في كل وقت وحين، فإذا بك

تستحي أن تفعل الذنب، وتستحي أن لا تكون هناك همة، وتستحي من أن لا تذكر الله أو

أن تنقطع عن ذكره ﷻ - لأن أباك يراقبك ولأنه معك ولأنه مصاحبك - تستطيع أن

تتخيله، لكن لا تستطيع أن تتخيل ربك؛ لأنها وثنية مفرطة، أما هذا فهو الذي جعله الله

واسطة بينه وبيننا - ولا واسطة بيننا وبينه ﷻ لكن لا يكلمنا - فاجعل رسول الله ﷺ

والدك ومصاحبك.

الخطوة الثانية: بعد ذلك أن تذكر الله ذكراً كثيراً بكراً وأصيلاً، «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ

رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ»^(٤).

الخطوة الثالثة: أن ترى دائرة نور ودائرة ظلام، النور فيه طاقة وفيه بيان وفيه

حلاوة وله طلاوة يكشف عن الحقائق، والظلام فيه برودة ورائحته كريهة وأحواله

(١) رواه أحمد/ مسند علي بن أبي طالب - ١٣٦٠ بلفظ (احمر البأس)، وبهذا اللفظ أورده الحاكم في المستدرک/ قسم الفيء - ٢٦٧٤، وقال صحيح الإسناد.

(٢) سورة الكوثر، آية: ١.

(٣) رواه عبد الرزاق عن سعيد بن أبي هلال مرسلًا. السيوطي/ الفتح الكبير - حرف التاء - ٥٤٦٥ قال المناوي: أسنده ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر قال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف ورواه البيهقي في المعرفة وزاد في آخره عن الشافعي بلاغاً حتى السقط، وسند المرسل والمسند مضعف. فيض القدير - ٣٣٣٦.

(٤) بهذا اللفظ رواه أحمد/ حديث عبد الله بن بسر - ١٧٣٦٨، والبيهقي في الكبرى/ الجنائز - ٦٥٥٨، وابن أبي شيبه / الدعاء، ٢٥١٨٩. ورواه الترمذي وابن حبان في صحيحه بلفظ: «من ذكر الله».



مردية، والله ﷻ من فوق سبع أرقع^(١) جل جلاله يثني عليك لاتباعك لنيك، ولإدراكك النور والظلمة، ولذكرك له كثيرا، فينقلك من الظلام إلى النور، ومن الضيق إلى السعة، ومن الاضطراب إلى الأمن والأمان والسلام في الدنيا أولاً، يعني ستأخذ نصيبك هنا لأن كثيرا من الناس قد تعلقت قلوبهم بالدنيا، ولا يمكن أن نجذبهم إلى الله إلا منها، في الدنيا سيعطيك الله ﷻ، وله ملكوت السموات والأرض، ثم بعد ذلك يعطيك في الآخرة.

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ﴿ فَحْيِيَّتْهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۗ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾^(٢).

هذا الاضطراب وتلك المعاناة التي تجدها سوف تزول، ويتم لك السلام بعد المجاهدة التي جعلتها في الله، سيتم لك السلام في الآخرة، ويجعل الله ﷻ تحية المؤمنين للمؤمنين سلام.. سلام.. سلام..

ثم انظر في هذه الكلمات التي لا يمكن لبشر أن يكتبها، إنها هي من عند الله ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ إذن...؟ سيكون فيه إعداد؛ عندما تعد لضيفك الطعام فإنك تتجهز له، بخلاف الطارق الذي يأتي من غير إعداد فإنك تقدم له ما وجد أكثر أو قل، لكنه هنا فيه إعداد.. والكرم حب والحب عطاء، والكرم في غير مقابل، فالله يعطيك من غير مقابل من غير حساب، والكرم مستمر، و«كريم» أي نفيس جيد غالٍ في مادته؛ فالأجر في مادته سيكون نفيساً وفي شكله وفي مضمونه وفي أثره، وفي تلذذك به، كلمة وُصف بها القرآن «القرآن الكريم»؛ لأنه لا مثيل له، وحفظ الله ﷻ من أن نصف بالكرم كتاباً غيره؛ فيقولون كتاب مبرور.. كتاب ثمين.. إلا كلمة الكريم؛ فإنها لا تستعمل في خطابات الملوك، والحمد لله رب العالمين، «كريم» هذه كلمة واحدة تجعلك تخرج من الدنيا بحذافيرها.

(١) الأرقع والرقيع: كل واحدة من السموات رقيعٌ للأخرى والجميع أرقعة، فجاء به على التذكير (أرقع) كأنه

ذهب به إلى معنى السقف، وعنى سبع سموات؛ فكل سماء سقف محفوظ كما في الكتاب الكريم. وانظر

الصحاح، ولسان العرب رقع.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٠-٤٤.



أيها المسلمون.. إذا أردت أن تنقل من دوامة الشهوات إلى طريق الله فعليك باتخاذ النبي ﷺ والدًا لك، ومصاحبًا في طريقك إلى الله؛ فإنه هو المبشر والنذير، وهو المبشر والشاهد، وهو المبشر والآخذ بيدك إليه ﷺ، واذكر الله ذكرًا كثيرًا، وانتقل من دائرة الظلمة إلى دائرة النور بصلاة الله وملائكته عليك، ثم بعد ذلك استحضر نفاسة أجر الآخرة في مقابلة تفاهة الدنيا بما فيها ومن فيها، فإذا فهمت ذلك واستوعبته وغيرت مفهموك عن الحياة الدنيا وعن الآخرة، واستصحب رسول الله ﷺ معك كل يوم - فسيعينك ذلك على نفسك في طريق ربك.

كان «المرسی أبو العباس»^(١) يقول: لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما

(١) هو الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي البلسني يتصل نسبه بالصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري (رضي الله عنه) سيد الخزرج وصاحب سقيفة بن ساعدة التي تمت فيها البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة، وكان جده الأعلى قيس بن سعد أميراً على مصر من قبل الإمام علي كرم الله وجهه عام ٣٦هـ. (٦٥٦م).

ولقد ولد أبو العباس المرسي بمدينة مُرسية سنة ٦١٦هـ. (١٢١٩م) ونشأ بها وهي إحدى مدن الأندلس وإليها نسب فقيل المرسي، ولما بلغ سن التعليم بعثه أبوه إلى المعلم ليحفظ القرآن الكريم ويتعلم القراءة والكتابة والخط والحساب. وحفظ القرآن في عام واحد وكان والده عمر بن علي من تجار مرسية فلما استوت معارف أبي العباس وظهرت عليه علائم النجابة أحقه والده بأعماله في التجارة وصار يبعثه مع أخيه الأكبر أبو عبد الله فتدرب علي شؤون الأخذ والعطاء وطرق المعاملات واستفاد من معاملات الناس وأخلاقهم. وفي عام ٦٤٠هـ. (١٢٤٢م) ويروي أبو العباس نفسه عن لقائه بأستاذه الشيخ أبي الحسن الشاذلي فيقول: «لما نزلت بتونس وكنت أتيت من مرسية بالأندلس وأنا إذ ذاك شاب سمعت عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي وعن علمه وزهده وورعه فذهبت إليه وتعرفت عليه فأجبتته ورافقتته» قد تزوج أبو العباس من ابنة شيخه الشاذلي وأنجب منها محمد وأحمد وبهجه، وقد أقام أبو العباس المرسي رضي الله عنه ٤٣ عاماً بالإسكندرية ينشر فيها العلم ويهذب فيها النفوس ويربي المريدين ويضرب المثل بورعه وتقواه... كان ﷺ على الطريقة المثلى من الاستقامة والزهد والورع والتقوى وكان حاد الذهن قوي الفطنة نافذ الفراسة سريع الخاطر زكي الفؤاد مستنير البصيرة حسن الطباع..

وقد أخذ المرسي من كل فن بنصيب وافر وأتقن علوماً كثيرة وكان فقيهاً وأديباً وعالماً بأمور الحياة. وقد ظل الشيخ أبو العباس المرسي يدعو إلى الله ملتزماً طريق التقوى والصلاح ناشراً للعلوم والمعارف بين الخلق ومهذباً لنفوس الطلاب والمريدين حتى وفاته في الخامس والعشرين من ذي القعدة ٦٨٥هـ. (١٢٨٧م) ودفن في قبره المعروف خارج باب البحر بالإسكندرية.



عددت نفسي من المسلمين.

فيا أيها المؤمنون..

يقول ربنا ﷺ - وكأنه يشير إلى هذا الزمن النكد الذي نحياه، وكثر فيه أذى المشركين والكافرين والمنافقين، وخرجوا عن حدهم في طغيانهم على رسول الله ﷺ فلا أدب ولا حياء يقول ﷺ:

﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٥٦﴾ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِينًا ﴿١٥٧﴾ وَنَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿١٥٨﴾ وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٥٩﴾^(١) جرّده وجعل القضية بينهم وبين ربهم، يعاملهم في الدنيا ويعاملهم في الآخرة بما يستحقون.

اشتد أذى المشركين والمنافقين والكافرين في سب رسول الله ﷺ، وهو الشاهد المبشر النذير عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، سيد الكائنات سيد المرسلين والنبين.. اشتد الأذى، ولكن الله ﷻ أمرنا فقال: ﴿وَدَعِ أَذْنَهُمْ﴾ لا تشتغل به؛ فلا نستطيع أن نتسافه كما يتسافهون، ولا أن ننتق بالبذاءة كما ينطقون، فنحن أهل الله وخاصته في الأرض، لا يسجد له الآن سوى المسلمين، لا يسجد له الآن إلا هذه العصاة التي تتبع النبي المصطفى والحبيب المجتبي ﷺ، ولا يلهج بذكره أطراف النهار وأثناء الليل وفي كل وقت وحين - إلا المسلمون.



= ولم يترك أبو العباس المرسى شيئاً من آثاره المكتوبة فلم يؤلف كتاباً ولم يقيد درسا ولكنه ترك من التلاميذ الكثيرين فقد تخرج على يديه في علم التصوف وآداب السلوك ومكارم الأخلاق خلق كثيرون وتلاميذ نجباء منهم الإمام البوصيري وابن عطاء الله السكندري وياقوت العرش الذي تزوج ابنته وابن الحاجب وابن اللبان وابن أبي شامة وغيرهم.
(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥-٤٨.

١٩١

الشريعة الأدب

من أفكار الخطبة

- (١) أحاديث أربعة هي أصول الأدب وامتدات مكارم الأخلاق.
- (٢) وصف رسول الله ﷺ الأدب بحسن الإسلام لأنه من حُسن المعشر.
- (٣) ربط الأدب بالعقيدة وفعلها في حياتنا وفي نفوسنا وداخلنا.
- (٤) انظر إلى نفسك وقد انشغلت بما يعينك واستعليت عن فضول الكلام وترفعت عن الغضب وأحببت أخاك حبك نفسك ما أجملك.
- (٥) هذا المؤدب.. وهو من نرجوه لعبادة الله وعمارة الكون.



روح الشريعة الأدب

فإن روح الشريعة الأدب، روح الشريعة الأدب مع الله ومع النفس ومع الناس، وافتقد المسلمون كثيراً من الأدب، وصارت عندهم العبادة عادة، وتخلوا عن القيم والأخلاق التي قال عنها رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١)، وهو الذي وصفه ربه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

تركنا رسول الله ﷺ وبين لنا أصول الأدب في أحاديث أربعة..

أولها: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(٣) **وثانيها:** «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٤) **وثالثها:** «لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ»^(٥) **ورابعها:** «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٦).. يقول أبو زيد القيرواني رحمته الله وهو من أئمة المالكية: هذه الأربع هي أصول الأدب.

هذه أربعة هي أسس الخير والأدب، إذا تخلق بها المسلم كان مسلماً حقاً، نرى فيها رسول الله ﷺ قد ربط الأدب بالعقيدة وقد فعل العقيدة في حياتنا وفي واقعنا وسلوكنا اليومي، وفعل العقيدة في نفوسنا وداخلنا حتى نسيطر على أنفسنا لله رب العالمين، انظر إلى نفسك وقد استغنيت عن اللغو وفضول الكلام، وقد استغنيت عن تضييع الأوقات، وقد استغنيت عن كل فعل باطل.

ربط رسول الله ﷺ هذا بحسن الإسلام - على الرغم من أنه من حسن الحياة

(١) رواه البيهقي في الكبرى / من تجوز شهادته - ٢١٢٤٢.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) رواه مالك في موطئه / حسن الخلق - ١٦٤٨، وابن ماجه / الفتن - ٤٠٦٢، والترمذي / الزهد - ٢٣٥٥،

وابن حبان في صحيحه / صفات المؤمنين - ٢٢٨.

(٤) صحيح البخاري / الأدب - ٥٨٨٠.

(٥) رواه الطبراني وقد سبق تخريجه ص ١٥٥.

(٦) صحيح البخاري / الإيمان - ١٣.



والمعيشة - فلم يقل من حسن حياة أحدكم أو معاش أحدكم بل جعله من أصل الدين لأن هذا المؤدّب سيكون قد توكل على الله وهذا المؤدّب سيكون في قلبه رضا لله وعن الله ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(١)،

وهذا المؤدّب سيتعلم الصبر ويتعلم الأناة ويتعلم الحلم كما قال لأشجّ عبد قيس: «فيك خصلتان يجبهما الله ورسوله: الحلم والأناة».

هذا المؤدّب سيكون إنساناً صالحاً لعمارة الأرض، ويكون إنساناً قابلاً لنقل هذه الحضارة لمن بعدنا، ويكون مثلاً شاهداً على العالمين وحجة عليهم من قبل رب العالمين ويكون مؤهلاً لنقل الدعوة إلى الناس أجمعين ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٢).

هذا المؤدّب الذي يترك فضول الكلام والقول والاعتقاد والعمل، ويشغل بالإسلام حيث إنه يشغلك بكل مفيد وبكل صالح.

«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» أدب عالٍ، لا نراه في حياتنا حيث يتصدر كل إنسان في غير موضعه وعمله، فيهرق بما لا يعرف، ويتكلم بما لا يتقن، وكل ذلك محسوب عليه لا له، قال رسول الله ﷺ: «كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٍ عَنِ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ»^(٣) فتعجب قوم من ذلك عند سفيان الثوري - رحمه الله تعالى ورضي عنه من أئمة المسلمين -، وقالوا: ما أشد هذا الحديث! قال سفيان: هذا في كتاب الله عز وجل الذي أرسل به نبيكم، فقرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٤) وقال: ﴿وَالْعَصْرُ﴾^(٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٦﴾ إِلَّا

(١) سورة البينة، آية: ٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٣) الترمذي وابن ماجه، وأبو يعلى، وهذه رواية الحاكم في المستدرک/ التفسير - ٣٩٤١ - ٢٥١٢.

(٤) سورة النبأ، آية: ٣٨.



الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿١﴾. وقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١) الآية.

سفيان يستدل بالقرآن على صحة الحديث، ويخلصهم من العجب الذي قد يقتضي رفضه؛ فإن كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا في هذه الثلاثة.

وعندما يقول ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»، فهي كلمة جامعة يحيي الإنسان لتطبيقها أدباً مع الله، كما ورد عن أبي ذر رضي الله عنه فيما أخرجه ابن حبان (٢)، أخبر رسول الله ﷺ أن في صحف إبراهيم: «وَعَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللَّهِ، وَسَاعَةٌ يَحْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ ظَاعِنًا إِلَّا لثَلَاثٍ: تَزُودٍ لِمَعَادٍ، أَوْ مَرَمَّةٍ لِمِعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لِّلِسَانِهِ، وَمَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ» (٤) هذا هو العاقل الذي يريد أن يشغل بما يعنيه من الإسلام لا بما يعنيه من دنياه، هذا هو العاقل الذي يستحي من الله.

وإذا أنت فعلت هذا فإن الناس لا يتركونك، ولكن يستفزونك ليخرجوك عن ذلك الخلق..

فيأتي الحديث الثاني: «لا تغضب ولك الجنة» وربط عدم الغضب بالجنة، والغضب حجاب وحائل على ذهن الإنسان يمنعه من التفكير الصحيح ومن التدبر، ومن اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، والغضب يجعل الإنسان يتهور في حياته، والغضب يجعل الإنسان غير راض عن الله، وربنا ﷻ يستحق منا الرضا، فهو الذي خلق وهو الذي

(١) سورة العصر، آية: ١-٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٣) باب استحباب الاجتهاد في أنواع العبادات - ٣٦٠.

(٤) أحمد والترمذي، والحاكم في المستدرک/ الرقاق - ٧٩٨٧، وقال: صحيح الإسناد.



أمر وهو الذي من أسماؤه الصبور، والله ﷻ يعلمنا على لسان نبينا بل والأنبياء من قبله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^(١) هذا الهدوء النفسي يجعلك أكثر قدرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب والتصرف السليم الصحيح في الوقت المليح. فالأدب كما ترون يكون مع النفس، ويكون مع الله ﷻ، ويكون مع الخلق، لكنك لا تستطيع أن تكون مؤدباً مع الله إلا إذا وصلت إلى الرضا والتسليم، ووصلت إلى التوكل الحق عليه سبحانه، والرضا والتسليم بقضائه وقدره، والتوكل عليه فيما يكون من الأيام لا يكون إذا غضبت؛ لأنك تكون قد نسيت ربك، ولأنك تكون في حالة قد رأيت فيها نفسك، ولأنك لا تستطيع حينئذ أن تسيطر عليها ولا أن تأمرها بما أمرك الله به، ولا أن تقف عند حدود ما نهاك الله عنه، «لا تغضب» ليس معناه ألا يرد الغضب على قلبك، إنما معناه ألا يسيطر الغضب عليك «كَيْسَ الشَّدِيدِ بِالصُّرْعَةِ» -الذي يصرع الناس بجسده القوي وبنياته المتين- «إِنَّهَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٢) لا يكون في كون الله إلا ما أراد، فعلام تغضب؟! هذا الذي غضبت منه - أو له - إنما هو بقدر الله...

قد تحزن حينما انتهكت حدود الله، وهرف الناس بما لا يعرفون..!

قد تحزن عندما ترى الناس يسارعون في الكفر، أو في المعصية والفسق..!

قد تحزن عندما ترى الأمم قد تكالبت على أهل الإسلام وأبت إلا الباطل وارتضت

أن تسلك مسلكه، وأبت الحق وذهبت كل مذهب في محاربتة..

قد تغضب ولكن لا تجعل غضبك يسيطر عليك؛ فتجانب الحق والعدل.. بل كن

عادلا في رضاك وفي غضبك.. كن مع الحق مهما كان حالك...

دُر مع الكتاب حيث دار..

ويأتي الحديث الثالث حتى تتعدى بخيرك إلى الآخرين: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ

(١) سورة يوسف، آية: ١٨.

(٢) صحيح البخاري/ الأدب - ٥٩٧٢.



يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١)، وهذه قد افتقدناها فقامت في قلوبنا أنانية، نرى أنفسنا ولا نرى الناس، ولا يهمننا أن نحمل في قلوبنا همهم، ولا يهمننا أن نحمل في قلوبنا مصالحهم، وهذه مصيبة كبرى، تفتت الأمة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لِيُنَوِّا فِي أَيِّدِي إِخْوَانِكُمْ»^(٢)، والتي أمرنا حينها نقوم إلى الصلاة لرب العالمين أن نصطف صفاً واحداً يشير إلى قلب واحد...

فهل يرضيكم حال الأمة؟ فكيف التغيير؟ «ابدأ بنفسك»^(٣).. «لا ترى القذاة في عين أخيك وتترك جذع النخلة في عينك»^(٤).. اتهم نفسك أول من تتهم، «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»، خطة واضحة فيها المسؤولية تقع عليك أنت بالذات ف «لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا، وَإِن ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِن وَطَّئُوا أَنْفُسَكُمْ، إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَن مُحْسِنُوا، وَإِنِ اسَاءُوا فَلَا تَظْلَمُوا»^(٥).

«لا يؤمن أحدكم». إلى هذه الدرجة! وكأن النبي ﷺ يهز وجدانك وداخلك وقلبك، «لا يؤمن أحدكم» يضع الإيمان في كفة وحبك لأخيك ما تحبه لنفسك في كفة موازية، ويجعل هذا كفتاً لهذا، أفلا تتدبرون ما يقوله رسول الله ﷺ حيث جعل هذا شرطاً للإيمان؟

اللهم فهمنا عن نبيك ما أَرَادَ، اللهم يا ربنا انقلنا من دائرة سخطك إلى دائرة رضاك.

ويأتي الحديث الرابع ليتمم منابع الخير وأساس الأدب، فيأمرنا ﷺ فيه: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، إذن فقد خَلينا ألسنتنا وأقوالنا وأفعالنا من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وشهادة الزور ومن اللغو، إذن فقد أصبحت

(١) سبق تخريجه من رواية البخاري ص ١٧١.

(٢) من حديث رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد موثقون. مجمع الزوائد / ٢٥٠٩.

(٣) سبق تخريجه من رواية البخاري ص ٢٢.

(٤) «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه» رواه ابن حبان في صحيحه الغيبة / ٣٦٦٣.

(٥) سبق تخريجه من رواية الترمذي ص ٩٠.



مُعْتَمِدًا لِلخَيْرِ، تَعَوَّدَ النَّاسُ أَنْكَ لَا تَقُولُ إِلَّا حَقًّا، تَعَوَّدَ النَّاسُ أَنْكَ لَا تَقُولُ الْبَاطِلَ، تَعَوَّدَ النَّاسُ أَنْكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ فَإِنَّمَا تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ تَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، تَعَوَّدَ النَّاسُ أَنْكَ إِنَّمَا تَأْمُرُ بِالخَيْرِ: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

ادعوا ربكم..



أيها الناس.. ارجعوا مرة ثانية إلى أدب الإسلام؛ فإن الإسلام كله حلاوة، وعليه طلاوة يأمر بالنظافة والمعروف وبالجمال، وينهى عن القبح وقلة الحياء وقلة الأدب..
 «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرَكُّهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»..
 «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»..
 «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»..
 «لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ»...

أحاديث أربعة يجعلها لنا رسول الله ﷺ نبراسًا في طريقنا إلى الله، وفي طريقنا إلى الحق، وفي طريقنا في الدنيا.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢).

اجعلوها نبراسًا لكم، دربوا أنفسكم عليها قبل حلول رمضان، فلعله يدخل علينا فيرى الله في قلب واحد منا ما يستوجب أن يستجيب الدعاء. اللهم ارفع عنا البلاء، وارفع عنا أيدي الأمم، وواحد قلوب أمة سيدنا محمد ﷺ، اللهم ارفع عنا أيدي الأمم.



(١) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

الدين المعاملة

من أفكار الخطبة

- (١) تطبيق المعصوم عليه السلام سنة تبيين وتفسر، وتشرع، وتُرشد إلى كيفية إيقاع القرآن الكريم على الواقع المعيش.
- (٢) استنبط العلماء قواعد عامة بليغة هي عنوان على روح الإسلام ونصوصه التشريعية.
- (٣) «الدين المعاملة» مع الله، ومع الناس، ومع النفس.
- (٤) الإخلاص والدوام وحسن الظن أساس المعاملة مع الله.
- (٥) المعاملة مع الناس مبناها على العدل والإحسان والتراحم.
- (٦) معاملتك مع نفسك أساسها الإنصاف.
- (٧) الخُلُق ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس بسجية بلا سبق روية.
- (٨) فضيلة هي الوسط، ورذيلة هي الأطراف..!



الدين المعاملة

تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك..
ترك لنا قرآنا كريماً يتلى إلى يوم الدين ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١) وترك لنا سنةً تبين وتفسر
وتُشرع وتوضح في تطبيق المعصوم ﷺ.. في كيفية إيقاع هذا القرآن الكريم على
الواقع المعيش ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢) ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ
مِنْكُمْ﴾^(٣) ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾^(٤).

والدين أمرنا فيه أن نتدبر روحه ونصوصه ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ
غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٥) وما زال المسلمون يتدبرون في كتاب الله وفي سنة
رسول الله ﷺ، يستخرجون منها القواعد التي بها الحياة، حتى استخرج المسلمون قاعدةً
وإن لم ترد في كتاب ولا سنة إلا أنها تصلح أن تكون عنواناً لكل آية وعنواناً لكل حديث..؛
قالوا: «الدين المعاملة» نعم.. الدين المعاملة مع الله، ومع الناس، ومع النفس.. نعم «الدين
المعاملة» ليس حديثاً وليس آية، وإنما هو قاعدة كلية تُعْنَوْنَ على كل آية وكل حديث.

ترك لنا رسول الله ﷺ مثلاً يُتْحَدَى، حتى ونحن نصوغ قواعدنا الإيمانية فقال:
«الحج عرفة»^(٦) أي أن الحج لا يصلح بدون عرفة.. عرفة هو الركن الأساس في هذا

(١) سورة البقرة، آية: ٢.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٣.

(٥) سورة النساء، آية: ٨٣.

(٦) رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
المشكاة/ المناسك، والحاكم في المستدرک/ التفسير - ٣١٥٠، وصححه. وقال ابن عيينة: فقلت لسفيان
الثوري «أحد رواته»: ليس عندكم بالكوفة حديث أشرف ولا أحسن من هذا. صحيح ابن حبان/ رمي
الجهار - ٣٨٣٢.

الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام..

وقال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»^(١) فالناس لا تعيش في حياتها إلا بالنصيحة، والمسلم لا يكْمُلُ إيمانه إلا إذا نصح الله ولرسوله ولعوام المسلمين وأئمتهم، ولا يصلح له دين إلا إذا تقبَّل بصدر رحب النصيحة عن الآخرين..؛ فكهذه الأحاديث صاغ المسلمون قولهم قاعدةً إيمانية «الدين المعاملة»؛ فليس هناك دين إلا بحسن المعاملة مع الله، وحسن المعاملة مع الناس، وحسن المعاملة مع النفس.

انظر إلى المعاملة مع الله أساسها الإخلاص ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢) أساسها «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى: فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٣) يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من أبواب الفقه، وهو ثلث الدين، وهو الذي يعبر عن موقف القلب من رب العالمين.. فلا بد من النية، ولا بد من الإخلاص فيها؛ المعاملة مع الله مبنية على الدوام..؛

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٤) «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٥)، «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»^(٦). وعائشة رضي الله تعالى عنها تصف عمله ﷺ: «كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً»^(٧) أي كان دائماً لا ينقطع.

(١) مسلم/ الإيمان- ١٥٩.

(٢) سورة غافر، آية: ١٤.

(٣) البخاري/ بدء الوحي- الحديث الأول (١).

(٤) سورة الحج، آية: ١١.

(٥) سبق تخريجه من رواية مسلم، ص ٩٠.

(٦) البخاري/ التهجد- ١١٥٣.

(٧) البخاري/ الصوم- ١٩٦٤.



وأساس العمل مع الله مع الإخلاص والدوام: حسن الظن بالله ﷻ، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»^(١)؛ فَإِنْ أَحْسَنْتَ الظَّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَجِيبُ لَكَ عَلَى حَسَنِ ظَنِّكَ، وَإِنْ أَسَأْتَ فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ.

حسن الظن بالله يستلزم الثقة بما في يد الله ﷻ، ويستلزم حسن التوكل عليه، والله ﷻ يحب المتوكلين عليه، ويستلزم التسليم والرضا بقضائه وقدره في أنفسنا، ويستلزم الالتجاء إليه بالدعاء و«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٢). أحسن تعاملك مع الله فالدين المعاملة.

أما مع الناس..؛ أنبهكم إلى حديثٍ أخرجه أحمد والنسائي عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ، وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٣) لأن النبي ﷺ كان يُحِبُّ فِي بَدءِ الْعَمَلِ وَالتَّعَامُلِ مَعَ الْخَلْقِ وَالنَّاسِ أَنْ يَبْدَأَ بِالرَّائِحَةِ الزَّكِيَّةِ قَبْلَ الْكَلَامِ.. قَبْلَ السَّلَامِ.. قَبْلَ الْإِتِّفَاقِ وَالِاخْتِلَافِ، لِأَبْدَأَنَّ تَكُونَ صَاحِبَ عَطْرِ لَا صَاحِبَ كِيرٍ..؛ لِأَبْدَأَنَّ تَبْدَأَ عِلَاقَتَكَ مَعَ النَّاسِ بِالرَّائِحَةِ الْحَسَنَةِ؛ عِنَاؤًا وَرَمْزًا عَلَى حَسَنِ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ.

الاجتماع عند المسلمين قائم في الأساس على العلاقة بين الرجل والمرأة، وجاء النبي والناس تُهَيِّنُ النِّسَاءَ وَتَقْسُو عَلَيهِنَّ قَالَ: إِنَّهُ يَحِبُّ النِّسَاءَ يَحِبُّ الْمَرْأَةَ لَا عَن غَلْبَةِ شَهْوَةٍ فَحَاشَاهُ ﷺ.. فَقَدْ كَانَ فَارِسًا بِالنَّهَارِ رَاهِبًا بِاللَّيْلِ.. يَقُومُ لِرَبِّهِ ثُمَّ يَنَامُ، ثُمَّ يَقُومُ ثُمَّ يَنَامُ، ثُمَّ يَقُومُ.. كَانَ تَالِيًا لِلْقُرْآنِ، «لَمْ يَكُنْ يَحْجُبُهُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جُنُبًا»^(٤)، وَ«كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»^(٥).

حبه للنساء هو حبه للأمم التي قال فيها: «الزُّمُّهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا»^(٦).. حبه

(١) البخاري/ التوحيد- ٧٢٣٩.

(٢) رواه الترمذي/ الدعوات- ٣٥٠٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) الحاكم في المستدرک/ خير هذه الأمة أكثرها نساء- ٢٧١٨، وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٤) صحيح ابن حبان/ قراءة القرآن- ٧٧٧.

(٥) رواه مسلم/ الحيض- ٧٧٧.

(٦) رواه أحمد في مسنده عن معاوية الليثي/ ١١١.



للنساء هو حبه للبت الذي قال فيها عندما عيروه أن الله لا يُبقي له ذكرا وأن فاطمة أثنى قال: ما لكم ولها زهرة أشمها.. وحبه للنساء حبه للزوجة التي كان يعطف عليها فيكون «في مهنة أهله» كما أخرجه البخاري^(١).. حبه للنساء حبه للأرامل فجعل المنفق عليهن أو على واحدةٍ منهن جزاءه الجنة.. حبه للنساء حبه للمرأة التي يرى الناس نقصانها فيجرحونها ويستغلونها ويهينونها في كل الأرض، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرَّجَالِ»^(٢) «وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْعَرُوفِ وَاللِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ»^(٣).

وبعد ذلك يبين لنا علاقة مستقرة مع ربنا في المعاملة «وجعلت قره عيني في الصلاة» خشوع.. توجّه.. دعاء.. التجاء.. طلب من الله.. صلة بين الإنسان وربه، ديمومة.. أما هذا الحديث فنراه في قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ»^(٤) تولّوا في السابق.. وتولوا أيام النبي ﷺ.. وتولوا إلى الآن، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل فيما يفعلونه في المسلمين من غير مراقبة إلا ولا ذمة فيهم ولا وفي البشرية جمعاء.

أيها المؤمنون.. «وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة» ولا تتولوا كما تولي غيركم كما حذركم نبيكم ﷺ؛ قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ»^(٥) فلا تدخلوا جحر الضب

(١) في الأدب / ٥٩٠٠. الأسود قال: «سألت عائشة: «ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حصرّت الصلاة قام إلى الصلاة».

(٢) رواه أحمد / حديث السيدة عائشة رضي الله عنها - ٢٥٧٩٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٥) رواه البخاري، ومسلم / العلم - ٦٧٣٢ واللفظ له، وقال النووي: والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ فقد وقع ما أخبر به ﷺ. اهـ



وتفعلوا ما فعلوا، ثم بعد ذلك تطلبون من الله النصر..! إنما النصر لمن رفع لواء المجد الرباني إلى العالمين، كما أريه وأراه لرسول الله ﷺ ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(١).. أما العلاقة التي بينك وبين نفسك في معاملتك، فقد أخرج أحمد والترمذي والدارمي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه^(٢)، وهو يتعلم من رسول الله ويطلب منه النصيحة في نفسه، فيقول له ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، وقالوا: وعن الحسن، عن أبي الحسن، عن جد الحسن ﷺ: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحُسْنِ الْخُلُقُ الْحُسْنُ»^(٣).

الدين المعاملة مع الله، ومع الناس، ومع النفس..؛ وقالوا: الخلق ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس بسهولة من غير سيق روية، وتنقسم إلى فضيلة هي الوسط ورذيلة وهي الأطراف، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) فصل اللهم وسلم وبارك على النبي المصطفى والحبيب المجتبي، الذي جاءنا بأحسن ما أنزل إلينا من ربنا، وتم مكارم الأخلاق..؛ فاتقوا الله واتبعوا أحسن ما تسمعون.. وتخلقوا بالخلق الحسن حتى يصير سجية لكم... وادعوا ربكم.

(١) سورة الإسراء، آية: ٥٣.

(٢) أحمد في مسنده عن أبي ذر / ٢١١٠٤، والترمذي / البر والصلة - ١٩٩١، والدارمي / الرقائق - ٢٧٩٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) هذا الحديث المسلسل بالحسن رواه المستغفري في المسلسلات، والقضاعي في مسند الشهاب / إن أحسن الحسن - ٩٨٦، وقال: أخبر محمد بن إسماعيل الكشي وكان ذا خلق حسن، أبنا أبو العباس جعفر ابن محمد ابن المستغفري بحديث حسن، ثنا أبو العباس ابن أبي الحسن، ثنا أبي أبو الحسن، ثنا محمد ابن زكريا الغلابي رجل حديثه حسن، ثنا الحسن، عن الحسن، عن الحسن ابن أبي الحسن، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ... وذكره. ثم قال: الحسن الأول ابن سهل، والثاني ابن دينار، والثالث البصري، والرابع ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كما رواه ابن عساكر، والسيوطي في الفتح الكبير / حرف الهمزة، والدر المنثور / آل عمران آية ١٤٣. وقال صاحب المرقاة: «وذكر شيخ مشايخنا خاتمة المحدثين وآخر المجتهدين جلال الدين السيوطي - رحمه الله - أنه حديث حسن، رواه الحسن عن الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن «أن أحسن الحسن الخلق الحسن». ملا علي قاري / مرقاة المفاتيح / الإبان - ٤٦. جزء ١ / ص: ٢١٧. ط دار الفكر. (٤) سورة القلم، آية: ٤.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله المكرمين، وأصحابه الطاهرين، وأتباعه الأتقياء العلماء الذين يتبعونه على حقٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، واليقين هو الموت؛ انتقل إلى الرفيق الأعلى وترك بعده أمة قال لهم: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١) فاللهم جازه عنا خير ما جازيت نبيًا عن أمته..



(١) سبق تخريجه من رواية البخاري ص ٢٢.

مسئولية الكلمة وكلمة المسئولية

من أفكار الخطبة ...

- (١) ملاك الخير كله في كف اللسان إلا عن خير، ومفتاح الشر كله في حصائد الألسن.
- (٢) لأجل «مسئولية الكلمة» حرّم الشرع الشريف الكذب وقول الزور، والغيبة والنميمة، وسمّى اليمين الفاجرة: الغموس!..
- (٣) «مسئولية الكلمة» جعلت المسلم وقافاً عند كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، حريصاً على رضوان ربه، محترماً أمام نفسه، وأمام الآخرين، وجيهاً عند رب العالمين.
- (٤) «مسئولية الكلمة» أبرمت عقود البيع، والزواج والطلاق، والوصية والهبة.
- (٥) و«كلمة المسئولية» وقوفك بين يدي الله ﷻ يوم القيامة للسؤال، ومن نوقش عُدّب.
- (٦) المؤمن في هذا الكون يُخبر عن الله مراده، وإلا يكون قد افتري على الله.
- (٧) ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١).



مسئولية الكلمة وكلمة المسؤولية

فقد علمنا ربنا ﷺ و علمنا رسوله الكريم ﷺ «مسئولية الكلمة»، و علمنا كذلك معنى «كلمة المسؤولية»، أما عن مسؤولية الكلمة؛ فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿٦١﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٦٢﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٦٣﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿٦٤﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٦٥﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٦٦﴾﴾^(١).

ويعظ رسول الله ﷺ معاذ بن جبل ويوصيه بوصايا ويخبره بفضائل، ويدله على أبواب الجنة، ورأس الأمر وعموده وذروة سنامه، ثم يقول له ﷺ: «وإن شئت أنبأتك بملاك ذلك كله»، فسكت فإذا راكبان يوضعان قبلنا فخشيت أن يشغلاه عن حاجتي قال: فقلت: ما هو يا رسول الله؟ قال: فأهوى بإصبعه إلى فيه قال: فقلت: يا رسول الله وإنا لنؤاخذ بها نقول بألسنتنا؟! قال: «تكلتكم أمك ابن جبل، هل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم!»^(٢).

مسئولية الكلمة جعلت الشرع الشريف يحرم علينا الكذب، ويحرم علينا اليمين الغموس الذي يغمس صاحبه في النار، ويحرم علينا شهادة الزور، ويحرم علينا الغيبة والنميمة، وربنا ﷻ يقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٣)، ويقول: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٤).

(١) سورة ق، آية: ١٦-٢١.

(٢) رواه أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه، وصححه الحاكم في المستدرک/ التفسير- ٣٥٩٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٥٣.



مسئولية الكلمة تبرئ المسلم عن الكذب، وها هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه يحدد المهور، فإذا بامرأة تقوم وتستدل عليه بكتاب الله، فينتهي ويقول: «كُلُّ أَحَدٍ أَفْقَهُ مِنْ عَمَرٍ!» - مرتين أو ثلاثاً - ثم رَجَعَ إِلَى الْمَنِيرِ فَقَالَ لِلنَّاسِ: «إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُعَالُوا فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ، أَلَا فَلْيَفْعَلْ رَجُلٌ فِي مَالِهِ مَا بَدَأَ لَهُ»، وكان عمر رضي الله تعالى عنه وقافاً عند كتاب الله وعند سنة رسول الله ^(١) ويقول: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ رَفَعَ إِلَيَّ عُيُوبِي» ^(٢).

مسئولية الكلمة هي التي تجعل المسلم محترماً أمام نفسه.. محترماً أمام الناس.. وجيهاً عند ربه..؟ إذا ما مد يديه إلى السماء: «يا رب يا رب».. استجاب الله له.

مسئولية الكلمة تجعل الإنسان دائماً حريصاً على ألا تخرج من فمه كلمة تغضب الله، أو تخالف ما كان عليه رسول الله ﷺ.

مسئولية الكلمة أمر مهم في حياة الناس، وأمر مهم تنعقد به عقود البيع وعقود الزواج وعقود الطلاق، تنعقد به الهبة والوصية..؟

الكلمة مسئولية في دين الله..

أما كلمة المسئولية: فربنا ﷺ يقول: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ^(٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَنَّةِ ﴿٤﴾ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٥﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٦﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٧﴾ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٨﴾ ^(٣).

فالمسئولية يقول عنها رسول الله ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدَّ» ^(٤) وربنا ﷺ يقول: ﴿وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ

(١) انظر صحيح البخاري/ الاعتصام بالكتاب والسنة - ٧١٢٢.

(٢) رواه البيهقي / الصداق - ١٤٥٦٢، وبنحوه أبو يعلى في الكبير، راجع مجمع الزوائد/ النكاح - ٧٥٠٢.

(٣) سورة الصافات، آية: ٢٢-٢٧.

(٤) مسلم: اللجنة وصفة نعيمها - إثبات الحساب / ٧١٧٤. من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.



كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١﴾. ويقول ربنا ﷺ ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ ﴿٢﴾.

علمنا ﷺ معنى كلمة المسؤولية، كما علمنا مسؤولية الكلمة.

وفي النهاية فإن المسلم حريص على ألا يصدر عنه إلا الخير، والمسلم حريص على أن يشغل أوقاته كلها بما ينفع الناس وبما ينفع نفسه عند ربه، فاللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. ادعو ربكم..



أما بعد..؛ فإن الإنسان -وبخاصة المسلم- ينبغي عليه ألا يخبر في هذا الكون إلا بما أَرَادَهُ اللهُ فَإِنْ أَخْبَرَ بغيره فقد افترى على الله، ومن هنا حرم الشرع الكذب على الناس، وأمرنا أن نكون مع الصادقين..

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٣﴾.



(١) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١٩.

الكلمة أمانة .. أو خيانة !

من أفكار الخطبة

- (١) مرة أخرى مع جوامع الكلم من أمهات الأحاديث.
- (٢) عمل يقربني من الجنة ويباعدني عن النار؟ سألت عن عظيم وإنه ليسير بإذن الله.
- (٣) لو عرفت ما هنالك لفعلته فلا كلفة فيه، ولا مشقة بليغة ولا حرج، فقد رفع الله ﷻ عنكم الحرج يا أمة الإسلام.
- (٤) الجهاد في سبيل الله غايته الفلاح وإنهاء الفساد في الأرض والخروج عن مفهوم القتل الذي كان علامة على خذلان ابن آدم وعقابه.
- (٥) الإسلام لا يقبل بفتنة تعصف بالدين ولا باحتلال يعصف بالدنيا.
- (٦) خلق الله لنا لسانا واحدا وأذنين؛ حتى نتعلم أكثر مما نتكلم.
- (٧) كلمتان ثقيلتان على اللسان وفي الميزان: الفتوى؛ فهي توقيع عن رب العالمين؛ والتعليم؛ فهو بيان مراد الله ﷻ.
- (٨) من كان ليس أهلاً لذلك ينبغي عليه أن يكفَّ لسانه..!
- (٩) خطر عظيم!! القول على الله ﷻ ورسوله ﷺ بغير علم.
- (١٠) أيها الناس..! اربعوا على أنفسكم.



الكلمة أمانة.. أو خيانة!

مع جوامع الكلم من أمهات الأحاديث التي ترك لنا فيها رسول الله ﷺ دستوراً للعمل يدخلنا الجنة ويبعدنا عن النار، ويكون سبباً لرضا الله عنا في الدنيا والآخرة يستطيعه العالم والجاهل.. القادر والعاجز؛ إنه ﷺ يخاطب بني الإنسان إلى يوم نلتقي فيه عند الديان ﷻ فيخبرنا وينبئنا ويُعلمنا فيما كنا فيه نختلف، وكانت الصحابة الكرام حريصين على أن يتعلموا من سيدنا رسول الله ﷺ دستور العمل، فهذا معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ فِي سَفَرٍ فَأَضْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ»..

«لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ؛ لَأَنْ فِعْلُهُ لَا يَتَأْتِي لِكُلِّ أَحَدٍ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ»... إن نهايته الجنة، وما أدراك ما الجنة، يعني رضا الله.. يعني أن تنتقل من دائرة سخطه إلى دائرة رضاه.. يعني أنه ينظر إليك.. يعني أنك تنظر إليه في الجنة.. يعني أن لك الحسنَى وزيادة، الحسنَى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٦٦﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٦٧﴾﴾^(١).

«وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ» لو عرفت ما هنالك لفعلته فإنه يسير لا كلفة فيه، ولا مشقة بليغة ولا حرج، فقد رفع الله عنكم الحرج «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾^(٢) حَتَّىٰ بَلَغَ

(١) سورة القيامة، آية: ٢٢-٢٣.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.



﴿يَعْمَلُونَ﴾^(١) ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ...

الجهاد الذي يجود فيه المسلم بنفسه لربه فيحامي الله بهذا البذل عرضه وأرضه.. الجهاد الذي من الله على بعض طائفة منا بالقيام به، فكتب لهم الشهادة في سبيله ﷺ.. الجهاد الذي غاب عن القلوب وعن العقول فسلط الله علينا الذل، ومكّن فينا أعداءنا؛ أذلهم الله ومكّن الله منهم في الدنيا والآخرة..

الجهاد في سبيل الله غايته الفلاح وإنهاء الفساد في الأرض والخروج عن مفهوم القتل الذي جعله الله علامة على خذلان ابن آدم وعقابه إلى مفهوم القتال لرفع العدوان، ورفع الطغيان، وعدم السكوت على إنكار المنكر، وعدم السكوت على الإفساد الحسيس للأرض.. فالإسلام لا يقبل بفتنة تعصف بالدين، ولا احتلال يعصف بالدنيا، ولا هذا الهراء الذي يمارسه الصهاينة في فلسطين، ولا الأمريكان في العراق.

إننا نؤمن بالله واليوم الآخر ونعلي راية الجهاد على وجهها، ونؤمن أن الله متم نوره كما أخبر سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

الجهاد ذروة سنام الأمر، هكذا يرشدنا حبيب الرحمن ﷺ.. أيها الناس.. حدثوا أنفسكم بالجهاد، واستعدوا له؛ فإنه ذروة السنام ولا يتم الأمر إلا به.. استعد لأن تكون الدنيا ليست هي غاية أمرك ولا منتهى أملك، ولتكن في يدك ولا تكن في قلبك.. استعد إلى أن تلقى الله في أي لحظة كانت؛ فإن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر، فإذا متنا شهداء في سبيل الله، فيا هنانا ويا منانا ويا جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين..! وإذا متنا حتف أنوفنا فالله عليم بنا وبما قبل من أعمالنا.

(١) ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُدْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة السجدة: ١٦، ١٧.

(٢) سورة الصف، آية: ٨.



فاللهم يا ربنا ثبت أقدام المجاهدين في سبيلك وعلى سنة رسولك وقلوبهم، وأنزل عليهم السكينة حتى نلقاك، واكتبنا في الشهداء ومن الشهداء، وشفعهم فينا يوم القيامة.
 ثم قال: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لُمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ! (١) وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ!» (٢).

رسم لنا رسول الله ﷺ المدخل إلى ذلك كله بأن تقلل من الكلام، وأن يتسع قلبك وتتسع أذناك للسمع وللتعلم، فتكون بذلك منصفًا وتكون بذلك هادئ النفس، وتكون بذلك مميزًا بين الخير والشر، وتكون بذلك قادرًا على العمل الصالح، وتكون بذلك قادرًا على تربية أولادك وناشئتك وشبابك ممن حولك، وتكون بذلك قد قلصت عمل الملكين إلا في الخير؛ فإن حل في هذا اللسان ما أمر به رسول الله ﷺ من ذكر الله ومن كثرة الصلاة عليه ﷺ بالليل والنهار، فإنك تكون قد وصلت إلى الغاية في تربية نفسك، وتربية النفس التي هي الجهاد الأكبر في الزمان، إنها هو للاستعداد للجهاد الأصغر من حيث الزمان، وهو بذل النفس لله في لحظة ما، حتى لا يتسلط أعداء الله على دين الله وأتباعه، فاللهم يا ربنا وفقنا لفهمهم، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.... ادعوا ربكم.



وبعد، فيا أيها المؤمنون «وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ!»

(١) عبارة دعائية لا يراد ظاهرها ولكن تأديب وتنبية من الغفلة وتعجيب وتعظيم للأمر. تحفة الأحوذى - ج ٧/٣٤٨. ومعناها: أنت إذن في عداد الأموات إذا لم تفهم هذا الأمر العظيم.
 (٢) رواه الأربعة. أخرجه الترمذي / الإبان - ٢٦٨٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح.



تصدر للفتوى وللتعليم من ليس أهلاً لذلك، ومن كان ليس أهلاً لذلك ينبغي عليه أن يكف لسانه عن الناس، وابن القيم ألف كتابه الذي أسماه «إعلام الموقعين عن رب العالمين».. عنوانٌ فيه بيان خطورة القول على الله وعلى رسوله بغير علم!!

كثرت الفتاوى في دين الله فكثير المهرج والمرج، وكثير الكلام، وكثير أن يُعرف بما لا يُعرف..

والكلمة أمانة، وخيانتها خيانة.. ونعم الأمانة وبئس الخيانة...
أيها الناس.. اربعوا على أنفسكم^(١)، واشتغلوا بذكر الله، وادعوه بأسمائه الحسنی، وتعلموا العلم النافع، أقيموا الصلاة وأنفقوا مما رزقكم الله سرّاً وعلانية، وصوموا لله رب العالمين، وحجوا البيت من استطاع إليه سبيلاً، وتمسكوا بالجهاد وأعدوا أنفسكم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢).



(١) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ - قَالَ - فَأَهْبَطْنَا فِي وَهْدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، - قَالَ - فَرَفَعَ النَّاسُ أَصْوَاتَهُمْ بِالْتَكْبِيرِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ أُرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا». قَالَ: ثُمَّ دَعَانِي وَكُنْتُ مِنْهُ قَرِيبًا فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بِنَ قَيْسٍ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُزِ الْجَنَّةِ». قَالَ: قُلْتُ بَلَى. قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». اربعوا على أنفسكم: أي أمسكوا ولا تتعبوا أنفسكم، أو: كفوا وارفقوا. لسان العرب ربيع. والمراد عليكم بالسكينة والوقار.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

نخلة القلب من القبيح

من أفكار الخطبة

- (١) أزل من قلبك صور الكائنات والصفات الذميمة.
- (٢) اليقظة بداية الطريق.. فصحح مسيرة قلبك إلى الله.
- (٣) اعلم أن القلب لا يكون فارغا أبدا.. فانظر ما يشغله!؟
- (٤) نخلة القلب من القبيح تؤهله للتخلة بالصحيح.
- (٥) سبيل التخلة: معرفة المفاهيم الصحيحة، ودوام المراقبة، وكثرة الذكر.
- (٦) جددوا إيمانكم..؛ أكثروا من قول: لا إله إلا الله.

تخية القلب من القبيح

فإن الله ﷻ قد خلق ابن آدم وجعل له قلباً و«إن الله تعالى آتية من أهل الأرض وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه أئنيها وأرقها»^(١)، والنبي ﷺ يقول في ظاهر ما نحن فيه من الحياة- ولا ننكر ظاهر ما يقوله رسول الله ﷺ بل نحمله إلى إشارة تشمل الظاهر والباطن- يقول: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»^(٢). نعم فإن ملائكة الرحمن لا تدخل بيتاً في الظاهر إذا كان فيه كلبٌ أو كانت فيه صورة تماثيل، وكذلك لا تدخل قلب المؤمن إذا كانت فيه الصفات الذميمة التي هي كالكلاب العاقرة، أو علقت فيه صورة من هذه الأكوان؛

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾^(٣).

والله ﷻ أمرنا أن نزيل تلك الحجب وتلك الصور وتلك الصفات الذميمة، وأن يبقى قلبنا معلقاً به ﷻ لا يتعلق بسواه، فنخرج من قلوبنا صور الكائنات، ونخرج من قلوبنا كلاباً تعوي من صفات ذميمة، وتتعلق بكل قلبنا بالله رب العالمين، بعرش الرحمن.. «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ»^(٤)، أولئك الذين يظلمهم الله بظلمة يوم لا ظل إلا ظله. ربنا ﷻ يأمر نبيه بهذا البلاغ فيبدأ آياته فيقول: «قُلْ»، وقد ذكرها في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة وهو يأمر نبيه بذلك الفعل ليبلغ عنه ﷻ ما يريد أن يقوله لعباده؛ دلالة على أن هذا القرآن العظيم من عند الله، لم يخترعه محمد ﷺ ولم يأت به من عند نفسه، ولم

(١) رواه الطبراني عن أبي عنبه، وقال الهيثمي: حديث حسن. فيض القدير- حرف الهمزة / ٢٣٧٥.

(٢) رواه البخاري/ بدء الخلق- ٣٢٥٢، و٣١٥٥ بلفظ: (..... ولا صورة تماثيل).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٤) رواه البخاري/ الأذان- ٥٦١. وأوله: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ... الحديث).



يزد فيه حرفاً ولم ينقص، ودلالة على أننا معنيون كذلك ومأمورون بالبلاغ، وأن الأمر ليس خاصاً برسول الله وحده، لكن كذلك المؤمنون به وأتباعه وورثته، وكل من تلا القرآن مؤمناً به، وكأنه نزل الآن إليه من ربه ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١) سمى أولئك الذين قد فضلوا هذه الصور الزائلة التي تكون في قلوبهم - ساهم فاسقين، وكتب على نفسه ألا يكتب عليهم الهداية، ولا لهم الرشاد.

أيها المؤمن.. بداية الطريق اليقظة.. بداية الطريق مع رب العالمين أن تستيقظ من غفلتك وأن تعلم حقيقة الدنيا وأنها إلى زوال، وأن تصحح مسيرة قلبك مع الله، وأن تبدأ بتخلية قلبك من القبيح استعداداً لملئه بالصحيح، وأول ما تبدأ به أن تخرج من قلبك ذلك التعلق بالآباء حتى في أفكارهم ونظمهم، وبالآباء في الرعاية والعناية والاهتمام بهم، وبالأموال والعشيرة والشهوات... وبكل ما سوى الله ﷻ، وليس أن تخرجها من قلبك - كما علمنا الله ورسوله - أن تدمرها، وألا تقوم فيها بشأن قد أمر فيه الله ونهى! بل شأنك فيها ألا يتعلق قلبك بها، وألا تكون أحب عندك من الله ورسوله وجهاد في سبيله، ليس معنى أن تخرجها من قلبك أن توليها ظهرك؛ فكان من دعاء الصالحين: «اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا»..؛ اجعلها في أيدينا نستعملها لله وفي سبيل الله، ونجاهد بها جهاداً كبيراً لله وفي سبيل الله، بحيث لا تؤخرنا عن السعي إلى الله وعن الفعل لله وعن الترك لله؛ فإذا هي أخرجتنا إذن فنحن من الخاسرين، ولا بد من أن نعيد حسابنا مع أنفسنا حتى يكون هذا القلب بيتاً لله ﷻ تدخله ملائكته وأنواره، وتنزل عليه رحماته ونفحاته، ويسير أحدنا في حياته الدنيا مباركا من عند الله.

(١) سورة التوبة، آية: ٢٤.



انخلعوا من أنفسكم ومن شهواتكم ومن دنياكم، لا بتركها إنما بعدم التعلق بها، وهو أمر عظيم يحتاج إلى خطوات، وإلى تربية، ولا بد أن تربي نفسك، والذي يساعدك على هذه التربية كثرة ذكر الله بالليل والنهار بكرة وأصيلا «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله»^(١).

والتخليية والتخليية التي أمر الله بها من التأمل والتدبر ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ﴾ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^(٢) ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)

أيها المسلم.. ابدأ من اليوم بالتخليية، وهو أمر ليس بهين؛ لأنه يحتاج إلى مراقبة النفس، ويحتاج إلى معرفة المفاهيم الصحيحة، ويحتاج إلى كثرة ذكر الله، ويحتاج أن تجعل لنفسك حصة من القرآن، وقد مضي شهر رمضان وها هو شوال قد دخل علينا في بداية عهد جديد مع أنفسنا، وكان النبي ﷺ يكثر على صحابته من قوله: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ» قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٤).
أكثروا... قولوها.. رددوها.. وافهموها.. وعيشوها.

ابدأ في نقل نفسك من دائرة سخطه إلى دائرة رضاه، ولا تستقل هذا العمل؛ فإنك إن فعلت ذلك نور الله قلبك وفتح عليك فتوح العارفين به، وأرشدك الصواب وعلمك

(١) سبق تخريجه من رواية أحمد والترمذي ص ١٦٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٢.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة - ٨٦٤٦، والحاكم في المستدرک/ التوبة والإنابة - ٧٧٣٢، وقال: صحيح الإسناد.

ما الخطأ، وجعل لك فرقاناً، ووقاك وكفاك وهداك ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ﴾^(١)...

فاللهم يا ربنا اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



(١) سورة التوبة، آية: ٢٤.

الخروج عن الظلم

من أفكار الخطبة ...

- (١) «لا إله إلا الله».. هي الحقيقة الكبرى، والقضية العظمى.
- (٢) «الظلم» أول ما ننخلع عنه قلباً وقلبا؛ فيتَّسم سيرنا بالصدق، وسلوكنا بالإنصاف.
- (٣) يتصاعد الظلم من ظلم النفس، إلى الناس، ثم إلى ظلم القضايا الكبرى!
- (٤) اتق دعوة المظلوم..! فليس بينها وبين الله حجاب.
- (٥) التظالم أن تنتقم لمظلمتك بظلم أشد؛ فيشيع الظلم في الناس.. والعدل أساس الملك، وعليه قيام السماوات والأرض.
- (٦) الخروج من ظلم النفس بالتوبة والاستغفار، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾^(١)..!
- (٧) الخروج من ظلم الناس برد المظالم إلى أهلها.
- (٨) ظلم القضايا الكبرى مصيبة وبليّة تتعلق بالأمة كلها، ولا تتعلق بنفسك في ظلم قاصر، أو بمن حولك في ظلم متعدّد.. بل هو أظلم الظلم.
- (٩) تظلم نفسك فهذا ظلم، وتظلم غيرك: أظلم، وظلم القضايا: الأظلم!

(١) سورة النساء، آية: ٦٤.



الخروج عن الظلم

فبعد أن مضى علينا رمضان واستقبلنا شوال، نريد حياة جديدة مع الله وأن نمثل
 لأمر رسول الله ﷺ وهو يقول: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ»- وجعل بداية تجديد الإيمان الذكر-
 فقالوا: كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال: «أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١)..
 و«لا إله إلا الله» يقول في شأنها سيد الخلق أجمعين ﷺ: «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ
 مِنْ قَبْلِي»^(٢)..

«لا إله إلا الله».. الحقيقة الكبرى، والقضية العظمى..؛ يرفعها المسلم في العالمين؛
 ليبلغ عن رب العالمين كل الناس، وفي كل زمان ومكان.

في الجمعة الماضية تكلمنا عن إخراج صور الكائنات من قلب المسلم «عن التخلية»،
 وأن التخلية قرار ينبغي أن تتخذه، وألا تجعل أحداً أو شيئاً في الميزان مع الله -لأن الله
 لا يساويه أحد ولا شيء في العالمين- آباءك أو أبناءك أو إخوانك أو أزواجك أو
 عشيرتك أو الأموال التي اقترفتها أو التجارة التي تديرها أو المساكن التي ترضاهها، وألا
 تجعل مساواة ولا تضع في الميزان مع الله أبداً وُدَّ أحد غيره، من أولئك أو من غيرهم؛
 حتى تكون من حزب الله ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ﴾^(٣).

قرار..! ينبغي أن تتخذه بينك وبين نفسك بالتخلية من القبيح؛ تهيئة لقلبك أن
 تملأه بالصحيح، فالتخلية والتخلية ينبغي أن نستقبل بها عامنا الجديد بعد رمضان..؛
 وأول ما ينبغي أن نخلي قلبنا عنه حتى نخلوا تصرفاتنا وسلوكنا منه- هو الظلم،
 الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤) والذي شاع فيما بيننا يظلم

(١) سبق تخريجه من رواية أحمد ص ٢٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي / أحاديث شتى - ٣٧٢٧ من رواية عمرو بن شعيب رحمته الله.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٤) رواه البخاري / المظالم - ٢٤٠٤.



الرئيس مرؤوسه، ويظلم الأب والأم أبناءهما، ويظلم الأبناء آباءهم وأمهاتهم.. «الظُّلمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وإذا ما ظلم الحاكم الرعية.. ف «الظُّلمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»..

إذا ما ظلم الإنسان نفسه، يتصاعد الظلم من ظلم النفس إلى ظلم الأشخاص، ومن ظلم الأشخاص إلى ظلم القضايا الكبرى، وحينئذ يُحشر الظالم عند الله في العذاب الأليم ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) عنوان وتحذير من رب العالمين ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾..

وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي. وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلَا تَظَالُمُوا»^(٢). والتظالم أن يقع عليك الظلم، فتبحث عن كيفية الانتقام والغضب على من ظلمك، وتوقع به ظلمًا أشد، فيشيع في الناس قسوة القلب وعدم الاعتناء بالالتفات إلى أوامر الله ﷻ، وهذا هو أغلب حالنا اليوم، نظلم ونتظالم، وهذا حال لا يرضى الله عنه، وهو موجب للعقوبة في الدنيا والآخرة، والله يحذرنا ورسوله يبين لنا فيقول: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(٣)..؛ يؤكد على هذا المعنى، فيجعل للظلم مجالاً في نفسه ينبغي أن يبعد عنه، ويجعل العدل قيمة في نفسه ينبغي أن نتحلى بها فيخبر أن دعوة المظلوم تستجاب ولو من كافر؛ فليس الأمر هنا إيمان وكفر، بل الأمر يتمثل في أن: «الظُّلمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ونرى فقهاء المسلمين - ومنهم الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى - يجعل الكافر العادل أقرب من دين الله من المسلم الظالم؛ لأن العدل أساس الملك، وعليه قيام السماوات، والأرض ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلْقَوِي ۗ﴾^(٤)، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبَعْدَ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ﴾^(٥)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٢.

(٢) رواه مسلم / البر والصلوة - ٦٥٢٤.

(٣) رواه البخاري / المظالم - ١٤٠٥.

(٤) سورة المائدة، آية: ٨.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.



وإِنِّي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴿١﴾ ..

والبغي نوع من أنواع الظلم بل هو أعلاها ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢)، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾^(٣) والآيات كثيرة في ذم الظلم بجميع مستوياته وأنواعه؛ يوغل الإنسان الذي ظلم نفسه بترك الطاعة وبعصيان ربنا ﷺ، وبالترخي في شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- يوغل بعد ذلك إلى أن يوقع الظلم بغيره فيكون ظلمًا متعديًا وتكون المصيبة أكبر...؛ يظلمون الناس: الأستاذ الذي ينقل العلم يظلم طلبته، والموظف يظلم المتعاملين معه في المصالح كلها حكومية كانت أو شخصية...

الظلم شاع فيما بيننا..! ونخاف أن نمد أيدينا إلى السماء: يا رب يا رب؛ فلا يستجاب لنا، الظلم مانع من موانع استجابة الدعاء من رب العالمين، والخروج منه يسير على من يسره الله عليه، عسير على من عسره الله عليه..

الخروج من ظلم النفس بالتوبة وترك الكبر وبتترك التعالي على الناس، الخروج منه بترك الأناية التي ينظر فيها أحدنا لنفسه دون سواه، الخروج منه بالتحلي بالرحمة والكرم والحب والعطاء، الخروج منه بمقاومة النفس بالصيام وبذكر الله ﷻ، وبالإكثار من الصلاة، وإيتاء الزكاة، الخروج منه بالعودة إلى سيدنا رسول الله حسًا ومعنى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾^(٤) مجيئًا حسيًا عند قبره المشرف لمن استطاع؛ فليس هناك قبر نبي سواه نقطع به وعلى يقين منه، حتى أننا نكفر من أنكره، ولا يكون من المسلمين أبدًا من أنكر أن هذه البقعة المباركة تضم جثمان النبي ﷺ بأبي هو وأمي، مجيء حقيقي حسبي إلى قبره الشريف ومسجده المنيف، تقف عنده وتستغفر الله، وهو ﷺ يقول: «حَيَاتِي خَيْرٌ

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٥٧.

(٣) سورة هود، آية: ١٠١.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٤.

لَكُمْ؛ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالِكُمْ؛ فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ
 حمدت الله عليه، وما كان من سيئ استغفرت الله لكم»^(١) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ
 جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾^(٢) لأن الله هو مالك السماوات والأرض وهذا ملكه، والظلم هو
 التصرف في غير ملكك، وهذا ملك الله فلا يتصور منه ظلم؛ لأنه فعلاً لما يريد ﴿وَلَا
 يَظْلِمُ رُبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣) ﴿وَمَا رُبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٤).

تقف عند رسول الله حسناً طالبا من الله شفاعته فيك ودعاءه واستغفاره لك،
 وعسى أن تكون ممن يجيب الله دعاء رسوله فيهم، وهم خلا المنافقين الذين قال فيهم ربنا
 ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(٥) فاللهم
 اجعلنا في دائرة المؤمنين، وقنا أن نقع في دائرة المنافقين حيث يدعو سيد الخلق فلا
 يستجاب له.

انظر إلى هذه المصيبة: رسول الله حبيب الرحمن سيد الكائنات يدعو ربه، وربنا لا
 يجيب..! «الظلم ظلمات..»؛ فاللهم يا ربنا اجعلنا من المؤمنين ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا
 أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾^(٦) فَلَا
 وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا
 قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٧) هذه هي الخطة التي يجب عليك أن تتخذها للخروج من
 الظلم وبخاصة من ظلم النفس.

أما ظلم العباد فيجب عليك أن ترد عليهم ما ظلمتهم فيه، وأنت خصيم نفسك

(١) مسند الحارث/ ٩٦٩، عن بكر بن عبد الله المزني.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٤) سورة فصلت، آية: ٤٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ٨٠.

(٦) سورة النساء، آية: ٦٤-٦٥.



أمام ربك؛ فـ «العاقل خصيم نفسه» ابحت وفتش وتوجه بقلبك إلى أن تخرج كلياً من الظلم بكل الوسائل كلاً بحسبه، ورُدَّ المظالم إلى أهلها حتى يقبلك الله ﷻ.
 أما ظلم القضايا الكبرى فمصيبة أكبر وبلية أعظم؛ لا يكون فيه أحدنا ظالماً لنفسه ولا يكون ظالماً لغيره، بل يكون ﴿أَظْلَمُ﴾ أفعل التفضيل الذي يقتضي العلو، وأنه أكثر في المعنى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِقَاتِلِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِقَاتِلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣)..

ظلم القضايا الكبرى مصيبة وبلية تتعلق بالأمة كلها، ولا تتعلق بنفسك في ظلم قاصر، أو بمن حولك في ظلم متعدّد، ولذلك ينبغي علينا أن نخرج من الظلم بكلنا. ادعوا ربكم..؛ فالغيث ينزل..



(١) سورة البقرة، آية: ١١٤.

(٢) سورة السجدة، آية: ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٢١.



الظلمُ ظُلُمَاتٌ

من أفكار الخطبة

- (١) الظلم حرام، وحرمة من كل جهة؛ فلا تتعلق بزمان ولا مكان ولا أحوال ولا أشخاص، ولا بنوع ولا جنس ولا طائفة ولا قوم دون آخرين.
- (٢) العلاقة بين الظلم والظلام: كلاهما يُعمي، هذا عن الحقوق وذاك عن الحقيقة.
- (٣) دعوة المظلوم تستجاب ولو من كافر فما بالك لو كان مسلماً موحداً طائعاً لربه! وكيف لو كان ولياً من أوليائه!
- (٤) إذا مررتم بديار نزل بها غضب الله فأسرعوا؛ فعل ذلك رسولكم ﷺ وبه أمر.
- (٥) يصلي ويصوم ويحج ثم يأتي مفلساً يوم القيامة حيث لا درهم يغني ولا دينار!
- (٦) نتعجب فنسأل ونتساءل فيقول أحدهم: بيني وبين الله عمار..! والنبي ﷺ يبطل حجتهم ويقطع عليهم طريق اللف والدوران.
- (٧) كيف يتوب ظالمٌ أخيه في ماله أو عرضه؟ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ.
- (٨) وعيد شديد فيمن مشى مع الظالم وأعانه وهو يعلم؛ هما شريكان في الظلم.
- (٩) الله جل وعلا يرفع الحجاب بينه وبين دعوة المظلوم، ويملي للظالم ويمهله فيزداد ظلماً؛ ولا يزداد من الله إلا بعداً حتى إذا أخذه لم يفلته.
- (١٠) ما أنكرتُم من زمانكم فيما غيرتُم من أعمالكم.



الظلم ظلمات

تركنا رسول الله ﷺ وهو الناطق بالعربية بل هو أفصح من نطق بها والعربية من عند الله ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١) بل وضع الله اللغات كلها.. تركنا وهو يعلمنا أن «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وأن هناك علاقة بين الظلم والظلام؛ فالظلام يعمى فيه الإنسان ولا يدرك حقيقة ما حوله، والظلم إذا ما ركبه الإنسان أعماه فلا يدرك حقيقة الكون ولا مراد الله منه.

ويقول رسول الله ﷺ فيما يرويه الشيخان البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله ﷺ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

أمرنا ربنا ﷻ أن نكون في النور فأرسل رسوله بالهدى ودين والحق؛ ليخرجنا من الظلمات إلى النور، وسمى نفسه نورا وكان منور السماوات والأرض ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) ثم بعد ذلك جعل الظلم من الظلمات وحرم الظلم على نفسه وهو فعال لما يريد ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾^(٣) ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٤) إنما ذلك حتى نتخلق بصفاته ﷻ ولا يكون لأحد من الخلق أن يستدل بأن الله - تعالى عما يصفه الظالمون - فيه من صفات الظلم بشيء.

أيها المسلمون.. «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» والملاحظ على المسلمين أن بعضهم يظلم بعضا على مستوى المجتمعات والدول والأفراد.

والنبي ﷺ ينهى عن الظلم من كل جهة، ويحذر بأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب وعن سيدنا علي بن أبي طالب قال، قال رسول الله ﷺ: «إياك ودعوة

(١) سورة البقرة، آية: ٣١.

(٢) سورة النور، آية: ٣٥.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٣.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٨.



المظلوم فإنما يسأل الله حقه وإن الله لا يمنع ذا حق حقه»^(١) ويحذر أن دعوة المظلوم تستجاب ولو من الكافر فما بالك لو كان المظلوم مسلماً موحداً طائعاً لربه! فما بالك لو كان ولياً من أوليائه أو صفيئاً من أصفيائه! أبعد هذا يكون للظلم محل في حياة المسلمين وبينهم وبين بعضهم.

النبي ﷺ فيما رواه أبو موسى دخل «الحجر» والحجر نزل به العذاب على قوم ظالمين أشركوا بالله ﷻ^(٢)، وكان النبي ﷺ يكره أن يمر في أرض نزل بها عذاب الله ويحذر ويقول ابن عمر - رضي الله عنهما - : لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحَجْرِ قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ». ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَّ.^(٣) قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَخْفَاهَا بِالْعَبَاءِ الَّتِي عَلَيْهِ، وَكَأَنَّهُ يَخَافُ ﷻ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ الْمَعْصُومُ، وَهُوَ حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْكَائِنَاتِ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ عِنَاةً لِتَوْحِيدِهِ وَخَتَامًا لِرَسُولِهِ، يُقَنَّعُ رَأْسَهُ خَوْفًا مِنْ رَبِّهِ وَيَجِدُّ فِي السَّيْرِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْعَذَابُ عَلَى قَوْمٍ قَدْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٤).

الظلم شاع في كل الدوائر حكومية وغير حكومية؛ يظلم الرئيس مرؤوسه، ويظلم الرجل أخاه، ويظلم الرجل زوجته، وتظلم الزوجة زوجها، ويظلم الآباء أبناءهم، والأبناء آباءهم، والجيران جيرانهم.

الظلم شاع في الأمة بأسرها، وهي أمة العدل والرحمة والبعد عن الظلم.. فماذا يمكن لهذا الظلم أيها المسلم أن يصنع بك يوم القيامة؟

(١) رواه البيهقي في شعب الإيثار ٤٩: طاعة ولي الأمر / ٧٤٦٤.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١٠١﴾ وَكَانُوا يُنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِينِينَ ﴿١٠٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْحِكِينَ ﴿١٠٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الحج: ٨٠-٨٤]. والحجر: ديار

ثمود ناحية الشام عند وادي القرى بين مكة وتبوك، وهم قوم صالح النبي ﷺ؛ ولكن كذبوه.

(٣) رواه البخاري: المغازي - دخول النبي الحجر / ٤١٥٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ٥٧.



يقول رسول الله ﷺ لأصحابه محذراً ولمن بعده من أمته مبيناً «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»
قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي..» - أي أن هناك
اصطلاحاً خاصاً بأمة محمد ينبغي عليها أن تتنزه عن الظلم لأنها أمة قوية غنية برهبها ﷺ
وليست ولم تكن أمة ظلم في يومٍ من الأيام - «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ
وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ..» - إذن هو واحد منا لم يترك صلاةً ولا صياماً ولا زكاةً..

نسأل الظالمين فيقول أحدهم: بيني وبين الله عمار؛ فأنا أصلي وأصوم وأزكي، والنبى
يقطع عليهم حجتهم ويقطع عليهم الطريق إلى هذا اللب والدوران الباطل الخائب..
هذا هو المفلس في أمة النبي ﷺ.. «وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا،
وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ
حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).
أعرفتم عاقبة الظلم في الآخرة! قد يتجبر المتجبرون ويظلم بعضهم بعضاً لكن
«الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) وسيسبب لك أيها الظالم إفلاساً وطرحاً في النار.

رسول الله ﷺ يعظكم في أنفسكم ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ﴾^(٣) احذروا ﴿وَيُحَذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٤) ماذا يفعل الظالم إذا أراد التوبة؟
يقول رسول الله ﷺ «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضٍ أَوْ مِنْ شَيْءٍ،
فَلْيَحْلُلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ
بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٥).
إذن بادر أيها المسلم برفع الظلم والعدوان.. بادر أيها المسلم بالاعتذار لأخيك

(١) رواه مسلم/ البر والصلوة والآداب - ٦٥٣١.

(٢) سبق تخريجه من رواية البخاري ص ١٩٣.

(٣) سورة النور، آية: ٦٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٢٨.

(٥) رواه البخاري/ المظالم - ٢٤٠٦.



ويارجاع الأمور إلى نصابها..؛ ويُتوج ذلك كله بحديث أوس بن سُرحبيل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مَشَىٰ مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ»^(١) فإننا لله وإنا إليه راجعون.

الإسلام دين العدل.. دين الرحمة.. دين التعاون ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢) وشاع في الناس أن ينصروا القوي على الضعيف، والغني على الفقير، وذا الجاه على المسكين...؛ وهذا من الظلم الذي لا يرضاه الله ولا رسوله.. فتنبه أيها المسلم وكن خصيم نفسك؛ فإن العاقل خصيم نفسه قبل الفوت وقبل الموت، وعليك أن ترجع سريعاً إلى نصيحة رسول الله ﷺ حتى لا تكون على خطرٍ عظيم وأمرٍ جليل يلخصه حديث أوس «فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ»^(٣)... ادعوا ربكم.

يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٤). «حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» والظلمة ليسوا في أمة محمدٍ وحدها، وأمة محمد في عصرنا هذا هي الأمة المظلومة من سائر الأمم.. إنما الموعظة تتوجه للمؤمنين، وعندما نحذر المؤمنين من الظلم ونخاطبهم بما يؤمنون به من كلام الله ومن كلام رسوله؛ فإننا نريد بذلك أن يرفع الله عنا ظلم الظالمين وتسلط المتسلطين. ادعوا ربكم.



لم تُظلم أمة الإسلام في عصرٍ من العصور كما ظلمت في هذا العصر، ولكن نتهم

(١) رواه الطبراني في الكبير، والضياء المقدسي. انظر: مجمع الزوائد/ الأحكام - ٧٠٦٤، والترغيب والترهيب/ القضاء وغيره - ٣٤٠٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) المرجع السابق.. تمام الحديث.

(٤) سورة هود، آية: ١٠٢.



أنفسنا أولاً فمن أعمالنا سلطهم الله علينا، ونتوب إلى الله ونرجع إليه ونلتمس مواطن غضبه وسخطه فنفر منها..؛ فإن «ما أنكرتُم من زَمَانِكُمْ فَبِمَا عَيَّرْتُم مِنْ أَعْمَالِكُمْ»^(١).
الظلم منتشر في العالم، وظلم الكافرين أشد من ظلم المسلمين آلاف المرات، لكن هؤلاء معلوم مصيرهم مفهوم حالهم لا يستمعون إلى قول الله ولا إلى قول رسوله بل لا يؤمنون بهما.

وأمة الإسلام ينبغي أن تتقوى في ذاتها وأن تخرج عما يغضب الله عليها وأن تعود إلى رشدها فإن فعلت ذلك كانت في محل نظر الله، ومن كان في محل نظر الله نصره ووالاه.. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار...



(١) رواه الطبراني، وإسناده حسن. مجمع الزوائد/ الزهد- ١٧٧١٥.

نصاف ولا نتجاف

من أفكار الخطبة

- ١) التخلية والتحلية عملية تربوية نلتفت إليها على كل المستويات؛ للخروج من الأزمات المحيطة بنا، وإنشاء إنسان الحضارة المنشود.
- ٢) إنسان الحضارة هو ذلك العبد الرباني الذي يقوم بمقتضى خلافته في الأرض، يسبق وعيه سعيه، ويبلغ عن الله دينه.
- ٣) الرباني ذاك الإنسان الذي يعبد ربه ويعمر أرضه ويزكي نفسه، بلا شطط.
- ٤) تخلية القلب من الغل تؤدي بالإنسان إلى التوازن ورؤية الحقائق.
- ٥) الغل يؤدي إلى اختلال الميزان في يد الإنسان؛ يأكل قلبه، ويغيب طريقه.
- ٦) نزع الغل من قلبك نعمة فيها السعادة والسلام والراحة.
- ٧) الأمر يحتاج إلى وقت وهمة وديمومة؛ اضبط نفسك وحاصر الغل.
- ٨) دع النفوس تتصافى ولا تتجافى. افرغ قلبك من ذلك القبيح فإن الله سوف يحليه بالرضا والتسليم والسماحة ويحليه بالبصيرة والنور.
- ٩) الذكر يجلو قلبك ويجعله مؤهلاً لتلقي الأنوار، والتربية وسيلتك، والخلوة مرابطة تهديك فوزاً، ونوراً تمشي به في الناس.
- ١٠) هذا طريقنا... مقيدٌ بالكتاب والسنة.



نتصافى ولا نتجافى

بعد رمضان نحتاج إلى مواصلة السير على درب الربانية.. نحتاج إلى تربية أنفسنا على ما شرعه الله ﷻ لنا على مستوى الفرد وعلى مستوى الأمة.. تكلمنا في شوال عن التخلية عن القبيح والتحلية بالصحيح، وهي عملية تربوية ينبغي عليك أن تلتفت إليها في نفسك، وأن تلتفت إليها وأنت تربي ولدك، وأن تلتفت إليها جميعاً على كل المستويات ونحن نحاول أن نخرج بالأمة من أزمتها وبالمسلمين من ورطتهم، نحاول أن ننشئ إنسان الحضارة، ذلك العبد الرباني الذي إذا مد يده إلى السماء: يا رب يا رب - استجاب الله له؛ لأنه يقوم بمقتضى خلافته في الأرض، ولأنه يقوم بما أراه الله منه، ولأنه يعي عن ربه مراده، ولأنه يبلغ عن الله دينه، إنسان يعبد ربه ويعمر أرضه ويزكي نفسه بلا شطط ولا إفراط ولا تفريط، وهكذا تركنا رسول الله ﷺ بعد أن بلغ عن ربه كتابه، وبعد أن بين كيف نفهم وكيف نتعامل معه، وكيف نسير في الأرض ربانيين ندعو الله ﷻ بكل خير، وندعو إليه بكل خير.

أيها المسلمون.. عملية التخلية من القبيح والتحلية بالصحيح أمر ينبغي أن نؤمن به، وأن نسعى إليه، وأن نفهمه، وأن نطبقه حتى ننال رضی الله عنا.

مما اخترته اليوم لكم تخلية القلب من الغل، وتخلية القلب من الغل عمل يؤدي بالإنسان إلى حالة التوازن، يؤدي بالإنسان إلى أن يرى الحقائق على ما هي عليه؛ لا يُعَبِّسُ عليه غلُّ شيئاً من الحقائق، بل ينظر إلى ما حوله بقلب صافٍ، يتخلَّى حينئذ عن الكبر وعن الأنانية وعن الحقد وعن الحسد، يتخلَّى حينئذ عن الظلم الذي حذرنا منه في الجمعة الماضية، يتخلَّى حينئذ عن التصرفات الهوجاء التي قد يرتكبها في حق نفسه، أو في حق غيره، أو في حق أمته، سواء السابقين منهم أو الحاضرين أو القادمين من أبنائنا وأحفادنا.. الماضي والحاضر والمستقبل...



الغل يؤدي إلى اختلال الميزان في يد الإنسان، يأكل قلبه، ويغيش عليه طريقه، ونحن ندعو الله ﷻ كل يوم في صلواتنا دائماً وفي كل ركعة ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) والصرط المستقيم هو طريق الله، وطريق الله لا يعرف الغل.

إذا تخليت عن الغل أيها المسلم من قلبك ودربت نفسك على ضبطه، وعلى تخلية قلبك منه، فإنك ستسعد.. وهو أمر قد لا يلتفت إليه كثير من الناس، ويظن أن التخلي عن الغل إنما هو محض خلق راق رائق عال! أبداً، إنه أيضاً يسبب لك السعادة في الدنيا، وجعله الله ﷻ علامة على السعادة في الآخرة، بل جعله ﷻ جزاء للمتقين على تقواهم:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٤﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَأَمِينٍ ﴿٦٥﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٦٦﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٦٧﴾ * نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٦٩﴾﴾^(٢)؛

ساقها الله ﷻ في سياق المنة، ولم يسقها في سياق التكليف الذي يتكلف فيه الإنسان المشقة لإزالة هذا الأمر من قلبه طلباً لرضوان الله ﷻ، بل إنه جعله من هذه الأمور التي يمن الله علينا بها في الجنة جزاءً وفاقاً لما سبق أن قدمناه من التقوى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ وهذا جزاؤهم، ما جزاؤهم؟ هم في جنات وعيون، ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾، فالسلام نعمة، وليس هو محض تكليف فقط بل هو أيضاً تشریف، تكليف عندما تتكلفه في نفسك لربك وتجعل سلامك مع نفسك ومع الناس لله رب العالمين وتحت كلمة الله رب العالمين، ويكون أثره نعمة قد من الله عليك بها فتنبه! ﴿ءَأَمِينٍ﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ ﴿٦٩﴾ كل ما أمرك الله به من إزالة الغل من قلبك إنما هو راجع إليك بالسعادة، وراجع إليك بالسلام، وراجع إليك بعدم النَّصَب «التعب» في هذه الحياة الدنيا وفي

(١) سورة الفاتحة، آية: ٦.

(٢) سورة الحجر، آية: ٤٥-٥٠.



الآخرة ﴿لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾، هذه نعمة ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ «نعمة»؛ إذن نزع الغل من قلوبهم إنما هو نعمة.

فيا حلاوة من استطاع أن يربي نفسه ويطوِّعها وينزع الغل من قلبه، وهذا هو الذي يرشدنا إليه ربنا حينما يعلمنا كيف ندعوه، يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾^(١) من بعد هذا الجيل الرباني الأول الذي قام بعبء الرسالة والتبليغ، وبعبء الجهاد ونشر الدعوة، وبعبء الانتقال من عصر الجاهلية إلى نور الإسلام ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(١) إنهم عندما ينظرون إلى الحاضر لا ينسون الماضي، ولا يتهمون الأمة في ذاتها، بل يدعون الله ﷻ أن يغفر لهم «للسابقين»، كما أننا ندعو الله أن يغفر لنا ونحن في اللاحقين ﴿اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ثم يطلبون منه المعونة على تحصيل السعادة تكليفاً وتشريفاً ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ السابقين والحاضرين واللاحقين والآتين ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ إنهم يدعون الله ﷻ، ويعلمنا كيف ندعو ربنا وتعلق بصفات جماله قبل أن نتعلق بصفات جلاله، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لا حاجة لنا إلا رضاك، ولا حاجة لك في مؤاخذتنا؛ فاللهم اقبلنا على ما نحن عليه واغفر لنا، وانقلنا من دائرة سخطك إلى دائرة رضاك ومن الضيق إلى السعة، ومن الظلمة إلى النور، ومن التخبط إلى الاستقامة ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

أيها المسلمون.. إذا خليتكم قلوبكم من الغل وهو أمر قد يحتاج إلى وقت؛ فالتربية تحتاج إلى وقت، وتحتاج إلى همة؛ فالتربية تحتاج إلى استمرار، وتحتاج إلى نقل لمن بعدنا في أولادنا فالتربية تحتاج إلى سن صغيرة، نربي فيها أبناءنا على ما قد يكون فاتنا، لا بد عليك

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.



أن تفعل هذا بهمة وبديمومة، و«كَانَ ﷺ عَمَلُهُ دِيمَةً»^(١)، ويقول: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٢) سيطر على نفسك، وحاول أن تقاوم الغل في قلبك قبل إخوانك وقبل العالمين، وقبل هذا الكون الذي هو مخلوق لرب العالمين، حاول أن تضبط هذا الغل، وألا تجعله كبيراً أو ظملاً أو أنانية تملأ القلوب، فسوف تسعد في الدنيا ثم تنقلب إلى ربك وهو راض عنك، إذا أنت خلّيت قلبك من ذلك القبيح فإن الله لا يترك القلب فارغاً أبداً، فإنه سوف يحليه بالرضا والتسليم والسماحة، سوف يحليه بالبصيرة والنور وأن نرى الأشياء على وجهها؛ فاللهم يا ربنا اجعلنا من أولئك الذين جاءوا بعدهم، فاغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، وخَلِّ قلوبنا من القبيح وحلِّها يا ربنا بالصحيح.

إذا خلّيت قلبك من الغل، التفت إلى علاقتك مع رئيسك ومرؤوسك وزميلك في العمل، التفت إلى هذه العلاقة في الجوار مع جيرانك، التفت إلى هذه العلاقة في داخل الأسرة مع أسرتك، التفت إلى هذه العلاقة مع عموم الناس، التفت إليها مع إخوانك المؤمنين، التفت إليها في جماعة المسجد، التفت إليها؛ فإن فيها تشريراً لك وتشريراً لقلبك وتنقية لسريرتك، وهي خطوة من خطوات التربية التي ينبغي أن تتحقق بها.

طريق الله بيني على الذكر وعلى التربية وعلى الخلوة التي يعود فيها الإنسان إلى نفسه، فيراقبها ويتوب ويرجع، وينزع نفسه من الأفكار الخاطئة ومن السلوكيات المنحرفة.

طريق الله يبدأ بالذكر وتتوسطه التربية وينتهي بالمراقبة والخلوة، كما كان رسول الله ﷺ يخلو بنفسه في غار حراء إلى أن من الله عليه بالنبوة.

ولا نبوة بعد نبوته ﷺ.. ولكنك إذا سلكت طريقه في التربية، وكنت من السعداء الموفقين.. فإنك تخرج من خلوتك إلى الخلوة في الجلوة.. وتعانق مقام الإحسان فتعبد الله

(١) سبق تحريجه من رواية البخاري ص ١٥٤.

(٢) سبق تحريجه من رواية مسلم ص ٩٠.

كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك.. فتكون عبداً ربانياً..

تعبد الله.. وتزكي النفس.. وتعمّر الكون..

أيها المسلمون.. طريق الله واضح وسهل لكن على من يسره الله عليه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا

الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾^(١).



(١) سورة القمر، آية: ١٧.

نقلية القلب بالصحيح

من أفكار الخطبة

- (١) علمنا الخطاب القرآني الإنصاف وألا نعمم الأحكام على الأحوال ولا الأقوام.
- (٢) نهانا الله ﷻ عن الرهبانية وأبدلنا بها أنواعا من العبادات ابتغاء رضوان الله.
- (٣) لم يفرض علينا ربنا قيام الليل، كما أنه لم يفرض الرهبانية على غيرنا.
- (٤) بالليل رهبان، وبالنهار... فرسان.
- (٥) (مالي أراك جهدت جهدا شديدا)..! خذ من العمل ما تطيق.
- (٦) أرسولُ أنا؟! تعلم الحلال فأفعله، والحرام فاجتنبه، وتمسك وحافظ.
- (٧) طاحت العبارات، وذهبت الإشارات، ولم يبق إلا ركيعات جوف الليل...!
- (٨) فهموا الإسلام، فصاموا وأفطروا، وقاموا وناموا، واعتكفوا وتزوجوا، وكانوا لله وباللَّه في جميع شأنهم.
- (٩) ضع برنامجاً لنفسك يتفق مع عملك وسعيك وعمارتك، وخَلِّ نفسك بالحفاظ على الأوامر والنواهي وكن وقافاً عند حدود الله.
- (١٠) إنما كُتِبَ عليك: عبادة الله وحده، وتزكية النفس وعمارة الكون.

تحلية القلب بالصحيح

تكلمنا عن التخلية من القبيح والتلية بالصحيح، وبدأنا بتخلية ما في القلوب، والقلب لا يظل فارغاً أبداً؛ فإذا أخرجنا منه القبيح ملأه الله ﷻ بأنوار الصحيح، وصار الإنسان وقد ربه ربه ﷻ وهو رب العالمين؛ لأنه ائتمر بأمره وانتهى عما نهى الله عنه، وهذا آخر لقاء لنا في شوال والذي خصصناه للتخلية والتحلية، نختمه بشيء مما من الله علينا به في دين الإسلام؛ فالله ﷻ يتكلم عن عيسى ﷺ ومن اتبعه من جماعته، وعيسى هو نبينا؛ ومن أركان الإسلام الإيمان به عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وموسى هو نبينا؛ ومن أركان الإسلام الإيمان به عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فدين الإسلام هو دين الحق، ورسول الله ﷺ عبر القرون وكرّ العصور إنما هم رسل الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٢) والإسلام أتانا ينبئنا بأن رهبانية قد ابتدعوها ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾^(٣)..

قال تعالى في شأن جماعة عيسى ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَفَاتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٤) إنصاف..؛ علمنا ربنا ألا نعمم الأحكام، فرّق بين من آمن بالإيمان الصحيح من جماعة قد فسق منها الكثير وحرفوا وخرفوا، ونحواً منحى الله به عليهم، لكنه علمنا أن ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾ وإذا كانوا قد ابتدعوا فإنما ابتدعوا ابتغاء رضوان الله، وأبدلنا الله ﷻ بتلك

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٧.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٧.



الرهبانية مجموعة من العبادات، والنبي ﷺ يقول: «لَا صُرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ»^(١)، يعني: لا رهبانية في الإسلام؛ فينفي جنسها، ولكنه أمرنا- بل وأوجب الله عليه ﷺ- قيام الليل، حتى قالوا في شأن المسلمين إنهم كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار.. ويقول ﷺ لأبي ذر **عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةٌ أُمَّتِي**»^(٢).

هذه تحلية ينبغي عليك أيها المؤمن أن تضع برنامجاً يومياً لك حتى تصل إلى ما قد أبدلك الله من أجله في برنامجك اليومي كل بحسبه، يقول ربنا ﷺ في آخر سورة المزمل: **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾** أي وتقوم نصفه **﴿وَتُلْثُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾** فلم يشأ ربنا أن يفرض علينا قيام الليل، كما أنه لم يفرض الرهبانية على أولئك، وإنما إذا كانت لرضوان الله فإنه **﴿حَلَّ﴾** قد أتى الذين آمنوا منهم وابتغوا وجهه الله أجرهم.

فيقول ربنا ﷺ: **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَتُلْثُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَهُ فَآقَرَهُوَا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقَرْرِ إِنَّ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَآقَرَهُوَا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**^(٣).

تكرر لفظ الجلالة «الله» في هذه الآية أكثر ما تكرر في أية من آي القرآن الحكيم سبع

(١) رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - ٢٨٤٨، وأبو داود/ المناسك - ١٧٣٠، وقال الحاكم في المستدرک/ النكاح - ٢٧١٥: هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

وقال القاضي: الصرورة من انقطع عن النكاح وسلك سبيل الرهبانية، وأصلها أن الرجل إذا ارتكب جريمة لجأ إلى الكعبة وكان في أمان الله ما دام فيها فيقال له «صرورة»، ثم اتسع فيها فاستعمل لكل معتبد معتزل عن النساء. المناوي- فيض القدير/ حرف «لا» - ٩٨٩٢.

(٢) من حديث طويل أخرجه ابن حبان في صحيحه/ استحباب الاجتهاد في أنواع العبادات - ٣٦٠.

(٣) سورة المزمل، آية: ٢٠.

مرات ذكر فيها «الله»؛ والذين آمنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله.. ويلهجون بذكر الله، ولا تشمئز قلوبهم بذكر الله..

﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١) ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٢) ذكر الله واستغفار الله مع قيام الليل وعمارة الدنيا بالنهار، حتى ذكر أصحاب الأعداء..؛ فالمرض من عند الله، وهو فترة أراد الله أن يجري عليك الثواب فيها حتى ولو لم تعمّر الأرض، حتى وقد خفف عنك القيام في الصلاة إن لم تكن قادراً، فتعبد ربك وتذكره قياماً وعوداً وعلى جنبك، في أي هيئة كانت، والثواب يجري عليك من عنده سبحانه؛ فلو بلغ الشيوخ شيخوختهم أو المريض مرضه فإنما هو بأمر الله، وحينئذ فإن الله ﷻ يجري عليه ثواب من عمر الأرض بالابتغاء لفضل الله، أو القتال في سبيل الله «فرساناً بالنهار رهباناً بالليل» مع تخفيفٍ في شأن ذلك كله..

في أول الأمر كان قد فرض على المسلمين صيام رمضان على اعتبار أنه إذا نام أحدهم قبل أن يتناول الطعام أو بعده فلا يجوز له بعد ذلك أن يفطر..

فرسان النهار عاد منهم «صِرْمَةٌ» - رجل من الأنصار - وكان متعباً؛ لأنه كان يعمر الأرض ويسعى على رزق عياله، وزوجته تعد له الطعام نام فأيقظته وقد حرم عليه الأكل والشرب طبقاً لما كان عليه الأمر الأول، «صرمه» الأنصاري من معمري الأرض.. ممن تخلّى عن الكسل وتربى على العمل، ممن درس على رسول الله ﷺ وتعلم في مدرسته..؛ لم يفطر واستمر صائماً واستمر عاملاً حتى غشي عليه منتصف النهار فبلغ أمره النبي ﷺ... والنبي ﷺ كان قلبه معلقاً بالمسلمين، يقول: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَالِدِ»^(٣) كان رؤوفاً رحيماً كما وصفه ربه.

(١) سورة الأنعام، آية: ٩١.

(٢) سورة الأعلى، آية: ١٥.

(٣) سبق تحريجه من رواية الدارمي ص ٨٩.



وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: «مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يَسَارِعُ فِي هَوَاكَ»^(١)، فلما رق قلب رسول الله ﷺ للأَنْصَارِي أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ قِرَاءَةً ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْفَنَ بَشِرُوهُنَّ وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾^(٢) بدلا عن الرهبانية ﴿يَلْكَ حُدُودَ اللهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٣).

وكان يقول ﷺ: «فَاحْذَرُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنِّي إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، فَلَا تُثْقِلْ عَلَيْكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ؛ لَا تَدْرِي مَا طُولُ عُمْرِكَ»^(٤)...

تقوى.. انتقال بالديانة بأسرها إلى الفسيح من الحياة، وهي كلمة الله الأخيرة.. لم يأمر الناس بالعزلة، ولم يأمر الناس بترك العبادة، ولا أن يعبد بعضهم ويأبى بعضهم، ولا أن يتخصص العبادة بهيئة ما، حتى إن «أبا الحسن الشاذلي» وكان من كبار أهل الله حين سأل شيخه «عبد السلام بن مشيش» أذكارا مخصوصة قال له - وقد فهم الإسلام: أرسول أنا؟! تعلم الحلال فافعله، والحرام فاجتنبه، وتمسك وحافظ..، فاتخذها ديدنا له. كان جميل الهيئة يلبس من الثياب الحسن؛ ف«إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»^(٥) فَهَمَّ

(١) رواه البخاري/ التفسير - ٤٦٧٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٧. روى البخاري/ الصوم قول الله أحل لكم ليلة الصيام ١٨١٦ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا، فَحَضَرَ الْإِفْطَارَ، فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ، حَتَّى يُمَسِّي، وَإِنْ قَامَ بِنِصْفِ النَّهَارِ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارَ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكَ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ، فَأَطْلُبُ لَكَ. وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: حَيِّبَةٌ لَكَ. فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ عُثِيَ عَلَيْهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ فَفَرَحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾.

(٣) من حديث الطبراني في الكبير. مجمع الزوائد/ الصلاة - ٣٥٦٩.

(٤) رواه مسلم/ الإيمان - ٢٢٥.

الإسلام وفهموا الإسلام، فصاموا وأفطروا، وقاموا وناموا، واعتكفوا وتزوجوا، وكانوا
لله وباللّٰه في جميع شأنهم رضي الله عنهم وأرضاهم، حتى إن «الجنيد» سيد الطائفة روي في
المنام فقال:

طاحت العبارات، وذهبت الإشارات...،
ولم يبق لنا إلا ركيعات كنا نقوم بها في جوف الليل...!
ضع برنامجاً لنفسك يتفق مع عملك وسعيك وعما ترك...،
وخلّ نفسك بالحفاظ على الأوامر والنواهي...،
وكن وقافاً عند حدود الله ﷻ..

وتمتع بما قد أبدلك به الله سبحانه بعد أن لم يكتب عليك تلك الرهبانية التي كتبتها
طوائف على نفسها، وإنما كتب عليك عبادة الله وعمارة الأرض وتزكية النفس؛ فاللهم
اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



التربية على التضحية

من أفكار الخطبة

- (١) خير الليالي ليلة القدر، وخير الأيام العشر، وفيها يوم عرفة.
- (٢) محل نظر الله ﷻ في عليائه، ونزول رحماته، يباهي بنا الملائكة في سماواته.
- (٣) أعرفت؟! .. فلتبدأ حياة جديدة كيوم ولدتنا أمهاتنا.
- (٤) كيف يبذل حياته لربه من يبخل بخدمة بسيطة يفعلها لوجه الله! ..!
- (٥) بقاء النسل الشريف على حاله ومعرفته إلى يوم الدين معجزة ليست لأحد إلا رسول الله ﷺ إلى يوم الدين.
- (٦) هم أولى الناس بكم..؛ فآثروهم على أنفسكم، واستروا عيبتهم، واغفروا لهم زلاتهم، وعظموهم بما عظمهم الله به؛ فإنهم من وُلدِ المصطفى ﷺ.
- (٧) ماذا حدث مع سيدنا إبراهيم وولده! ابتليا فأسلما لله رب العالمين.
- (٨) نضحى في ذات الله بأعز ما لدينا وننفق أحبها إلينا، ولا نؤثر على الله شيئا.
- (٩) أين هذه التضحية في حياتنا؟! لا نراها إلا في الأقل! .. ولئن لم نفعل فسيظل الفساد قابعا يطل علينا كل حين برؤوس كرؤوس الشياطين.
- (١٠) ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾^(١).



التربية على التضحية

فهذه خير أيام السنة، كما أخبر رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُنَّ أَفْضَلُ أَمْ عِدَّتُهُنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتُهُنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١) وفيه الوقوف بعرفة..؛

وما أدراك ما الوقوف بعرفة..! إنه محل نظر الله ﷻ في عليائه، ومحل نزول رحماته وتجلياته، يباهي الله بنا الملائكة في مساواته، وما أدراك ما يوم عرفة..! صيامه لغير الحاج يكفر الذنوب، وينور القلوب، ويستجيب الله فيه الدعاء.

«وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انظروا إلى عِبَادِي شُعْنًا غَيْرًا ضَاحِينَ جَاءُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يُرْ يَوْمٌ أَكْثَرَ عِتْقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ»^(٢).

و«عرفات» قيل سميت بذلك لما تعرف آدم إلى حواء عندما نزل إلى الأرض، وكأنها المكان الذي بدأ فيه الإنسان حياته للعبادة والعمارة والتزكية، وروى الإمام أحمد، والبيهقي، والطيالسي، وابن خزيمة في صحيحه^(٣): قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِأَبِي الطَّيْلِ: أَتَدْرِي لِمَ سُمِّيَتْ عَرَفَةَ، قَالَ: لَا، قَالَ: لِأَنَّ جَبْرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ بَلَغَهُ: أَعْرَفْتَ!

والحج كما لا يخفى عليكم يعود الحاج منه كيوم ولدته أمه، فهو يبدأ حياة جديدة بعد وقفة عرفات التي ترمز إلى هذه الحياة الجديدة، سن رسول الله ﷺ لنا صيام التسع

(١) صحيح ابن حبان/ الوقوف بعرفة والمزدلفة - ٣٧٩٤.

(٢) السابق.

(٣) أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنه - ٢٧١٠، والبيهقي في الكبرى/ جماع أبواب دخول مكة - ٩٧١٣، والطيالسي في مسنده/ حديث الطفيل عن ابن عباس، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد/ الحج - ٥٥٨٣: ورجاله ثقات.



الأول من ذي الحجة الحرام، والعاشر هو يوم العيد، وهو عيد الأضحى، وهو العيد الذي يذكرنا بما كان عند سيدنا إبراهيم، ويذكرنا بما فعله سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد ﷺ، وذكرنا بهذه المعاني التي يجب أن تعود إلى قلوبنا.. ابدأ بنفسك ثم بمن تعول.. ابدأ بنفسك ثم بمن يليك الأقرب فالأقرب..

يجب عليكم أن تربوا أبناءكم على التضحية والإيثار، فلقد نزعت التضحية من حياتنا للأسف الشديد، ويجب على المسلمين أن يعودوا إليها حتى تكون الدنيا في أيديهم وتخرج من قلوبهم، نرى الشباب لا يريد التضحية، لا يريد خدمة والديه وإن احتاجا إليه، لا يريد خدمة العجائز ولو احتجن إليه، لا يريدون أن يذهبوا إلى أجدادهم حتى لا يخاطبهم بأي تكليف، ويرون أن هذا ليس من شأنهم، أولئك لم يعلمهم أحد معنى التضحية ولا معنى الإيثار، ولا معنى الكرم، ولا معنى كيف يؤدي الإنسان حياته لربه وليس خدمة بسيطة يفعلها لوجه الله..!

يقول ربنا ﷺ ما نأ على نبيه وعلينا ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخِّرْ ﴿١﴾
 إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿١﴾ ومن تفاسير الكوثر: أنهم أهل البيت الكرام على حذف مضاف: إنا أعطيناك «أهل» الكوثر؛ لأن هذا الشانئ البغيض الذي كان يكره رسول الله ﷺ، غيره بأنه لا ولد له..! فمن أين يأتي النسل والذكر؟!!

فرجع الله لنبيه ذكره، وأكثر من أهل بيته الكرام من أبناء فاطمة عليها السلام، وأحدث هذه المعجزة التي ليست لأحد اليوم في العالمين، وهي بقاء النسل الشريف على حاله ومعرفته إلى يوم الدين؛ فنرى أهل البيت الكرام في أوساطنا نرعى فيهم رسولنا ونعظمهم رضي الله تعالى عنهم، قال عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي»^(٢)، رسول الله ﷺ يأمر أهل بيته

(١) سورة الكوثر، آية: ١-٣.

(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد/ النكاح - ٧٤٣٠. كما رواه النسائي والبيهقي في الكبرى، والحاكم في المستدرک/ ٤٧٣٣ بنحوه وصححه، وكلهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.



بالتقوى بالنزاهة عن كل خسيس، فيجب على أهل البيت أن يراعوا شأن رسول الله في أنفسهم، وأنهم أمثلة باقية من نسل المصطفى ﷺ يفخر بها المسلمون، ويعظمون شأنهم ويحترمون حالهم ومآلهم، ويجب عليكم أن تسدوا عوزهم، وأن تستروا عيبتهم، وأن تغفروا لهم زلاتهم، وأن تعظموهم بما عظمهم الله به؛ فإنهم من ولد المصطفى ﷺ.

وما حدث مع سيدنا إبراهيم كان مثلاً يحتذى في التضحية؛ فقد شرع في التضحية بابنه - والولد فلذة الكبد - وعلى ذلك فإن هذا الذي فعله كان أعلى من أن يضحي بنفسه، لعل أحدنا يضحي بنفسه، لكنه حماية لابنه يجود بروحه قبله، إلا أن إبراهيم امتثالاً لهذا المعنى وقياماً به - تقديم أعز ما لديك - أقدم على ذلك لما أمره ربه، فكان بلاء عظيمًا له ولولده قرة عينه حين بلغ من السعي أن سابق أباه فسبقه، وتعليماً للأمة من بعده.

﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١)، إبراهيم يدعو ربه ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾^(٢) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١١﴾ فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَبْنِيْ اِبْنِيْ اِرْبِيْ فِي الْمَنَامِ اِبْنِيْ اَذْحَكُ فَاَنْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴿١٢﴾ «ترك له الاختيار» ﴿قَالَ يَتَّابِتِ اَفْعَلُ مَا تُوْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اَللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ﴾^(٣) فَلَمَّا اَسْلَمَا وَتَلَّهٖ لِلْحَبِيْنِ ﴿١٣﴾ وَتَدَيَّنَهُ اَنْ يَتَّبِرَ اِبْرَاهِيْمُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّءْيَا اِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾.

لم يتردد إبراهيم، ولم يتردد إسماعيل في تلبية النداء، ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّءْيَا اِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) اِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتُوْا الْمِيْنُ ﴿١٦﴾ وَقَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيْمٍ ﴿١٧﴾. نعم، هذه التضحية وهذا الفداء إنما كان من أولئك الذين قد ربوا أنفسهم على طاعة الله، وعلى المسارعة في الخيرات، وعلى أن يكونوا من المحسنين ومن المؤمنين ومن المتقين، أين هذه التضحية في حياتنا؟!

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) سورة الصافات، آية: ١٠٠-١٠٢.

(٣) سورة الصافات، آية: ١٠٢-١٠٥.

(٤) سورة الصافات، آية: ١٠٥-١٠٧.



لا نراها إلا في الأقل، نراها في أولئك الذين من الله عليهم بالشهادة تحت أنقاض هذه العمارة التي انهدمت عليهم يؤدون واجبهم حتى أخذوا أجر الشهداء عند ربهم، وأعلوا ذكر أنفسهم بإذن ربهم، وتركوا أسرهم يتجرعون حزنًا من ناحية، ويفتخرون بهؤلاء الشهداء من ناحية أخرى، دخلوا لينقذوا الناس من هذا الهدم الذي تسبب فيه مجموعة من أهل الفساد في الأرض الذين لا يرجون وجه الله، ذلك الذي بنى، وذلك الذي ملك، وذلك الذي رخص، وذلك الذي ترك، وذلك الذي فعل كل هذا الفساد، حتى شاع فينا الفساد بصورة مقززة تبعد بنا عن التضحية والفداء، ضحى هؤلاء بأرواحهم فتقبل الله منهم صالح أعمالهم، وقد بان لنا أن هؤلاء هم الذين على السير الصحيح وعلى المنهج السوي وعلى الصراط المستقيم، فقد ختم الله لهم بالحسنى وختم لهم بالشهادة..

«تضحية» و«فداء» يجب علينا أن نربي أنفسنا ونربي عليه أبناءنا، فإن لم نفعل فسيظل هذا الفساد في مكانه يطل علينا كل حين برأسه كرؤوس الشياطين، ويطل علينا كل حين وكأنه يتحدى الخير.

غداً وقفة عرفات يبدأ بعد ظهرها التكبير وينتهي بعد عصر اليوم الرابع من أيام العيد، والأضحية إذا أردنا النسك فإنها بعد صلاة العيد، وصلاة العيد تبدأ بعد عشرين دقيقة من الشروق، ويجوز إيقاعها حتى الزوال حتى قبيل الظهر، فكل هذا وقت لها، ومن فاتته صلاة العيد في الجماعة، فإنه يصلها في بيته فردًا كان أو جماعة لأنها سنة في ذاتها، والتكبير يُعودنا على الذكر، فهذه هي الأيام المعدودات التي شرع الله فيها الذكر.. وأيام الشريق هي الأيام المعدودات، ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِنَّهُمْ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِنَّهُمْ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾^(١) اشغلوا أوقاتكم بالذكر، فإن الذكر ينور القلب ويجعله متصلًا بربه، وهو عمود التربية، وهو الذي يعيدك إلى ربك

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٣.



كلما أخطأت، وهو الذي يملأ قلبك بهذه المهمة التي طلبها منا ربنا ﷻ.. يذكرنا به الحاج وهو يرفع صوته بالتلبية، ويرفع يده بالرمي، ويرفع شأنه في الرَّمَل، ويرفع قوته في المشي هنا وهناك بقوة؛ لله رب العالمين.

أيها المسلمون.. أيام مباركات ادعوا فيها للأمة الإسلامية أن يعيد الله عليها عامها هذا خيراً مما مضى، وأن يوحد قلوبهم على التقوى وأن يجعلهم يقفون صفّاً واحداً بإزاء عدوهم، وأن يخذل عنهم أعداءهم، وأن يرفع عنا أيدي الأمم، وأن يتركونا وشأننا إذا لم يهدم ربنا إلى ديننا ويشغلهم بأنفسهم..؛ ادعوا ربكم بالليل والنهار.. التجئوا إليه أن يخرجنا من دائرة سخطه إلى دائرة رضاه، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، وأن يتقبل من الحجيج دعاءهم وأن ينظر إلينا بنظر الرحمة؛ لأننا في حاجة إليه سبحانه، وأن لا يؤاخذنا بما نسينا ولا بما فعل السفهاء منا، وأن يوحد قلوبنا...



الإنسان قبل البنيان

من أفكار الخطبة

- (١) في عودة الحجيج كيوم ولدتهم أمهاتهم: علامات على طريق التجديد.
- (٢) من فقه البدايات تتقرر حقيقة: رضا الله في رعاية الإنسان قبل رعاية البنيان.
- (٣) الحضارات تبقى وتقوم، وتقوم وتبقى! إذا ما روعيت فيها هذه الحقيقة.
- (٤) يقسم ربنا ﷺ بالفجر بضياته، ببدايته، بجمعه بين طرفي نقيض!
- (٥) ليلتان ليوم عرفة.. ونهار العيد بداية يوم جديد لا ليل له..!
- (٦) نعم بنوا... ولكن..! عبرة لمعتبر.
- (٧) تعالوا على البشر بحضارتهم! علينا أن نفهمهم؛ فبينهم وبين النور حجاب.
- (٨) السعي عن وعي والتبليغ عن فهم؛ فمهمتنا التبليغ لا إدراك النتائج.
- (٩) كم من حضارة قامت على البنيان وأسقطت كرامة الإنسان: فسقطت.
- (١٠) الخير ينتشر لأنه يهز ذرات ذلك الكون، ويتغلب على الشر وإن كثر وغمر.



الإنسان قبل البنيان

عاد الحجيج من رحلتهم المقدسة وقصدهم الشريف إلى بيت الله المعظم، جاءوا بعد الحج والزيارة.. غفر الله لهم ذنوبهم وأخرجهم منها كيوم ولدتهم أمهاتهم، عادوا إلى حياة جديدة إلى سنة جديدة وإلى صفحة جديدة مع الله ومع النفس ومع الخلق.. والله ﷻ يشير إلى تلك البدايات ويقرر قراراً قد لا يلتفت إليه كثير من الناس أن رضا الله إنما هو في رعاية الإنسان قبل رعاية البنيان، وأن الحضارات تبقى وتقوم وتبقى إذا ما راعى فيها أصحابها الإنسان قبل البنيان.. أما إذا ما راعى الإنسان البنيان قبل أخيه الإنسان زالت الحضارات حتى ولو وصلت إلى شأن كبير، يقول ربنا ﷻ وهو يشير إلى البدايات وإلى الصفحة الجديدة وإلى هذه المعاني الجليلة، التي يبدأ فيها الإنسان علاقة جديدة مع ربه ومع نفسه ومع الناس ومع الأكوان..

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْأَلْبَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُرُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْعَمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾.....^(١)

إذن..؟ يقسم ربنا ﷻ بالفجر بضياته.. ببدايته.. بجمعه بين طرفي نقيض «بين طرفي

(١) سورة الفجر، الآيات: ١-٢٠.



الليل والنهار» ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَآيَاتِ عَشْرِ﴾^(١) وفي الليالي العشر يقول المفسرون أنها ليالي الأيام العشر من أول شهر ذي الحجة، ويجعل الفقهاء ليوم عرفة ليلتين لأنه يختم السنة، ونهار العيد نبدأ فيه بالسنة الجديدة لا ليل فيها، وذلك أن يوم عرفة له ليلة بيت فيها الحاج في يوم التروية بمنى ثم يدفع ذاهباً إلى عرفات الله في صباح يوم عرفة، ولكن الوقوف بعرفة- وهو ركن من أركان الحج- يشمل الليل كله..؛ يشمل ليلة العيد في حسابنا فقد ألحقت بعرفات، فإذا وقف الحاج في هذه الليلة دون أن يدرك النهار فقد صح حجه، وإذا جاء قبل الفجر من يوم العيد فأدرك شيئاً من الزمان وقوفاً بعرفة فقد صح حجه، ولذلك ألحقت هذه الليلة بنهار عرفات في الأحكام الشرعية المرعية، وبدأ نهار العيد من غير ليل لأنه بداية عام جديد وبداية منطلق جديد يبدأ فيها المسلم مع ربه حياة جديدة ويجدد إيمانه، فعلى أي أساس؟

نعم بنى الفراعنة الأوتاد، وتركوا لنا الأهرامات، حتى قيل إن «إرم ذات العماد» هي الباقية إلى الآن في البلاد، وهي هذه الآثار التي تشهد بوجود هؤلاء الناس والتي تشهد بعلمهم في تعمير الأكوان والتي تشهد بإدراكهم لكل هذه الدقة والوصول إلى السيطرة على هذه الحياة..

ولكن.. بادوا وانتهوا، ذهب لغتهم وذهبت مبادئهم وذهبت أديانهم وذهبت ثقافتهم وأصبحوا أثراً بعد عين..؛ فعلى من تعالى على البشر بحضارته أن يفهم هذا، وعلى المسلمين أن يفهموه هذا...؛

فإنه بينه وبين كتاب الله حجاب، فإن الحضارات التي قامت سقطت حين أحبت المال حباً جمّاً، وحين أهانت الإنسان على حساب الآخرين، حين قدمت الرفاهة والبنيان على حقوق الإنسان وعلى كرامته، ولأنها طغت في الأرض وبغت، ولأنها احتلت على

(١) سورة الفجر، آية: ١-٢.



غير وجه حق أراضى الغير، ولأنها فعلت وفعلت وفعلت فيما نشاهده اليوم في هذا العالم الملىء بالحروب والملىء بالطغيان والملىء بالبغي..؛

ينبغي علينا أن نبلغ العالمين عن رب العالمين هذه الحقيقة، ونحن إنما مبلّغون وليس علينا إدراك النتائج، بل علينا السعي عن وعي والتبليغ عن فهم، أما ما يفعله الله فيهم وفينا فييده وحده لا شريك له..،

الإنسان ينبغي عليه أن يحرص على اليتيم، وها نحن في داخلنا لا نحرص على اليتيم، وينبغي عليه أن يعلي حقوق الجار، وها نحن في أنفسنا لا نعلي حقوق الجار، فحق أن تضيع حضارتنا كما ضاعت حضارة الآخرين، وحق أن يمكن الله لأولئك الذين أعطوا شيئاً من حقوق الجوار واليتم قوة وتمكناً في الأرض، نسأل الله العلي القدير أن يعيننا على أنفسنا، وأن يبدأ بنا صفحة جديدة وحياة جديدة وعمماً جديداً، وأن يجعل حجاج بيت الله الحرام الذين عادوا إلينا نواة للخير فينا، يجب عليهم أن يستمروا في ذكر الله، فرصتهم أكبر أن يكونوا هم الرواد، إذا ما حدثتك نفسك بمعصية وإذا ما حدثتك نفسك بطغيان فتذكر أن صفحتك بيضاء عند الله ﷻ، وتذكر النبي ﷺ وعش حياته في حياتك، والتمس أسوة حسنة منه في تصرفاتك، وكن نواة لهذا المجتمع أن ينتشر الخير فيه، إن الخير ينتشر لأنه يهز ذرات ذلك الكون، والخير يتغلب على الشر وإن كثر. أيها المسلمون.. عليكم بالتقوى وعليكم بالفهم الصحيح، وعليكم بكتاب الله؛ اجعلوه في حياتكم وعلى ألسنتكم وعلموه أولادكم.





إهلاك الكذب

من أفكار الخطبة

- (١) الكذب افتراء على الله بمخالفة الواقع، والاستمرار في الكذب يهدر الثقة بكلام الناس.
- (٢) كَيْفَ بِكُمْ وَقَدْ رَأَيْتُمُ الْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا!!
- (٣) الناس تصدق الكذب مصيبة عظيمة، وتصديق الكاذب نفسه مصيبة أعظم.
- (٤) من علامات الساعة فشو الكذب، وتحسونه هينا..!
- (٥) علينا أن نعلم أبناءنا الصدق والتوثيق، فالمسلمون لا يقبلون إلا ما كان موثقًا.
- (٦) الكذب كله شر ولو رأيت فيه منفعتك، والصدق كله خير ولو رأيت فيه هلكتك.
- (٧) لا بد علينا أن نعيد وظيفة حفظ القرآن بيننا؛ في بيوتنا وفي كل مسجد.
- (٨) القرآن هو الحصن الحصين من الانحراف في الفكر، والانجراف في السلوك.
- (٩) من وعى القرآن صار من أهل الله؛ هو نور يرجع بك إلى حظيرة القدس.



إهلاك الكذب

هذا عصر قد اختلط فيه الأمر، وارتكن فيه الناس إلى الحياة الدنيا، وحاولوا أن يقطفوا زهرتها وزينتها، وأن يخرجوا عن كلمة الله ﷻ، وعن أوامره ونواهيه ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١).. وكان النبي ﷺ لا يريد زينتها ولا زهرتها، وكان رسولنا الكريم ﷺ يأمر الناس بالصدق ويقول: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى السِّرِّ، وَإِنَّ السِّرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يَكُونَ صَدِيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٢)، وقال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣)، وحثنا - أيها تحذير - من الكذب، وحثنا من الاستمرار في الكذب؛ فالكذب افتراء على الله، والاستمرار في الكذب يهدر الثقة بكلام الناس، والاستمرار في الكذب من شأن الكذابين قديما وحديثا.. يكذب فيكذب ويكذب حتى يصدق نفسه..! والمصيبة في هذه الأزمان أن الناس تصدق الكذب.

والنبي ﷺ يحذرنا من هذا فيقول من علامات الساعة: «ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّىٰ يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدُ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ»^(٤)، ويقول: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا تَرَكْتُمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟». قالوا: يا رسول الله، إن هذا لكائن؟، قال: «نَعَمْ وَأَشَدُّ مِنْهُ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا؟»^(٥)!!

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) رواه البخاري/ الأدب- ٥٩٥٢.

(٣) رواه البخاري/ العلم- ١١٠ باب اسم من كذب على النبي ﷺ. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) من حديث رواه الترمذي/ الفتن- ٢١٩٠، وقال حسن صحيح غريب، وابن حبان في صحيحه/ فضل الصحابة والتابعين- ٧١٤٠.

(٥) من حديث رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط. مجمع الزوائد/ الفتن- ١٢٢١٠.



يقول أبو العلاء^(١) يخاطب نفسه وقد مَنَّته بالدنيا وبزيتها:

أَعْنِ وَخَدِ الْقِلاصِ كَشَفْتِ حَالاً * وَمِنْ عِنْدِ الظَّلامِ طَلَبْتِ مالا
 وَدُرّاً خَلْتِ أَنْجُمَهُ عَلَيْهِ * فَهَلْأِ خَلْتِيَهْنَ بِهِ ذُبَالاً
 وَقُلْتِ: الشَّمْسُ بِالْبَيْداءِ تَبْرُ! * وَمِثْلِكَ مَنْ تَحَيَّلَ نَمَّ خالاً
 وَفِي ذُؤَبِ اللَّجَيْنِ طَمَعْتِ لَمَّا * رَأَيْتِ سَرابها يَغْشَى الرَّمالاً
 رَمَاكَ اللهُ مِنْ نُووقِ بِرُوقِ * مِنَ السَّنَوَاتِ تُثْكَلُكَ الإِفْلالاً
 فَقَدْ أَكْثَرْتَ نُقْلَتِنَا وَكانَتْ * صِغارُ الشُّهْبِ أَسْرَعها اِنْتِقالاً
 تُذَكِّرُكَ الثَّوِيَةَ مِنْ نُؤدِي * ضالالٌ ما أَرَدْتَ بِهِ ضالالاً

كذبت نفسه عليه حتى تحيل وصدق نفسه، وهذه مصيبة كبرى وبلية عظيمة نراها الآن على شبكات الإنترنت - الشبكة العالمية للمعلومات - كذبوا.. وكذبوا.. ولا يزال كل واحد منهم يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.. وصدق نفسه، وليس هذا بمستغرب ومستبعد.. ولكن المستغرب والمستبعد أن يصدق الناس هذا الكذب والهراء والافتراء.

(١) هو المعري أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان. ولد في معرة النعمان في شمال سوريا ٣٦٣ هجرية (٩٧٣ ميلادية) درس على أبيه الذي مات وهو في الرابعة من عمره وأصيب بالجدري وفقد بصره، كان مفتونا بعقله وثقافته، يطعن في الدين، ويعارض الفقهاء، ويلحد في أحكام الله تعالى؛ ليشكك فيها، نزل بغداد في آخر مراحلها، ثم عاد إلى مولده واعتزل الناس، وقال: اكتبوا على قبري: هذا جناه علي أبي! وكانت وفاته ٤٤٤ هجرية (١٠٥٨ ميلادية) وهذه الأبيات (من الوافر) من مستهل قصيدة له بممدح أبي الفضائل سيف الدولة ولم ينشدها إليه. والقلاص جمع القلوص: الشابة من الإبل، والوخد: ضرب من سير الإبل، وهو سعة الخطو في المشي، يخاطب نفسه ويشبه سيرها الحثيث ودأبها بسير الشابة من أنثى الإبل، وسعة خطوها واجتهادها وتشميرها عن ساق ولكن في طلب الشيء من غير موضعه، وهو الظلم، ثم يصف حال نفسه أنها تحيل له النجوم في الظلام دراً يمكنه تحصيله، ولو أنها خيلته له ذبالاً: وهو الفتيل الذي يستصبح به لكان خيراً لها، وأنها تحيل له الشمس تبراً - وهو الذهب الخالص - في البداء - وهي صحراء قاحلة شاسعة متاهة لا خير فيها - ثم تصدق ما تحيلت، وأنها لما تراءى لها السراب حدثته بأنها فضة مذابة تنتظره ليحوزها وأطمعته فيها فطمع، فلما انكشف له ما وقع فيه من وهم دعا على نفسه وعلى كل نفس شابهتها بأن يرميها الله بكل نائبة تقضي على وهمها وغرورها فلا تبقي لها ولا تذر لتكون ككالي النوق حين تعدم إفاها - وهن صغارها في المخاض - وذلك أنها منته وغرته وأغرتته وأجهدته في طلب الوهم ودعته لسرعة تحصيل ما توهم حتى صدقها فكانت البلايا أسرع إليه من خطوه كما تسرع صغار الشهب إلى الشياطين فتحول بينها وبين ما تريد. و«الثوية» و«نؤدي» موضعان بالكوفة أو قريب منها.



كثير من المعلومات يسمعها المتلقي خطأً، فيفهمها على غير الوجه الذي سمعها، فيؤديها على غير الوجه الذي فهمها، فيكتبها عند الأداء على الوجه الذي لم يؤدها به.. وفي ظل ذلك كله تذهب عقول الناس، فيجب علينا أن نعلم أبناءنا ونربيهم على الصدق والتوثيق. القرآن موثوق.. والسنة موثقة.. والدفاتر الشرعية موثقة.. والكتب المرعية موثقة، ومن أجل ذلك فهذه ثقافة جديدة علينا: أن نسمع كل شيء فنظنه صدقاً.. وقد شاع الكذب!

ويقول رسول الله ﷺ فيما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١).

علمنا أننا أرادوا لنا الخير فقالوا: «إن هذا الأمر دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»، وابتدعوا - ونعم البدعة هي - الإسناد في الدين، وكانوا يقولون: «الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ»^(٢)؛ وقال ابن المبارك: «لَوْلَا الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ»..! نعم.. الإسناد هو الذي يوصلنا إلى التوثيق والتوثق.

شاع الكذب في الناس - وبخاصة في عصرنا - وفشا كما أخبر رسول الله ﷺ، وتراكم الكذب حتى صار منهجاً..! ثم بعد ذلك نأتي فنرى من يقده في القرآن الكريم وفي سنة النبي المصطفى ﷺ على هذه الشبكات، فوجد أناسا مهيين لقبول الكذب.. مهيين لعدم التوثق والتثبت، وهذا أمر خطير..!

ونكده من ترك الصدق، ونكده من تبني الكذب..!

الكذب كله شر ولو رأيت فيه منفعتك، والصدق كله خير ولو رأيت فيه مهلكتك. أيها الناس.. كيف نخرج من تلك الورطة وتلك الأزمة؟

أرى أننا لا بد علينا أن نعيد مهنة اندثرت أو كادت، وهي «محفظ القرآن» الذي كان

(١) حديث متواتر، متفق عليه رواه جم غفير من الصحابة، وهو عند مسلم - حال بعض الرواة / ٣، عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أفرد مسلم بابا وعنون له: «بيان أن الإسناد من الدين». انظر صحيح مسلم / حال بعض الرواة - ٥٨.



يدخل البيوت ليعلم الأبناء كتاب الله وليعلم الناس كيف يتلون؛ فإن القرآن له طلاوة وعليه حلاوة، أعلاه مثمر وأسفله مغدق، وما هو بكلام البشر... آمننا به وصدقنا ربنا. لا بد أن يرجع الشباب مرة أخرى للتفرغ لتحفيظ الناس القرآن الكريم.. هذه مهمة ستستقيم بها الأفكار.. سيحصن الولد نفسه بالقرآن في حياته الدنيا، وفي تلقيه الأمر من الخارج، نعلمه بذلك السباحة في بحر الظلمات، وما أكثر هذه البحار!.. وما أكثر هذه الظلمات!..!

القرآن. القرآن.. عباد الله.. من كان منكم حافظاً للقرآن، فليهب حياته لتحفيظه لغيره ابتداء من الأطفال ومُروراً بالشباب وانتهاءً بكبار السن..؛ نريد في كل مسجد مقرأة تقوم بدورها في تحفيظ الناس كتاب الله ﷻ؛ فإذا حفظ الناس كتاب الله أمّنت عليهم كثيراً من الانجراف في السلوك، ومن الانجراف في الفكر، وأمّنت عليهم كثيراً في هذا العالم الذي كثر فيه الكذب.

كتاب الله ينير القلوب ويغفر الذنوب.. هو جبل الله المتين، لا تنتهي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد.. كتاب الله أول أمر فيه له شأن (هو حفظه)؛ فإن هذا الحفظ يتيح لك أن تراجع مراراً، وأن تتدبر آياته، وأن يكون معك في الطريق.. تذكر به.. ثم بعد أن تتدبر ويفتح الله عليك؛ لأنك صرت بذلك من أهل الله..؛

فمن حفظ القرآن صار من أهل الله، ثم بعد ذلك يوفقك الله في السلوك.. إذا ما وقعت في الخطأ أو الخطيئة رأيت الكتاب يرجع بك إلى حظيرة القدس.. إلى رب العالمين.. ولذلك ماذا نفعل في هذا البلاء؟! حفظ كتاب الله.

اجعلوه ديدنكم وأمرًا فيما بينكم.. أنشئوا المؤسسات في شأنه.. أنشئوا المقاريء.. أنشئوا الجمعيات.. أنشئوا الوظائف من أجل أن يعود كتاب الله ﷻ في كل صدر.. في كل حين.



كلمات ربانية في الإصلاح

من أفكار الخطبة ...

- (١) التكليفات الربانية خاطبت الإنسان ظاهراً وباطناً.. قلباً وقالبا.
- (٢) قوام الأمر على درء المفسد و جلب المصالح البدنية والروحية.
- (٣) صدقة لمصالح البدن، ومعروف لمصالح الروح، وإصلاح يدرأ المفسد.
- (٤) الإصلاح بين الناس منهج يفوّت الفرصة على المتأمرين أهل النجوى.
- (٥) المخرج في القرآن إذا ما تأملته وتدبرته بنور رسول الله ﷺ.
- (٦) حب رسول الله ﷺ هو سفينة النجاة.. لمن صدق.



كلمات ربانية في الإصلاح

إن الله ﷻ يعلم السر وأخفى، ويعلم الظاهر والباطن، ويعلم المعلن والخفي، وهو ﷻ يرشدنا في ظاهرها وباطنها إلى الخير.

يقول تعالى - وهو يكشف سر المتأمرين ويرشد المؤمنين إلى الخير العميم - ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥) وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٣٧﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿٣٨﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٣٩﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ إِذْ أُنزِلَ الْوَحْيُ وَلَا تَعْمِرِ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْهَمَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿٤٠﴾ يَعْدُهُمْ وَيُمْنِيْنَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَحْجُدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿٤٢﴾ (١)

برنامج عمل: إذا أردت الخير فعليك بأن تكون نجواك في السر كما هي في العلن، تكون أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر...؛ إصلاح الناس في درء المفسد وجلب المصالح.. أما جلب المصالح؛ فقد تكون راجعة إلى البدن وقد تكون راجعة إلى النفس، وأما درء المفسد فقد أشار إليها بالإصلاح بين الناس.

جلب المصالح البدنية: الصدقة. جلب المصالح الروحية: المعروف. درء المفسد بأنواعها: الإصلاح بين الناس.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري يقول له: «أصلح بين

(١) سورة النساء، آية: ١١٤-١٢١.



الناس قبل الحكم - يعني قبل القضاء - فإنه بعد القضاء تخرج ضغائنهم» أي أرشده إلى لجان التحكيم التي توفق بين الناس وتصلح بين الناس...
وميادين الإصلاح في النزاع والخصومات، وتكون في الأفراد والجماعات، والأزواج والزوجات، وبين المتدائنين، وفي الأقارب والأرحام، وفي القبائل والطوائف، وفي الأموال والدماء، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ آتِبْغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)..

النجوى قد تكون على غير ذلك؛ فتأمر بالشح، وتأمر بتدمير الناس والمؤسسات، وتأمر باحتلال الأوطان على ساكنيها، وتأمر بالإفساد بين الناس على طريقة «فَرَّقْ تَسُدْ» -والله حسيبهم يوم القيامة- ويجب على المسلمين أن يُفَوِّتُوا عَلَى الْمُتَأَمِّرِينَ حَالَهُمْ، وأن يستمروا في الأمر بإصلاح البدن وإصلاح الروح وإصلاح الحياة الدنيا والإصلاح بين الناس.

المتآمرون هم في الخارج والداخل، وهم يريدون شرًّا في الأرض ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(٢) «لَا تَرَأَى طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ. لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَّهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ. حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^(٣) هذه الطائفة يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ورسوله.. فاللهم ثبت قلوبنا على الإيمان وثبت أقدام المجاهدين في سبيلك يا رحمن.

أيها المسلمون.. فتنٌ كقطع الليل البهيم وكقطع الليل المظلم في الظاهر والباطن.. لا مخرج منها إلا كتاب الله.. هو الذي يخرجك منها.. هو الذي ينقذك فيها... هو الذي إذا ما تدبرته وتأملته.. إذا تمسكت به فقد استمسكت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، إنه

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) سورة البروج، آية: ٢٠.

(٣) سبق تحريجه من رواية البخاري ومسلم ص ٩٢.



حبل الله المتين..؛ ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾^(١) نزلت في بني أبيريق لكنها عامة إلى يوم الدين، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

القرآن يهديك إلى طريق الخير ويأمرك أن تفعله، ثم بعد ذلك يأمرك أن تفعله ابتغاء مرضاة الله، فلو فعلته رياء وسمعة ورياسة- جعل الله الخير هذا مردوداً إلى الناس ولا ثواب لك فيه؛ لأنه خير ولأنك فعلت الخير؛ فمن تصدق رياء الناس فالصدقة تفعل فعلها وتقوم بما خلقها الله من أجله لكن لا ثواب لك، أما لو جعلت فعلك هذا ابتغاء وجه الله فإنك ستنال سعادة الدارين، ولذلك بعد أن أقر أن هذا من فعل الخير- سواء صدر ممن ابتغى وجه الله أو ممن لا يبتغي وجه الله - فإنه إن فعل ذلك أثر في هذا الكون إيجاباً، ولكن أمرك أمراً جديداً ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وأمرنا أن لا نخرج عن طاعة الرسول ﷺ، فهو المثل الأعلى والإنسان الكامل والأسوة الحسنة.. خاتم النبيين.. خليل الرحمن.. حبيب رب العالمين ﷺ، ليس هناك بابٌ سواه يوصل إلى ربنا ﷻ.. أغلق الله كل الأبواب ونسخ كل الشرائع ولم يقبل من أحد إلا أن يدخل إليه من باب المصطفى والحبيب المجتبي ﷺ:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٣)...

أحبوا رسول الله.. علموا أبناءكم حبه، فإنه لا منجى لكم إلا سيدنا وعظيمنا وحبينا محمد رسول الله ﷺ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤) أكثروا من الصلاة عليه بالليل وبالنهار.. علموا

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٣) سورة النساء، آية: ١١٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.



أبناءكم حب رسول الله ﷺ؛ فهو سفينة النجاة، وهو الذي ارتضاه الله ﷻ بأن يبلغ دينه،
وبأن يقف هذا الموقف العظيم فيكون رحمة للعالمين، وشفيعاً للناس أجمعين ﴿وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

صلوا على النبي المصطفى ﷺ، ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢)
وادعوا ربكم.



(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٧.

لا يؤمننكم الشیطان

من أفكار الخطبة

- (١) صلاح الاجتماع البشري منوط بالتقوى والقول السديد.
- (٢) خطاب القرآن لعموم بني آدم هو تكليف لنا بحمل الدعوة للعالمين.
- (٣) الإسلام نسق مفتوح لا يعرف الانغلاق، عالمي لا يعرف الجنسية والعرق.. أمة واحدة عبر الزمان وفوق حدود المكان.
- (٤) عَلَّمَنَا ﷺ أَنْ نَدْعُوهُ أَلَا يَأْخُذْنَا عَلَىٰ خَطَا أَوْ نَسِيَانٍ، ويعيد قلوبنا أن تزيف.
- (٥) زيف القلوب له عناصر ومكونات أولها السقوط في الفتنة؛ ثم ابتغاؤها.
- (٦) الفتنة: معصية وجهل مركب، وعلم منسي ضائع، وحواس منتكسة، وفرح بالأدنى، ونفرة عن الحق وميل للباطل.
- (٧) والاندرج في الفتنة يكون على مستوى الأمم والأفراد، والأفكار والتوجهات، وداخل المؤمنين فيما بينهم، وفي علاقتهم مع ربهم.
- (٨) أول الفتنة ما قصه الله ﷻ عن أبينا آدم وزوجه؛ لا بغرض الحكاية!
- (٩) الفحشاء كلمة عامة يندرج تحتها صنوف الفواحش القبيحة؛ والناس بإزائها بين مقلد ومعتقد.. نعي الله على كليهما.
- (١٠) أحبوا الجمال، واخشعوا للجلال، واستعينوا بالله واصبروا، ولا تجعلوا فتنة الناس كعذاب الله.



لا يفتنكم الشيطان

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١) ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿۝﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣) ..

هذه الآيات البينات التي تدعونا إلى التقوى، تدعونا إلى الصلاح والخير، تدعونا إلى حمل الدعوة إلى الناس؛ مسلمهم وكافرهم، مؤمنهم ومفسدهم.. نراها في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ فإذا به يخاطب الجميع، يخاطب أمة الدعوة؛ فكل من على وجه الأرض من أمة دعوة المسلمين، فالإسلام نسق مفتوح لا يعرف الانغلاق، عالمي لا يعرف الجنسية والعرق...؛ إنما هو أمة عبر الزمان والمكان، وربنا ﷺ يعلمنا كيف ندعوه: ﴿رَبَّنَا لَا تَوَاحِدْنَا إِن كُفِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٤)، وندعوه ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٥).

وزيغ القلوب الذي نستعيد بالله منه: له عناصر ومكونات، عسى الله ﷻ أن يوفقنا أن نقف عندها..؛
إنما أول ذلك الوقوع في الفتنة، والتي اندرج فيها العالم اليوم على مستوى الأمم، وعلى مستوى الأفكار، وعلى مستوى التوجهات، وعلى مستوى المسلمين في داخلهم وعلاقتهم مع رب العالمين..

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، آية: ١ .

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٠ - ٧١ .

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦ .

(٥) سورة آل عمران، آية: ٨ .



الفتنة التي أمرنا الله ﷻ أن نتقيها ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(١). ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٢)، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٣).

فما الفتنة إذا؟ الفتنة معصية وجهل مركب، وعلم منسي ضائع، وحواس منتكسة، وفرح بالأدنى، ونفرة عن الحق وميل للباطل.. ويقول ربنا سبحانه: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾^(٤) الفتنة تؤدي إلى عدم دخول الجنة؛ فالفتنة قد أدت إلى الخروج منها، ولما قص الله علينا قصة آدم لم يقصها عفواً ولا حكاية ولا قصة مجردة لأحداث التاريخ؛ فإنه ﷻ يقول: ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(٥)؛

نعم.. لم يروها لنا إلا لناخذ منها العبرة ونقف عندها... لم يخرج آدم من الجنة؟ إنه قد مورست عليه الفتنة ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ ماذا فعل الشيطان؟ ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰهُمَا﴾ أول فتنة كانت فتنة العري والقبح الذي وجهه الشيطان إلى ابن آدم، وهو يراك عارياً ويعلم فتنتك:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾^(٦)، ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْتَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾^(٧)..

(١) سورة البقرة، آية: ١٩١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٧.

(٥) سورة الكهف، آية: ٥١.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٧) سورة الأعراف، آية: ٢٧-٢٨.



والفاحشة يندرج تحتها الشهوات.. ويندرج تحتها السب والقذف، والغيبة
والنميمة..

والمنهج الكذب الذي سيطر على عقول الناس فحرفهم عن العقيدة الصحيحة،
والذي جعلهم يحرفون الكتب السماوية التي أنزلها الله ﷻ من عنده، والذي جعلهم
يكذبون بنبينا ﷺ، وهو خير الخلق، والذي جعلهم يستعلون على الناس في الشرق
والغرب، ويكذبون على أنفسهم حتى صدقوها..!

ومن الفاحشة الفساد الذي عمّ وطمّ..، والإسفاف.. والابتذال..

كل ذلك تحت كلمة (فاحشة)، والناس أمامها على قسمين : قسم مُقلد، وقسم
يعتقد.. وإنا لله وإنا إليه راجعون؛ فقد أنكر الله عليها معا.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ ۗ أَنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۗ وَأَقِيمُوا
وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (١).

يصف واقعا على مستوى الأفراد.

انظر إلى الابتذال وقلة الحياء وقلة الأدب..! والإسفاف الذي في الغناء.. وفي
الإعلام المرئي والمسموع والمقروء..،
وانظر إلى الإسفاف الذي في اتخاذ القرار السياسي بتحريك الجيوش هنا وهناك،
واتخاذ القرار بزيادة الشعوب وظلمها وانتهاك الأعراض والفساد في الأرض، انظر إلى
هذه الصورة القبيحة لأعداء السلام وأعداء الجمال وأعداء الحق والخير...

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٨-٣٠.



ولكن ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^(١).

ولكن ﴿يَنْبَغِي ۚ آدَمَ﴾ وهو أمر يوجهه ربنا للعباد كلهم مسلمهم وكافرهم أن اتقوا الله ولا تكونوا من المفسدين، واتقوا الله ولا تكونوا من أولئك الذين يتبعون الشهوات.. ربنا ﷻ يوجه حالنا وأمرنا..،

ولا نزال نحب الصدق ولا نحب الكذب، ونحب الصدق والحق والخير والسلام والأمن والإيمان، ونحب الجمال ونحب كل ما أمرنا ربنا ورسوله أن نحبه، ونكره كل ما كان يكره ولا يجب.. نبغى على ذلك إلى أن نلقى الله غير خزايا ولا مفتونين.

نحن لا نريد فتنة في الأرض.. نحن نريد صلاحًا، ونريد أن نحجز الناس عن النار، وأن نحجزهم عن أن يذهبوا للجحيم في الدنيا والآخرة.. نحن ندعو الناس إلى سعادة الدارين، ندعو مسلمهم وكافرهم إلى أن يتوبوا إلى الله ﷻ.

عباد الله.. فتنة كقطع الليل البهيم لا يزال فيها الحليم حيرانا..! ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢) فاصبر فإنك على الحق، فاصبر فإن الله ﷻ ينصر من صبر.. أما وقد نزل البلاء فيجب عليك أمام البلاء أن تصبر.

وأول ذلك الصبر أن تتحمل أذى الناس، وأن لا يضل بك الطريق، وأن تعلم يقينًا إنك على الحق، وتدعوا الله ﷻ أن يثبت أفئدتنا عليه؛ فاللهم يا ربنا حبب لنا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره لنا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، ومن المتقين، ومع القوم الصادقين.. ادعوا ربكم.



عباد الله.. ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣) واعلموا أن هذا الوضوح الذي

(١) سورة يوسف، آية: ١٨.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٧.



في الإسلام لا يوجد في سواه، ولكن منهجهم ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾^(١) فهم مازالوا ولا يزالون إلى يومنا هذا يُغَبِّشُونَ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

اصبر واحتسب ولا تتزحزح عن إيمانك، والنبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ يُحَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُحَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»^(٣)؛ هكذا شأنهم يؤذون من كان على الحق؛ فلا تهتم بما تسمعه من أذية السمع، ولا تهتم بما تراه من أذية البصر، ولا تهتم بما يقع عليك من أذية النفس، ولا تهتم بما يقع عليك من أذية الجسد...؛

لا بد عليك من الصبر، ولا تجعل فتنة الناس كعذاب الله..!

دُم على الخير.. بلغ دينك.. علم أبناءك حب رسول الله ﷺ.. علموا الناس القرآن.. أخرجوهم من البطالة والعطالة والأمية.

أما أولئك جميعاً فنحن نعاملهم بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٤) ولا يهمننا ما يفعلون من إيذاء لأمتنا ولدولنا ولأوطاننا في داخلنا وفي خارجنا لأننا دعاة.. دعاة حق.. دعاة حضارة.. دعاة إنسان قد آمننا به خليفة الله رب العالمين؛ يعمر الأرض ويزكي النفس فيعبد الله بذلك كما أمره ربه.. «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٥) ووصفت السيدة عائشة رضي الله عنها عمل رسول الله ﷺ فقالت: «كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً»^(٦) فاستمر على الإيمان ودُم عليه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

(١) سورة فصلت، آية: ٢٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٢٦.

(٣) رواه الترمذي/ صفة القيامة - ٢٥٥٦.

(٤) سورة المائدة، آية: ٨.

(٥) سبق تخريجه من رواية مسلم ص ٩٠.

(٦) سبق تخريجه من رواية البخاري ص ١٥٤.



ءَامْتُوا ءَامْتُوا^(١) قال العلماء: يعني استمروا على الإيمان، ولا يصدنكم عنه أي شيء من فتنة عمياء صماء، ولا يصدنكم عنه شيء من فتنة الدنيا؛ لأن فتنة الآخرة أشد وأبقى... وعذاب ربنا...

﴿ذَلِكَ تَخْوَفُ اللَّهِ بِهِ عِبَادَهُ يَعْْبَادُونَ فَاتَّقُوا^(٢)﴾.



(١) سورة النساء، آية: ١٣٦.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٦.

عن الله ورسوله فذوا.. مناهجكم!

من أفكار الخطبة

- (١) تركنا على المحجة البيضاء: كتاب الله ﷻ، وسنته ﷺ وآل بيته الكرام.
- (٢) تختلف الأزمان والأحوال والأماكن، وعلى الدرب سائرون عقيدة وعلما وتطبيقا.
- (٣) عبادة الله وحده وبر الوالدين أصلان في صلاح الدنيا وإصلاح الاجتماع البشري.
- (٤) أصل الفساد والإفساد في الأرض الشرك بالله وتقطيع الأرحام.
- (٥) ارتضى أكثر الخلق الشرك بالله، ونازعوا المؤمنين الموحدون.
- (٦) من التلاعب بالأسماء: الجحود بدعوى الحرية، والعقوق بدعوى الاستقلال.
- (٧) أوصانا الله ﷻ باليتيم الغني، فما بالنا باليتيم الفقير..!
- (٨) كُنْ جميلاً.. كن حَنَّاناً ولا تكن مَنَّاناً.. ولا مختالاً فخوراً.
- (٩) الصلاح نور في القلب، وبركة في المعيشة، وراحة البال، وطمأنينة للنفس.
- (١٠) ﴿هُوَ مَوْلَانُكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(١).

(١) سورة الحج، آية: ٧٧.



عن الله ورسوله خذوا.. مناهجكم

تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ترك فينا كتاب الله وترك فينا سنته ﷺ، وترك فينا أهل بيته الكرام. أما كتاب الله ﷺ: فقد بين لنا كيف نعيش في هذه الحياة الدنيا؛ عقيدةً وعلماً وعملاً، وأما سنة رسول الله ﷺ: فبين لنا فيها كيف نطبق كلام الله عبر الدهور وعلى مر العصور، حتى إذا ما اختلفت الأحوال والأزمان والأماكن فإننا لا نزال على درب الله سائرون، ولا نزال في طريق الله نمشي إليه.. مقصدنا هو الله.. والله ﷻ مقصود الكل.. والله ﷻ يستحق منا أن نعبده لا نشرك به شيئاً، وأن نطيعه وألا نعصاه، وأن نحمده ﷻ على ما من علينا من منن لا تحصى، ومن نعم لا تستوفى، ولذلك أرشدنا إلى دساتير نسير عليها، ومما أرشدنا ﷻ إلى ذلك قوله ﷻ:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾

هذا برنامج عملك أيها المؤمن: أن تعبد الله أن لا تشرك به شيئاً.. أن تبر والديك أحياء وأمواتاً؛ أما في حالة الحياة فبأن تكفلها وترعاها وتطيعها وتقدم شأنها على كل شيء في حياتك، وأما بعد انتقالها إلى ربها فبالدعاء لها وبالتصدق ووهب الثواب لروحها وبر أصحابها وبصلة رحمها وتعليم الأبناء بر الوالدين ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾..

(١) سورة النساء، آية: ٣٦-٣٧.



بر الوالدين ركنٌ من أركان العمل الصالح، قرنه الله ﷻ بعبادته وحده وبالأمير بذلك وبالنهى عن الشرك به «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»^(١) وهذا القدر من الأمر بعبادة الله وحده ومن بر الوالدين عليه صلاح الدنيا وصلاح الاجتماع البشري، ومن أجل ذلك نرى الله ﷻ قد أمر كل أمة به ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢) أما هذه الأمة فقد ارتضى الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس، قال في شأنها: ﴿أَتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣).

عبادة الله وحده هي التي سببت النزاع بين المؤمنين وبين الكافرين إلى يوم الدين لما ارتضى جمهور الناس أن يشركوا بالله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾^(٤) ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٥) لما ارتضى أكثر الخلق بالشرك بالله في صورته المختلفة، نازعوا المؤمنين الموحدون وقاتلوهم وأعملوا فيهم السلاح، والمؤمنون لا يرضون إلا بدينهم وإلا بتوحيد ربهم؛ لأنهم يدركون أن هذه الدنيا ليست مبلغ علمهم ولا غاية أملهم ولا نهاية أمرهم، بل إن هناك يوماً آخر نعود فيه إلى الله، فيدخل المؤمنون الجنة ويدخل المشركين النار؛ وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

(١) «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، -ثَلَاثًا- أَوْ قَوْلُ الزُّورِ». فَمَا رَالَ يَكْرُرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. رواه البخاري: استتابة المرتدين المعاندين - إثم من أشرك بالله/ ٦٥٢١. من رواية أبي بكره رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠٦.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١١٦.



فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيتْهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْهَمَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾^(١) اتخذوا الشيطان ولياً من دون الله فخسروا عند الله، حتى لو مكنتهم الله ﷻ قليلاً من الزمان؛ لأننا سنعود جميعاً إليه فينبئنا فيما كنا فيه نختلف.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢) هذا الذي تركوه فتقاتلت مجتمعاتهم، وارتضى الناس هناك بتربية الكلاب عن تربية الأبناء..! حيث الجحود بدعوى الحرية وهي في حقيقتها التفلت، حيث العقوق بالوالدين وبذي القربى وصلة الرحم بدعوى الاستقلال وهو في الحقيقة الفساد ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٣).

لا تنسوا في دستور عملكم الصالح: صلة الرحم، واصبروا عليها وعلى الناس؛ حيث إن الناس قد تغيرت نفوسهم وأرواحهم وعقولهم ومفاهيمهم، وأصبحوا لا يلقون بالأبصلة الرحم «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَةُ وَصَلَهَا»^(٤) من رد الزيارة بالزيارة والصلة بالصلة فإن هذا يكون شاكراً أو مكافئاً للناس، والذي أمر الله به أن تصل رحمك ولو قطعوك، وأن تبرهم ولو عقوك، وأن تستمر على ذلك إلى أن تلقى الله؛ لأنك تعمل له وحده ﷻ.

﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ الله أوصانا في حق اليتيم الغني بالشفقة والرحمة والكفالة، حتى إن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَسَحَ عَلَىٰ رَأْسِ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا اللَّهُ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ

(١) سورة النساء، آية: ١١٦-١٢٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) سورة محمد، آية: ٢٢.

(٤) رواه البخاري/ الأدب- ٥٨٥٤.



مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ»^(١) أمرنا أن نكفل اليتيم ولو كان غنياً، وأن نحافظ على ماله حتى يرشد ويكبر، فما بالك باليتيم الفقير..! فإن الله ﷻ أمرنا أن نأويه، وأمرنا أن ننفق عليه، وأمرنا أن نَحِنَّ له وأمرنا، أن نعوضه عن ما قد ابتلاه الله به من يُتم، فعل ذلك ليختبرنا نحن؛ فقد انتقل أبوه أو انتقلت أمه إلى رحمة الله وتركوه في هذه الحياة الدنيا، والمُختَبَر هو من عاش.. هو ذلك الحي الذي يرى اليتيم أمامه فيجب عليه أن يبره وأن يقوم بشأنه، وأن ينفق عليه وأن يربيه على الصلاح ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ هُمْ خَيْرٌ﴾^(٢)

الإصلاح هو المهم في هذه القضية كلها: أن تكون حنّاناً وألا تكون مناناً؛ فإن المنان هو الله ﷻ هو وحده صاحب المنّة على الخلق أجمعين، تأخذ من صفات جماله، ولا تأخذ من صفات جلاله بل تتعلق بها، ولا تتعدى حدودك معها، تنفق في سبيل الله من غير أن تتبع ما أنفقت مناً ولا أذى؛ لأن الله غني عن العالمين، وغني عنك؛ أنت الذي في حاجة إليه وهو لا يحتاج إلى أحد أبداً سبحانه قيوم السموات والأرض.. مالك الملك سبحانه جل جلال الله.

وبعضهم يخصص يوماً لليتيم وهذا من العمل الصالح، ليس من قبل المادة والنفقة بل من قبل إدخال السرور عليه، وإذا أدخلت السرور على اليتيم فإن هناك دعوة صالحة يستجيب الله لها منه؛ فإن اليتيم قلبه ضعيف والله عند الضعيف، تجد ربك عند المريض إذا عُدت المريض، وتجد ربك عند اليتيم إذا أدخلت السرور على اليتيم، وتجد ربك عند المظلوم والمقهور إذا أنت رفعت الظلم عنه أو أزلت القهر من عليه، تجد ربك عند الضعيف والله ﷻ يستجيب لك دعائك، فمن أراد أن يستجيب الله له دعاءه فليكرم اليتيم، ولينفق عليه وليدخل عليه السرور كله.

يُنَبِّه الله ﷻ في ختام الآية أن الذي لا يعبد ربه، والذي لا يبر والديه، والذي لا يُكرم

(١) رواه أحمد/ حديث أبي أمامة الباهلي الصدّي - ٢١٩٠٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٠.



اليتميم، والذي لا يُكرم ابن السبيل، ولا يحافظ على الجوار، ولا تكون الصدقة بالمحل الأكمل عنده في حياته - يوصف بأنه مختال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(١) ويُنبه إلى أهمية الإنفاق في كل ذلك؛ فكل هذا يحتاج إلى الإنفاق ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢).

والنبي ﷺ يتكلم عن الصدقة فيقول إنها تدفع البلاء، ويقول ﷺ: «الْصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(٣) والصدقة تجوز حتى ولو على الغني، فمن أخرج شيئاً - حتى ولو كان اليتيم غنياً إدخالاً للسرور عليه، أو حتى لو كان الجار غنياً إدخالاً للسرور عليه، أو كان حتى للوالدين وهم أغنياء إدخالاً للسرور عليهما - كانت هذه من الصدقات التي يقبلها الله ﷻ وتقع في يده سبحانه جل جلاله قبل أن تقع في يد الإنسان، فينعي على أولئك ويقول: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٤) وبذلك فقد كفروا نعمة الله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١) اللهم سلم سلم.. نور قلوبنا، واكشف الحجب عنها، ووفقنا إلى ما تحب وترضى يارحمنا..
ادعوا ربكم...



عباد الله... هذا هو منهج الإصلاح الرباني...
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واعملوا الصالحات؛
وإن الإصلاح له نور في القلب وأثر في المعيشة وراحة وطمأنينة في النفس،

(١) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٣) رواه الترمذي / الإيمان - ٢٦٨٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) سورة النساء، آية: ٣٧.

فلا تحرموا أنفسكم من فعل الخيرات..

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانَكُمْ ۗ فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿١﴾



(١) سورة الحج، آية: ٧٦-٧٧.

ثقافة الهدوء وثقافة الضجيج

من أفكار الخطبة

- (١) الهدوء يكون في الصوت وفي السمع والنظر واتخاذ القرارات.
- (٢) الضجيج يحول الإنسان إلى شخص تائه تافه ضائع الهدف.
- (٣) ثقافة الضجيج سلاح إبليسي اتخذه أهل اللغو للمغالبة والصد عن سبيل الله.
- (٤) العقلية الهشة إنما هي نتاج ثقافة الضجيج حيث لا تأمل ولا برهان.
- (٥) وسط الضجيج.. كيف يدرك الإنسان شأنه، أو يعلم عصره..!
- (٦) أجره حتى يسمع كلام الله: إنه الهدوء فلا إكراه؛ فتبلغه مأمته.
- (٧) الضجيج: صياح وعلامة عذاب، والهدوء: همس وعلامة جلال وبهاء وأبهة.
- (٨) الهدوء حكمة تفضي إلى الأمن.. والحكماء أحق بها وأهلها.
- (٩) الهدوء منهج عام في العبادات والمعاملات، ظاهراً وباطناً..؛ فتعلم كيف تهدأ.
- (١٠) إنه معنا يسمع ويرى..؛ إنه قريب، تبارك اسمه، وتعالى جده ﷻ.



ثقافة الهدوء وثقافة الضجيج

فقد أمرنا الله ﷺ بالهدوء في الصوت، وفي السمع، وفي النظر.. أن نتخذ قراراتنا بحكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١)..

ونهانا عن ثقافة الضجيج حيث يتحول الإنسان فيها إلى شخص قميء قبيح، لا يفكر ولا يتدبر، ويختلط عليه الحق بالباطل، ويقف حائراً تائها تائها لا غرض له ولا هدف له في هذه الحياة الدنيا التي جعل الله لها هدفا ساميا وهو أن نعبد الله ﷻ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) وأن نعمر هذه الأرض فأرسل لنا الرسل وأنزل الكتب، وأكد الوحي وأمر ونهى وحد لنا حدوداً، وأن نزكي أنفسنا وأن نقيم أخلاقنا قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٣)، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٤). والناظر في ثقافة الهدوء وفي ثقافة الضجيج يجد أن ثقافة الضجيج وراءها حزب الكافرين، ابتداءً من إبليس وانتهاءً بالمعاندين الذين لا يريدون وجه الله، ولا يريدون صلاحاً في الأرض.

وثقافة الضجيج هي السلاح الذي يحاول به هؤلاء الأغبياء أن يصدوا عن كلام الله ورسوله ﷺ.

وثقافة الضجيج نراها عندما توعد الله إبليس بأوامر، والأمر في اللغة للوجوب لكنه قد يأتي للتهديد؛ فقال له:

﴿وَأَسْتَفْزِزُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٣) رواه أحمد/ مسند أبي هريرة - ٨٨٨٣، والحاكم/ دلائل النبوة - ٤٢٧١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

(٤) سورة الشمس، آية: ٩-١٠.



الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١﴾ أمره أوامر أربعة «استفزز»^(٢) -
أجلب عليهم^(٣) - شاركهم - عدهم» ليس على سبيل الوجوب، فإن الله لا يأمر بمنكر؛ إنما
على سبيل التهديد كلغة العرب تقول: اجتهد جدك وسوف ترى..؛ يهدده.

إبليس - لعنه الله - يجعل علو الصوت ويجعل الضجيج والجلبة والصياح وسيلة من
وسائل إضلال خلق الله ﷻ، والله عليم بما سيفعل فنبهه وحذره وتوعده وهدده بمثل
هذا الأسلوب الرائع الفائق الذي ليس هو من كلام البشر، فإذا كان من شأن الكافرين
﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾^(٤) يُصَفَّرُونَ وَيُصَفِّقُونَ!..

فهم ليسوا أمناء على العبادة ولا على مراد الله من خلقه، ولا على حياة الإنسان
وهدفه، ولا على سعيه وسلوكه..؛ هم يريدون ألا يفكر الإنسان..!

فإذا بعد أن جاءهم الهدى، وماذا بعد أن أرسل الله رسوله ﷺ منهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾^(٥)...

إنها ثقافة الضجيج الذي لا يبقى معه فرصة لبرهان ولا تأمل ولا تدبر، فتنشأ
العقلية المهشة التي لا تستطيع أن تفهم ولا أن تتدبر معناه، ولا أن ترى الواقع على ما هو
عليه، ولا يستطيع المؤمن حينئذ أن يدرك شأنه، ولا أن يعلم عصره، ولا يعلم كيف يفكر
في تطبيق ما أمر الله ورسوله في هذا العصر..؛ ابتغاء الوصول إلى مراد الله من خلقه.

في المقابل ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ
أَبْلِغْهُ مَأْمَرَهُ﴾^(٦)..

(١) سورة الإسراء، آية: ٦٤.

(٢) استفزه: ختله - خادعه وراوغه عن غفلة - حتى ألقاه في مهلكة. واشتفزه الخوف والغضب:
استخفّه. لسان العرب.

(٣) أجلب عليه: صاح به واستخفّه. لسان العرب.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٣٥.

(٥) سورة فصلت، آية: ٢٦.

(٦) سورة التوبة، آية: ٦.



إنه الهدوء.. إنه الأمر بالسماح والاستجابة والتدبر والتفكير وترتيب الأدلة من غير

إكراه ﴿ثُمَّ أبلغه ما أمتهر﴾...

ويقول ربنا جل في علاه: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٠١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾^(١) ويقول ربنا: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي ساكتين خاشعين ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٠٤﴾﴾....

ويوجه توجيهها عاما في الحياة، ليس فقط في الكلام والصوت الذي يخرج في نطاق الآداب التي بين الناس، بل أيضا في النفس المدركة الناطقة التي عليها التكليف؛ يقول لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٤١﴾﴾^(٢) ليس هذا فقط في الآداب الاجتماعية بل أيضا في كيفية التفكير؛ فإن هذا الصوت يجب أن يكون صوتا هادئا فيما بينك وبين نفسك.

إذا ما تتبعنا الصوت في القرآن الكريم، ورأيناه في جانب المفسدين ضجيجا وقلبا وصيحة - فقد جعله الله أيضا علامة على العذاب ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً ﴿٥٠﴾﴾.. نعم إنه العذاب...؛

وأولئك.. ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٦١﴾﴾...؛

نعم إنه العذاب...

(١) سورة الحجرات، آية: ٢-٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١١٠.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٩.

(٥) سورة يس، آية: ٤٩.

(٦) سورة الحجر، آية: ٧٣.



ويجعل الله ﷻ في المقابل (الهمس) علامة جلال ومهابة فيقول: ﴿وَحَشَعَتِ

الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(١)...؛

دلالة على الجلال والبهاء والأبهة...؛

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾^(٢) ثقافة الضجيج ذي العقلية الهشة أو ثقافة التدبر

والحكمة؟!؛

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣)..

ادعوا ربكم.



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده.. صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله. بلغ الرسالة فما قصر.. صلى الله عليه وآله وسلم تسليما..

يقول رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا

غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ»^(٤)..

علمنا رسول الله ﷺ كيف نهدأ، وأن الضجيج ظاهرا وباطنا ممنوع في ديننا.

فاللهم يا أرحم الراحمين وفقنا لما تحب وترضى....



(١) سورة طه، آية: ١٠٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

(٤) رواه البخاري- الجهاد والسير: ما يكره من رفع الصوت / ٢٩٤٢. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

النظافة وطهارة الباطن

من أفكار الخطبة

- (١) هَدَّبَ النبي ﷺ نفوسنا وأرشدنا إلى مراضى ربنا ﷻ، ورتب لنا أولوياتنا.
- (٢) تبدل بنا الحال فطمعت فينا الأمم، والمخرج استنادنا إليه ﷻ في شأننا كله.
- (٣) سألتني عن النظافة وأحسن السؤال فلفت نظري لأمرٍ جدٍ خطير!
- (٤) حروفٌ في النظافة..؛ إنها جديرة بالتأمل.
- (٥) نظفوا أفئنتكم..! فقه في التخلية.

النجافة وطهارة الباطن

تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، هذب نفوسنا ووضح طريقنا وأرشدنا إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، رتب لنا أولوياتنا، هदानا إلى سواء السبيل، أخرج أمة جاهلة سادرة في جهلها حفاة عراة ليغزوا العالم قادة سادة، فكانوا من بعد تربيته لهم ﷺ - خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، ويسعون في الأرض صلاحة، ويخرجون الناس من الظلمات إلى النور ومن الضيق إلى السعة ومن الدنيا إلى الآخرة، يعبدون ربهم رهباً بالليل، ويعمرون الدنيا ويجاهدون في سبيل الله فرساناً بالنهار... تركنا رسول الله ﷺ وكان لنا خير مستند...

فتبدل بنا الحال حتى طمعت فينا الأمم...! وهو الذي أرشدنا ووضح لنا كيف نخرج من تحت سيطرتهم وهيمتهم إلى الدعوة إلى الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾** ^(١) فإن نحن استندنا إليه ﷺ، وإن نحن أطلعناه في أنفسنا وفي أمتنا وفي جماعتنا - رأينا خيري الدنيا والآخرة، رأينا الله ﷻ في كل شيء، عندما نمد أيدينا إلى السماء: «يا رب. يا رب» فيستجيب الله لنا، وإذا نحن كنا على الأخرى من معصيته - ﷺ - في الجليل والحقير - فإننا نكون قد خالفناه، ونكون قد تركناه والعياذ بالله تعالى..

أترك أسوتك الحسنة في نفسك وفي أهلك وفي أمتك وفي بلدك وفي عملك وفي حياتك!!! «إنا لله وإنا إليه راجعون» سيغنيننا الله من فضله ورسوله، وإننا ونحن ننصح الله إنما ننصح أنفسنا قبل أن ننصح الناس، ونذكر أنفسنا ونحن نذكر الناس، ننصح الحاكم والمحكوم والكبير والصغير، بل إننا نخاطب المسلم وغير المسلم؛ لأن

(١) سورة الإخلاص، آية: ٣-٤ .



رسول الله ﷺ إنما أرسل رحمة للعالمين، وكافة للناس أجمعين، وهدى للمتقين.. ﷺ.

سألني فلقت نظري إلى أمر خطير، وهو في الظاهر حقير..

قال لي: إنه ذاهب إلى المسجد لصلاة الجمعة، ويرى الناس تسرع الخطى حتى تلحق بالخطبة وبالصلاة، لكنه رأى أكوامًا من القاذورات حول المسجد..! فهل يجوز - فقهاً - أن يسارع الناس قبل صلاة الجمعة إلى رفع هذه القاذورات وتنظيف ما حول المسجد، ثم بعد ذلك يذهبون إلى صلاة الجمعة بعد ساعة أو ساعتين من بدئها؟ وهل يعد هذا التصرف تصرفاً مقبولاً في شريعة الإسلام؟ وهل هذا المسلم الذي يسارع الخطى إلى الجمعة حتى يلحق بالصلاة ويسارع الخطى بعد الجمعة حتى يعود إلى بيته وأكوام القاذورات حول مسجده..! أيكون قد فهم عن رسول الله ﷺ مراده؟

وسألني وقال: ما العلاقة بين القذارة الحسية والقذارة المعنوية؟!

ما العلاقة في أن نرى القذارة أو أن نصنعها أو أن ننشئها وبين أن نقبل الظلم فلا نقول له لا؟!

ما العلاقة بين هؤلاء الذين يندسون حياتنا في الظاهر وفي الباطن؟

ما العلاقة بين أن نقبل عدم الطهارة بل والنجاسات يشربها ويأكلها الناس في صورة معصية نهي الله عنها كالخمر والخنزير، وبين تلك القاذورات التي يتناولها الناس كالزنا والكذب والافتراء وشهادة الزور، وبين ظلم العباد في السياسة وفي الاقتصاد وفي الاجتماع، وبين حال الأمة في العالمين؟!

وهلا تكلمتم أيها الواعظون في مسألة كهذه؟ أو أن ذلك محظور شرعاً؟

قلت له: الشرع يؤخذ من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ لا من فعل هذا ولا ذلك، وربنا ﷺ عندما أمرنا بالصلاة وهو يأمر العالمين بها وقد أرسل الرسول النبي الأمي في أمة قليلة الماء.. في أمة كثيرة الأتربة والرماد والرمال.. في أمة لم يكن عندهم سيارات ولا وسائل اتصالات بل هو الخيل والإبل مما يكثر معه العناء وتكثر معه المشقة والحرص من مظان النجاسات..! فإنه لما أمرنا بأمر هو عماد الدين وركنه وهو الصلاة قال:



﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾^(١).

ربنا ﷺ يأمرنا باستعمال الماء ويجعل النوم ينهي هذا الاستعمال، ويجعل نواقض
الوضوء الأخرى تتطلب منا أن نسارع إلى الوضوء، ويجعل ﷺ الوضوء مكفراً للذنوب،
هذا ربنا وهذا مراده في كتابه ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾..

بل ويأمرنا بالاعتسال في كل بدننا بعد هذه الشهوة، ثم بعد ذلك إذا فقدنا الماء
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ
تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٢)..

وقف عند كلمة ﴿طَيِّبًا﴾ وانظر إلى أن الله طيب يحب الطيب ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾
ليس في الظاهر، فقط بل الطيب يطلق على الظاهر والباطن معاً ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ﴾^(٣) مع قلة الماء.. مع كثرة العناء
﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤)..

فحول التكليف إلى تشریف، وجعل هذه المطالبة ليس من قبيل العناء وإنما هي من
قبيل الطهارة التي تدخل السرور في النفس، من قبيل الطهارة التي تمنع من المعصية، من
قبيل الطهارة التي تؤكد هذا المعنى من النجافة التي يحبها الله ﷻ، فجعل الموجب لذلك
هو الشكر وليس العفو أو المغفرة أو الرحمة، فلم يختم الآية «إن الله غفور رحيم».. «إن
الله تواب رحيم» «إن الله عزيز حكيم» لكنه ختمها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
فجعلها نعمة وجعلها تشریفاً وأخرجها من نطاق التكليف.؛

وكان الوضوء إنما هو شيء يلتذ به الإنسان.. ويا بركة من جعله كذلك.

ويقول رسول الله ﷺ، فيما يرويه عنه سعد بن أبي وقاص من طريق ابنه عامر فيما

(١) سورة المائدة، آية: ٦.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦.



أخرجه البزار والترمذي^(١): «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ...» هذا هو ربنا، وهذا هو كتاب ربنا، وهذه هي سنة نبينا ﷺ «...؛ فَتَظَفُّوا أَفْنِيَتِكُمْ» باقي الحديث..

«نظفوا» أمر..؛ فنحن مأمورون بالنظافة الحسية حتى تهيب لنا بيئة، فلا نظلم ولا نتظالم ولا نقسو وإنما يكون الأمر على ما قد أرسل الله به رسوله وأنزله في كتابه.. أول ما تفتح ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢) بداية الخطاب تدل على الكتاب، وبداية الكتاب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾..

نعم يجوز أن نؤخر الجمعة لرفع القاذورات إذا ما وجدت هذه القاذورات أماننا الآن، وتكون جمعتنا أكثر قبولاً عند الله حيث رأى فينا أننا قد فهمنا عن الله ورسوله مراده، نعم الجمعة ممتدة إلى العصر، وربنا يأبى أن نصلي الجمعة من غير وضوء فقد أمرنا به، وربنا يكره أن نصلي الجمعة من غير اغتسال فقد سنه رسول الله ﷺ لنا، وربنا يأبى أن نصلي وأن نصوم ثم لا تنهانا صلاتنا عن الفحشاء والمنكر، وأن نخرج من دائرة ذكر الله ﷻ إلى دائرة الغفلة..!

لا بد علينا من أن ننظف أفئتنا..، والأمر في ذلك ليس مقصوراً على تجميل المدينة إنما هو أمر متعلق بحياتنا السياسية، وبأمتنا بين العالمين، وبدعوتنا للآخرين، فإذا أردنا أن نرسل إليهم رسالة فلنرسلها كما أرادها رسول الله ﷺ، لا كما أرادها تقصيرنا، وإذا أردنا أن نبين لهم حقيقة الأمر فحقيقة الأمر مع الحقيقة المحمدية ﷺ لا مع هذا ولا مع ذلك.

أيها المؤمنون.. الكلام كثير وكتاب ربنا بين أيديكم، اقرأوه وتعلموا منه أن الله قد أمرنا بالطهارة في كل شيء ﴿وَسَعَلُونَا عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي

(١) الترمذي/ الاستئذان والآداب- ٢٨٧٧.

(٢) سورة الفاتحة، آية: ١.



الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿١﴾ ﴿لَمَسَّجِدُ أُبَيِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (٢) ..

اقرأوا كتاب ربكم واعلموا أنه يريد منكم في كل حياتكم حتى في الشخصية ومعاشرة النساء- وهي من أخص خصائص الرجال والنساء معاً- أن تعيشوا في طهر، فإذا واجهتم الحياة واجهتموها بنفوس أخرى، لا تقصير فيها في العمل، ولا تهاون فيها في السياسة والاقتصاد والاجتماع البشري.. إنها هي حياة نحيها كما أرادها رسول الله ﷺ وربى لنا جيلاً مثلاً فريداً، اللهم يا ربنا اجعلنا في إثره سائرين، ولغرضه ملازمين. ادعوا ربكم.



أيها المؤمنون.. النظافة من الإيثار والقذارة من الشيطان ظاهراً وباطناً، في حياتنا وفي تصرفاتنا وفي قراراتنا يجب علينا أن نتوب إلى الله، وأن نرتب الأولويات، وأن نتمسك بسنة رسول الله ﷺ، قليلها وكثيرها؛ فإنه الباب الذي بيننا وبين ربنا وقد انصد وانسد كل باب سواه.. صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله..



(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٨.

الكلم الطيب والعمل الصالح

من أفكار الخطبة

- (١) صدق الله رسوله فحفظ كتابه وحفظ عترته وسنته؛ والله الحمد.
- (٢) أين أنت من هذا كله؛ فمن وجد خيرا فليحمد الله أو فلا يلومن إلا نفسه.
- (٣) أمرنا ربنا ﷻ بأن نترجم الإيمان في العالمين قولا وفعلا.
- (٤) الكلم الطيب يصعد وينجذب إلى الملأ الأعلى.
- (٥) العمل الصالح لا يقتصر على العبادة القاصر نفعها على النفس.
- (٦) مفهوم العمل الصالح هو أن تجعل قلبك معلقا بالله رب العالمين في كل أفعالك، مقتفيا أثر نبيك ﷺ.
- (٧) ابدأ تجديد الإيمان بالكلمة التي تركها الأنبياء دليلا على طريق الله.
- (٨) اجعل لنفسك حصة من القرآن كل يوم وإن قلت، وتدبر وانظر ماذا يقول لك ربك.



الكلم الطيب والعمل الصالح

فإن رسول الله ﷺ تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقال: «بَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي» أخرجه الترمذي^(١) وغيره فيما لا يحصر من الروايات في كتب السنة الصحيحة، وفيما رواه البيهقي في القضاء: «كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(٢) وقد صدق الله رسوله فحفظ كتابه وعترته أهل بيته وسنته والحمد لله رب العالمين، أمرنا ربنا ﷺ في الكتاب وأخذ العهد علينا بأن نعبده لا نشرك به شيئاً، وأن نترجم هذا الإيمان في واقع الحياة بالعمل الصالح، وجعل العمل الصالح يتمثل في الأقوال والأفعال.

أما الأقوال فالعمل الصالح يتمثل في ذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣) قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٤) وأما الأقوال فتمثل أيضاً بأن نقول للناس حسناً، وجعل الله ﷺ أن نقول للناس حسناً قبل أن نقيم الصلاة؛ قال تعالى- وهو يقص علينا قصة بني إسرائيل ويريد منا أن نعتبر منها، وأن نمثل إليه ﷺ من خلاها- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٥) قدم القول الحسن على إقامة الصلاة،

(١) أصله عند مسلم عن زيد بن أرقم / فضائل الصحابة - ٦١٨١، ورواه الترمذي بهذا اللفظ في مناقب أهل البيت - ٣٩٤٧، عن جابر بن عبد الله، وحسنه، وقال: وفي الباب عن أبي ذرٍّ وأبي سعيدٍ وزيد بن أرقمٍ وحذيفة بن أسيد... رحمته. وكذلك رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري / ١٠٩٨١، ١١٣٢١، وعن زيد ابن ثابت - ٢١١٩٦.

(٢) سنن البيهقي الكبرى / ما يقضي به القاضي ويفتي - ٢٠٧٨٠. عن أبي هريرة رحمته.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ٨٣.



وهناك نراه ﷺ وهو يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١) فالكلم الطيب الذي يتمثل في ذكر الله، والذي يتمثل في أن نواجه الناس بالحسنى - يصعد وحده وينجذب إلى الملاء الأعلى وحده من غير رافع ولا معين، والعمل الصالح من الصلاة - وهي ركن الدين - ومن الزكاة - وهي ركن الدين - ترفعه الملائكة، وهذا يبين لك مدى علاقتك مع الناس ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، والنبى ﷺ يؤكد هذا فيقول: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا لَهُ دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(٢).

العمل الصالح لا يقتصر فقط على حسن العشرة وحسن الجوار وحسن صلة الرحم وحسن أداء مهام الأهل في البيوت، وإنما أيضا يتمثل في عبادة الله سواء أكانت قاصرة على نفسك كالصلاة، أو متعدية إلى غيرك في الخير كالزكاة، وربنا ﷺ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) وربنا ﷺ يأمرنا مع ذلك بعبارة الأرض ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٤) ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٥)، وأمرنا أن نتعلم والعلم من خير العمل الصالح حتى قال العلماء: وشرف العلم فوق كل شرف ومن ذاق عرف ومن عرف اغترف...؛

وربط ﷺ العلم بالتقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾^(٦) ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٧) ﴿إِنَّمَا تَحْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٨).

(١) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٢) رواه البخاري / الرقاق - ٦٣٣١.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٤) سورة هود، آية: ٦١.

(٥) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٧) سورة الزمر، آية: ٩.

(٨) سورة فاطر، آية: ٢٨.



مفهوم العمل الصالح ليس قاصراً على الكلام والقول الصالح، وليس قاصراً على فعل الجوارح عبادة لرب العالمين، وليس قاصراً على عمارة الأرض، وليس قاصراً على تعلم العلم، إنما مفهوم العمل الصالح أن يتعلق قلبك بالله فتجعل كل عملك في هذه الحياة الدنيا لله رب العالمين... «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١) ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(٢) فلا نجعل الشيطان ينزع بيننا لأننا من أمة سيد الخلق ﷺ الذي جاء فأخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأيده ربه ﷻ فحفظ له كتابه كما وعد ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣) وحفظ عليه أهل بيته، وحفظ علينا سنته ﷺ أنموذجاً للمعصوم ﷺ في تطبيق ذلك القرآن الكريم في واقع الناس.. نأخذ منها المناهج ونسير عليها، فسل نفسك: أين أنت من هذا كله؟ وجدد إيمانك، وابدأ في تجديد الإيمان بالكلمة التي تركها لنا الأنبياء دليلاً على طريق الله، والنبى ﷺ كان يقول: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ»، قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٤).

هذا هو عنوان المقام، وتلك هي حقيقة العمل الصالح لا تتخلف عن العلم ولا عن عمارة الدنيا ولا عن تركيبة النفس.. تدبر قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٥) حيث إنه يصعد وحده، وقوله تعالى قبل أن يأمرهم بالصلاة ويأمرنا بها ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٦). ادعوا ربكم..



- (١) رواه البخاري/ بدء الوحي - ١.
- (٢) سورة الإسراء، آية: ٥٣.
- (٣) سورة الحجر، آية: ٩.
- (٤) سبق تخريجه من رواية أحمد، ص ٢٠٤.
- (٥) سورة فاطر، آية: ١٠.
- (٦) سورة البقرة، آية: ٨٣.



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ونصر
من نصره؛ فاللهم اجعلنا من المنتصرين بك على أنفسنا وعلى أعدائنا، وأشهد أن محمدًا
ﷺ وهو سيد الكائنات رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وقد
أتم علينا النعمة والحمد لله رب العالمين ولكن ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ
أَقْفَالٌهَا﴾^(١)؛

اجعل لنفسك حصة من القرآن تقرأها كل يوم وإن قلت، وتدبر فيها وانظر ماذا
يقول لك ربك؛ فإن القرآن هو حبل الله المتين، وادع الله ﷻ مخلصا له الدين أن يفتح علينا
فتوح العارفين به، وأن يثبت قلوبنا على الإيمان، وأن يصرفها إلى طاعة الرحمن.



(١) سورة محمد، آية: ٢٤.

مع أرجى آية في القرآن

من أفكار الخطبة

- (١) إذا وقعت المعصية لا تيأس؛ فإن الله ﷻ يفرح بتوبتك.
- (٢) وصفها حبر الأمة وربانيها وترجمان القرآن^(١) بأنها أرجى آية.
- (٣) عشر مؤكدات في آية واحدة تفتح لك أبواب رحمة الله بعباده.
- (٤) آيات جعلت وحشي - قاتل حمزة عليه السلام - يتوب إلى الله.
- (٥) أشركتُ وقتلتُ وزنيتُ فهل لي من توبة؟ نعم، ومن يحول بينك وبينها!!
- (٦) فتح لك باب التوبة ولم يخفف وطأة المعصية؛ فلا تكن نكداً على نفسك.
- (٧) واجهك ﷻ بالرحمة والعفو والمغفرة فواجهه أنت بالإنابة وبالمسارعة في الخير..
وهكذا أبدا.
- (٨) ألا فتعرضوا لنفحات ربكم ولا تغفلوا عن مواسم الخير لئلا تحرموا.

(١) هو سيدنا عبد الله بن عباس ؓ؛ ابن عم رسول الله ﷺ. روى ابن ماجه في سننه/ ١٦٦ عن ابن عباس ؓ قال: صمّني رسولُ الله ﷺ إليّ وقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ وَتَأْوِيلَ الْكِتَابِ» رواه أحمد وبنحوه الترمذي وصححه. وابن حبان في صحيحه.



مع أرجى آية في القرآن

غدا بداية شهر رجب، وهو شهرٌ حرامٌ، سُمِّي «رجب الفرد» و«رجب الأصم» و«رجب الأصب»^(١)، وهو مقدمة لرمضان وتهيئة لشعبان، ينبغي علينا أن نستعد إلى هذا الشهر العظيم، وأن نتقل من دائرة غضب الله إلى رضاه، ومن معصيته ﷺ ومجاهرته بالذنوب ليل نهار إلى أن نسارع إلى مغفرة من ربنا ﷻ.

يجب علينا أن نتوب إلى الله، والتوبة الصدوق هي التي يعزم فيها الإنسان على ألا يعود للذنوب أبداً، ولكن الله ﷻ خلق ابن آدم خطاء يقول فيه رسول الله ﷺ وهو يعلمنا كيف نربي أنفسنا: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ»^(٢)، «خطاء» «تواب» على وزن «فعال» وهي صيغة تدل على تكرار وقوع الفعل وكثرته؛ فيجب عليك أن تتوب توبة مكررة، وكلما وقعت في الإثم أو المعصية فلا تياس بل عد إلى الله؛ فإن الله ﷻ يفرح بتوبتك «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة. فأنفلتت منه. وعليها طعامه وشرابه. فأيس منها. فأتى شجرة. فاضطجع في ظلها. قد أيس من راحلته. فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده. فأخذ بخطامها. ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح»^(٣) رسول الله ﷻ يفتح أمامك الأمل، ويأمرك أن تعود إليه ﷻ.

يقول ربنا ﷻ: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَرْفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَأَيُّبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٠١﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَمِن

(١) تقول العرب: «رجب الأصم»؛ لأنه لا تسمع فيه فقعة السلاح للقتال. وقال المولدون: «رجب

الأصب» فهو تحريف من الأصم، أو تخفيف له. بلوغ الأرب الألويسي.

(٢) سبق تحريجه من رواية الحاكم ص ٧٤.

(٣) رواه مسلم - التوبة/ ٦٩٠٩، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا
فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٤﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ
مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٥﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٧﴾^(١).

فتح الله ﷻ هذه الآية - التي وصفها ابن عباس بأنها أرجى آية في القرآن الكريم -
باب التوبة، وأكدها في عشرة مواطن في هذه الآية الواحدة.. ﴿قُلْ يَاعِبَادِي﴾ فأضافك
إليه فشفرك بشرف النسبة إليه ﷻ فقال: ﴿يَاعِبَادِي﴾ فأدخلك في دائرة المؤمنين مع
معصيتك له؛ فإن كلمة ﴿يَاعِبَادِي﴾ في القرآن - إنما تختص بالمؤمنين.

يعلن الله أنك من عباده، وأنت توافق على ذلك، وكأنه يسليك عن ذنبك الذي
فعلته، ثم إنه يفتح الباب للجميع ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ وتعرفون أن الله لا
يحب المسرفين ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢) ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣) ولكن معك أيها المؤمن يا من أتبع
الحبيب المصطفى والنبى المجتبى وأمنت بالله وبرسله، وحملت الرسالة في قلبك والإيمان
بين جوانحك - فإن الله قد فتح باب التوبة لك حتى ولو أسرفت على نفسك.

هذه الآيات هي التي جعلت وحشي - قاتل حمزة ﷺ -^(٤) يتوب إلى الله ويدخل
الإسلام! فقد جاء إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله أجرني حتى أسمع كلام الله، قال:

(١) الزمر، آية: ٥٣-٥٩.

(٢) الأعراف، آية: ٣١.

(٣) الأنبياء، آية: ٩.

(٤) وحشي بن حرب الحبشي، مولى جبير بن مطعم بن عدي، وهو قاتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي. أسلم،
وشهد اليرموك، وهو قاتل مسيلمة الكذاب - قال فيها رواه البخاري - المغازي / ٣٩٨٣: لأخرجن إلى
مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكْفَى بِهِ حِمْزَةً - وكان يقول: تقولون أنني قتلت حمزة، فإن أك قتلت خير الناس فقد
قتلت شر الناس؛ فهذه بتلك. بتصرف يسير من تهذيب الكمال ١٩ / ١٢١.



«يا وحشي لوددت أني لو ألقاك في غير هذا»؛ فقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يقتله لما قتل حمزة (أسد الله) خيانهً وغدرًا من خلفه - وما كان أبدا يؤتى من أمامه على هيئة النبلاء - ولكن الله يقول: ﴿وَأِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾^(١) فيتجرع رسول الله ﷺ - بأبي هو وأمي - جرعة الغيظ ويكتم غيظه ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) ويسمعه من كلام الله:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^٤ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٥﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَذُ فِيهِ مَهَانًا ﴿٦﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ^٥ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾^(٣) فيقول: أرى شرطًا يا رسول الله ولعل الله ألا يقبل لي عملاً..!

ويأخذ رسول الله ﷺ في سرد الآيات - بحكمته - لأنه يبين له في تلك الآيات التي تلاها عليه أولاً مسألة القتل بخصوصها..؛ هو (وحشي) يقول: أشركت وقتلت وزنيت! فأتى له بما يناسب حاله، ولكن هكذا شأن البشر يفهمون مراد الله في حين، ولا يفهمونه في حين آخر. فالنبي ﷺ جاء له بالآيات التي تناسبه، ولكنه تردد وتأخر وقال: أجزني حتى أسمع كلام الله! مرة ثانية وثالثة..، حتى تلا عليه هذه الآيات من سورة الزمر:

﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤).

(١) سورة التوبة، آية: ٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٩-٧١.

(٤) يروى في أسباب النزول عن ابن عباس، قال: أتى وحشي إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أتيتك مستجيراً فأجزني حتى أسمع كلام الله. فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذ أتيتني =



ومن التأكيد أنه يقول ﴿الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولو قال «الذنوب» فقط لكفى ولكنه أكدها، ومن التأكيد تكرار الضمير ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ﴾، ومن التأكيد أن يصف نفسه ﷺ بالغفران ثم بالرحمة... عشر تأكيدات في تلك الآية فكانت أرجى آية في القرآن، فهل أنتم منتهون؟!!

نسبهم إليه بـ (عبادي)، ووصفهم بالإسراف على أنفسهم، وأمرهم بعدم القنوط، وذكر رحمة الله، وأكد بـ (إن)، وذكر المغفرة بالفعل المضارع، وعممها في جميع الذنوب، وأكد بـ (إن) مرة أخرى، وبالضمير الظاهر (هو)، وبالوصف بالغفران ثم بالرحمة. ﷺ أرحم الراحمين.

ربنا عندما فتح لك باب التوبة.. لم يخفف من وطأة المعصية وضرر الذنب عليك؛ فلا تكن نكداً على نفسك حين تقرأ قوله تعالى وهو يناديك ﴿بِعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، فتتجراً على المعصية من واسع فضل الله ورحمته؛ فإن الله لما قابلك بالرحمة والعفو والمغفرة يجب عليك أن تواجهه بالإجابة وبالمسارعة في الخير ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾^(١).

أيها المسلم.. دستور التوبة يلزم منك أن تندم على هذه المعصية، وأن تتوب من كل ذنب قبل الفوت وقبل الموت.

=مستجيراً فأنت في جوارح حتى تسمع كلام الله». قال: فإني أشركت بالله، وقتلت النفس التي حرم الله تعالى، وزنيت؛ هل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى آخر الآية. فتلاها عليه، فقال: أرى شرطاً، فلعلي لا أعمل صالحاً، أنا في جوارح حتى أسمع كلام الله تعالى. فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فدعا به فتلاها عليه، فقال: ولعلي ممن لا يشاء، أنا في جوارح حتى أسمع كلام الله. فنزلت: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] فقال: نعم، الآن لا أرى شرطاً، فأسلم.

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.



هيا بنا ونحن نستقبل أول رجب في غدٍ نستقبلُ توبةً جديدةً مع ربنا، وندعوه ﷻ أن
يقيمنا في الحق وأن يغفر لنا ذنوبنا وخطأنا، وأن يعفو عنا وأن يرضى عنا برضاه، وأن
ينظر إلينا بنظر الرحمة، وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا بما نسينا أو أخطأنا، ولا بما
قصرنا عنه أو قصرنا فيه، ونقول له:
يا ربنا هذا حالنا لا يخفى عليك فوقنا إلى الالتجاء إليك.



مِيزَانُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

من أفكار الخطبة

- (١) أمرنا الله ﷻ بالخوف منه والرجاء فيه، وبدأنا بالرحمة حتى 'تطمئن قلوبنا أن رحمته سبقت غضبه ﷻ'.
- (٢) بين لنا كيف نخافه ونحن نحبه، ونحبه ولا نأمن مكره، ونحن نرجوه.
- (٣) نرجوه ﷻ فنرجو لقاءه، ونصلح فنتبع ولا نبتدع، ولا نشرك بعبادته أحداً.
- (٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام الأمم وبقاء الحضارات.
- (٥) أخرج الدنيا من قلبك وتوكل على ربك واذكره كثيراً وسارع في الخيرات، وليكن ربنا هو الأول والآخر عندك كما سمي نفسه ﷻ.
- (٦) إذا فعلت ذلك فأنت ترجو الله حق الرجاء وإلا فأنت من أهل الأمانى.
- (٧) من علامات الاعتماد على العمل: نقصان الرجاء عند وجود الزلل، ونقصان الخوف عند وجود الطاعة.
- (٨) سوء الظن بالنفس حالة يخرجنا منها حسن الظن بالله ﷻ؛ فيكون التوازن.
- (٩) ميزان فارق بين الخوف واليأس.. وبين الرجاء والتمنى.
- (١٠) الحقيقة معيار التوازن الكوني ومناطقها الوسطية وكذلك كُنَّا أمة وسطاً.



ميزان الخوف والرجاء

فإن الله ﷻ لما خلق الخلق أمرهم بخوفه ورجائه ﷻ، وبين لنا الكتاب كيف نخاف الله ونحن نحبه وهو أرحم الراحمين، فلما بدأنا بدأنا بالرحمة حتى تطمئن قلوبنا، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١) ثم بين لنا كيف نرجوه ولا نرجو سواه، وكيف ننظر في أنفسنا حتى يتبين لأحدنا أنه يرجو الله.. يقول ربنا ﷻ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْتُغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٢) يقول ربنا ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣) يقول ربنا ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٤).

ربنا ﷻ يمدح من رجاه، ومن يرجو ربه فلا بد أن يؤمن به ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، ومن يرجو ربه لا بد أن يقوم بالعمل الصالح، وأول العمل الصالح ذكر الله وفعل الخيرات وأن تنفروا الله رب العالمين فيها ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥) من أراد أن يرجو الله ﷻ دون سواه فلا بد أن يتبع الحبيب المصطفى والنبى المجتبى ويجعله أسوة حسنة له في حياته الدنيا:

(١) سورة الفاتحة، آية: ١.

(٢) سورة الكهف، آية: ١٠٧-١١٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) سورة الممتحنة، آية: ٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.



﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) لا بد عليه أن يصدع بالحق ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ الْغَيْرُ الْحَكِيمَةَ﴾^(٢)؛

هؤلاء هم الذين كانوا أسوة حسنة لنا بأمر ربنا إن كنا نرجوه: أن نصدع بالحق، وألا نخاف في الله لومة لائم، وأن نسمي الأشياء بأسمائها.. أن نأمر بالمعروف وأن ننهي عن المنكر بعد إيماننا بالله.. أن نصدع بالحق هو من فعل الخيرات الصالحات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه تقوم الأمم ويكون بقاء الحضارات.

أيها المسلم.. من وقع في الزلازل فعليه أن يغلب جانب الرجاء - يقسم الجمال من أسماء الله الحسني - على جانب الخوف؛ فإن الله ربط بين الوقوع في الزلزل والإسراف على النفس وبين جماله وشفوه وغفرانه فقال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادِي الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣)؛

وذلك لأن تغليب جانب الرجاء يساعدك على التوازن، ولذا ترى أهل الله يحدرون السالكين في طريق الله من نقصان الرجاء عند الوقوع في الزلازل لما له من أثر سيء في التيسر من الغفران؛ يقول سيدي ابن عطاء الله السكندري: «من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل».

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ٤-٥.

(٣) سورة الزمر، آية: ٥٣.



وكذلك يمكن أن نزيد على حكمة سيدي ابن عطاء الله السكندري عبارة: «ونقصان الخوف عند وجود الطاعة».

فعلى المسلم تغليب جانب الخوف عند فعل الطاعات. وقد بين لنا ربنا هذا المنهج في كتابه. فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(١)... أيها المسلمون.. تأملوا في رجاء الله، تأملوا في أنكم قد نزعتم الدنيا من قلوبكم وأنكم ترجون الله واليوم الآخر...؛
فيا هنا من أخرج الدنيا من قلبه وجعلها في يده، وأقامه الله فيها فسلطها على هلكتها في الحق!

ويا هنا من قدم ربه على من سواه؛ فإن الله أغنى الأغنياء عن الشرك! ويا هنا من تدبر كتاب ربه فوقف عند حدوده! ويا هنا من امتثل لذلك قبل الفوت والموت!
«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا»^(٢).

فلتؤمن بالله وحده لا شريك له، ولتتخذ نبيك أسوة حسنة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٣) وأخرج الدنيا من قلبك، وتوكل على ربك، واذكره كثيرا في الغدو والآصال، وسارع إلى فعل الخيرات، وليكن ربنا ﷺ هو الأول والآخر عندك كما سمى نفسه ﷺ.. إذا فعلت ذلك فأنت ترجو الله، وإذا غاب عنك شيء من هذا فلتتهم نفسك ولتتق ربك ولتبادر بالعودة إليه، وإلى المغفرة منه. ادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة أن ينقلنا من دائرة سخطه إلى دائرة رضاه.



(١) سورة المؤمنون، آية: ٦٠.

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري/ الزكاة- ١٣٨٩، ومسلم/ صلاة المسافرين- ١٨٤٦. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده،
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله قرّة عين الموحدين، يخاف ربه ويخشاه، ويذكر ربه
فيشكره؛ إمام الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، سيد الخلق أجمعين بفضل ربه.. اللهم صل
وسلم عليه صلاة وسلاما تليق بجلاله عندك يا أرحم الراحمين.





أحبوا الحياة .. ولا نهنأوا!

من أفكار الخطبة ...

- (١) خلق الله ﷻ لنا الحياة هبة ربانية ومنحة صمدانية.
- (٢) المسلم في أصل عقيدته يرى الحياة مِنةً من الله، فهو حقيق بحبها حب الله.
- (٣) خلقنا في الدنيا وجعلها محلا لحياتنا، فنحن نحب الحياة ونقدر للدنيا قدرها، مدركين حقيقتها.
- (٤) خلق الله ﷻ الموت والحياة لئيلونا في أعمالنا واختياراتنا، أما الوهن فهو حب الدنيا وكرهية الموت.
- (٥) حب الحياة ينزع الوهن من القلب ويرزقك قررة عين الدارين.
- (٦) استحب لما يهديك حياة أخرى!.. هي الحياة الحق وهي حقيقة الحياة.. وفيها الخلود.
- (٧) المسلم يجعل الدنيا في يده لا في قلبه، والمفسد يلبس وراء الشهوات.
- (٨) المسلم هو من يدرك معنى الحياة وليس من يتعلق قلبه بالدنيا.
- (٩) لا تطع أحدا من المفسدين، ولا تعد عينك عن المؤمنين، ولا تفرح بحياة دنيا!
- (١٠) أحب الحياة تكن سعيدا، والبس جديداً، وعش حميدا،.....



أحبوا الحياة.. ولا تهنأوا!

خلق لنا الحياة منةً منه لنا، فجملها وزينها..
استضافنا فيها فأكرمنا وأحيانا ورزقنا وهدانا..،
والحياة بهذه الصفة هي هبة ربانية ومنحة صمدانية..
أرشدنا الله ﷻ كيف نتعامل معها.. وكيف نتمتع بها..
أرشدنا ﷻ لما فيه صلاح دنيانا..؛ كيف نضعها وما أولويتها.
أمرنا الله ونهانا وبين لنا وثبتنا في كتابه وفي سنة سيدنا رسول الله ﷺ، فجعلنا لا
ننسى نصيبنا منها، وأمرنا بالتأمل والتفكير فيها، وجعل ذلك من سمات عباد الرحمن
الذين يذكرون الله كثيرا.

ربنا ﷻ يضع دستور ذلك كله فيقول: ﴿وَأَتَّبِعْ فِي مَاءِ آتِنَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا
تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي
الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)...

فالمسلم هو الذي يحب الحياة حبا حقيقيا..
يعرف قيمتها ويعرف منة ربه عليه بها، ولا يتجاوز شأنها ولا يضعها في قمة اهتمامه
فتحجبه عن الله.

المسلم هو الذي يدرك معنى الحياة.. وليس الذي يتعلق قلبه بالدنيا..
حب الدنيا من الوهن.. وحب الحياة ينزع الوهن من القلب..
قالوا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(٢)..؛
فالمسلم يحب الحياة لكن لا يلهيه هذا الحب عن حب الحياة الآخرة فهي الحيوان،

(١) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٢) سبق ترجمته من رواية أحمد ص ١٤٣.



وهي الحقيقة، وفيها الخلود، ونرجو فيها رضا الله ﷻ حتى يدخلنا جنته وحتى يقينا عذابه وغضبه.

المسلم هو الذي يحب الحياة وليس المفسد هو الذي يحب الحياة؛

المفسد هو الذي يحب الشهوات ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ التَّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَابِ﴾^(١).

ربنا ﷻ يأمرنا بالنية الصالحة في كل ما نفعل، سواء كان الذي نفعل راجعا إلينا أو راجعا إلى أهلنا، أو راجعا إلى غيرنا، أو راجعا إلى أقاربنا وجيراننا.. كل ذلك ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢) «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(٣) يثاب أحدكم حتى من اللقمة يضعها في فم زوجته^(٤)، ويثاب أحدكم حتى في شهوته يضعها في حلاله^(٥) قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ - يعني أخبروني - لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَّانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ».

خلق الله الخلق وأمرنا أن نتمتع به في حله ولذلك يقول ﷻ: ﴿يَبْنَئِي ءَادَمَ حُدُوءًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٦) أمر ونهي ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٧) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٨).

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٢) سورة غافر، آية: ١٤.

(٣) سبق تخريجه من رواية البخاري ص-١٨٢.

(٤) كما في صحيح البخاري/ الوصايا- ٢٦٨٣.

(٥) كما ورد في حديث رواه مسلم/ الزكاة- ٢٢٨٢.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٧) سورة الأعراف، آية: ٣١-٣٢.



يعلمون الحق ولا يلبسونه بالباطل، ولا يدجلون على الناس بأن المسلم يكره الحياة؛ لأن المسلم في أصل عقيدته يرى الحياة منة من الله، فهو يحب الحياة حب الله، لكنه لا يحب الفساد لأنه **حَلَالٌ** لا يحب المفسدين **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**.. المسلم يحب الحياة لأنه لا يجد حجابا بينه وبين ربه، ولا ينسى نصيبه من الدنيا فيتمتع بها وبطيبتها وبحلها كما أمره الله، ولا يعدو فوق ذلك، ويجعل كل تصرفه لله وقلبه معلق في حالة دائمة بالله.. فهو يفعل لله ويترك لله ويقوم لله ويقعد لله.. هذا هو المسلم الذي يحب الحياة..

أيها المسلم تمسك بهذه الآية الدستور وتأمل فيها وسر عليها: **﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾**..

ثانيا: **﴿وَلَا تَسْرِ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾**..

ثالثا: **﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾**..

رابعا: **﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**.

ولا تطع أحدا من المفسدين، ولا تعد عينك عن المؤمنين فإن الله **ﷻ** يرضى عنك برضاه ويهديك هدايته ويرحمك برحمته **﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**^(١) **﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**^(٢).

ادعوا ربكم.



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.. أما بعد..؟

فإن الله **ﷻ** فرض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة، وليس هناك دين قد علق

(١) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٧.



أتباعه قلوبهم بربهم كالإسلام، فهم على صلواتهم دائمون، وفي الصلاة أمرنا ربنا بالقراءة والركوع والسجود، ولا يسجد لرب العالمين على وجه الأرض إلا المسلم، وأمرنا- وبين ذلك- أن نتعد عن الفاحشة والمنكر، وأن نلهج بذكره، وأن نفعل الخير كله..

ولا يأمر دين أتباعه كما أمر الإسلام بذلك كله، فقلب المسلم معلق بربه؛ فالحمد لله رب العالمين على نعمة الإسلام التي قد منحها لنا من غير بحث، ومن غير حول منا ولا قوة.. نَجَّاكَ فَاشْكُرِ اللَّهَ وَأَوَّلَ كَلِمَةٍ فِي الْفَاتِحَةِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(١) كلمة عجيبة غريبة، وكأن كل الحمد إنما هو الله ﷻ، وكأننا جميع أجناسه إنما هو الله، وكأننا هي كلمة جامعة تعبر عن منهج المسلم في الحياة.. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فالحمد لله على نعمة الإسلام.



(١) سورة الفاتحة، آية: ٢.

احذروا نزول العذاب

من أفكار الخطبة ...

- (١) لم يخلقنا الله ﷻ عبثاً، ولا تركنا سُدىً فأرسل الرسل وأنزل الكتب.
- (٢) بعد البشر عن هدى الله فتاهوا، ولم يزدادوا إلا حيرة.
- (٣) النكته السوداء أثر المعصية في القلب.. ثم يكون الران^(١).
- (٤) الران يحجب العبد عن ربه، ويفصله عن كونه؛ فلا يدرك حقائقه ولا يعرف منتهاه، فيشعر بالعيشة في حياته حيران يلقى بيده إلى التهلكة.. في لعبة!
- (٥) بيت العنكبوت! فكر ساذج تافه وإه رأيناه يدعو إلى حرية الانتحار!
- (٦) المعصية سبب هلاك الأمم السابقة، وعصمنا من الاستئصال ببركته ﷻ.
- (٧) إنما يبقى شيء من العذاب ينزل على العباد إذا استشرى الفساد، وكل يبعث على نيته، ومع شاكلته.
- (٨) أصناف البلاء مذكرات تدعوك للعودة.. وأن لا ملجأ منه إلا إليه.
- (٩) علينا أن نفيق وأن ندرك نكد المعصية ونحذر متاهة الفكر وحيرة القلب.
- (١٠) منهج رباني: أن نقرأ الكتاب ونستهدي به، وأن نقيم الصلاة ونتمسك بها، وأن نُكثر من ذكر الله تعالى حتى تطمئن القلوب.. وتهدأ النفوس.

(١) قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين / ١٤). يعني: غلب على قلوبهم وعَمَرها، وأحاطت بها الذنوب فغطتها.



احذروا نزول العذاب

فإن الله ﷻ لما خلقنا لم يتركنا عبثاً.. هداً بالنا وأرسل رسلاً من لدنه، وأنزل كتباً حتى نعلم ماذا نفعل في هذه الحياة الدنيا.. أوضح لنا حقيقة الموت وما بعده فأجاب البشرية عن مسألةٍ تحيرها: من أين نحن؟ فقال: أنا الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وماذا نفعل هنا؟ نأتمر بالطاعة، فنقف عند أوامره وننتهي عند نواهيه.

وماذا سيكون غداً؟ ننتقل ونرجع إليه ﷻ للحساب للثواب أو العقاب فمن وفقه الله ﷻ فهو الموفق ومن هداه فهو المهتدي ولن تجد من دون الله ولياً.

ترك لنا رسول الله ﷺ الأمر واضحاً جلياً.. بُعد البشر عن هدي الله وأخذوا يبحثون في الأرض وفي السماء عن الإجابة: من الذي خلق؟ وما الذي فعله هنا؟ وماذا يكون بعد الموت؟

ورأينا في الأسابيع القليلة الماضية أن شباباً قد حاول أن يكتشف شعور الموت وما بعد الموت فشنع أحدهم نفسه في لعبة تسمى «لعبة الموت»..! فمات ولم يرجع!

لأنه متشكك فيمن خلق.. لأنه بعيد عن دينه وهو يشرح له الحقائق؛ لأنه حيران تائه لا يجد له قضية في هذا الكون يعيش من أجلها ولا يجد لنفسه برنامجاً يسير فيه، وقالوا: إن هذا اللاعب اللاهي كان متفوقاً وكان ذكياً، والأمر لا يتعلق بذكاءٍ وغباء ولا بتفوقٍ وفشل..! إنما هو يتعلق بإيمانٍ وقلة إيمان.. بتربيةٍ وقلة تربية.. بدينٍ وقلة دين.

الأمر يتعلق بكلام رسول الله ﷻ وهو يقول لنا: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِنَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ - نزع نفسه من المعصية ولم يستمر فيها - فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبُهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ:



﴿كَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).. فتصبح النكته السوداء تعظم وتعظم حتى تغطي على القلب، فتفصل بين العبد وربّه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَخُولٌ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^(٢) وتحول بين العبد وبين هذا الكون؛ فلا يدرك حقائقه ولا يعرف منتهاه، ويشعر بالعبثية في حياته وبحب الاستكشاف والتجريب فيما يؤدي به إلى الهلكة وليس بمكتشف شيئاً؛ فإن الله ﷻ هو صاحب الحياة والموت، وهو الذي جعلها ابتلاءً لبني الإنسان. أرى أناساً وهم يسارعون في المعصية ويبدأ الإعلام كل حسب ثقافته وكل حسب مراده في هذه الحياة الدنيا- فيحذّر بعضهم من لعبة الموت ويدعو آخرون إليها..! أرايتم العتب إلى أي شيء أوصلنا! وأن هذا هو الذي يولد في الإنسان حرية الإبداع وحرية الاستكشاف وحرية الانتحار وحرية الهلكة..!! أرايتم إلى أي حضيض وصل هؤلاء!!!

إن المعصية إذا تمكنت في أمة فإن الأساس أن الله يهلكها بأصناف الهلاك، ولكن أمة محمد ﷺ قد عصمت من الاستئصال ببركة سيد الخلق ﷺ، إنما يبقى شيء من العذاب ينزل على العباد.

يقول سيد الخلق لنا فيما ترويه أم سلمة رضي الله عنها: «إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي أُمَّتِي عَمَّهُمُ اللَّهُ ﷻ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ» فقلت: يا رسول الله، أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: «بَلَى»..

إذن حين ينزل العذاب يُعم على الصالح والطالح، أما الطالح فمعروف وأما الصالح فلائنه لم يتبرأ ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر وسكت على البلاء حتى استشرى وانتشر..

قالت: فكيف يصنع أولئك؟ قال: «يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ

(١) سورة المطففين، آية: ١٤.

(٢) رواه الترمذي/ تفسير القرآن - ٣٤٦١. وقال: حسن صحيح.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.



مَنْ اللَّهُ وَرِضْوَانٍ^(١) فيحشر الله الطالحين مع الطالحين، والصالحين مع الصالحين.. ولكن في الدنيا يصيبهم العذاب. نسأل الله السلامة.. ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾ يعني بسبب ذنبه ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الأمراض.. أنفلوانزا الطيور، البلاء الذي لم يكن في أممٍ قد سبقت كالسرطان والإيدز.... نعم هي كونيات ولكنها مذكّرات تذكرك للعودة إلى الله.. تذكرك لأن تفر إليه.. هي كونيات من خلق الله وبقدر الله والله ﷻ له حكمة في كل شيءٍ يخلقه من خير وشر، فهذه رحمة تدعو الناس إلى العودة إلى الله لا إلى الفرار منه.. بل إلى الفرار إليه.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

نعم فكر تافه ساذج يحاول فيه أحدهم أن يستكشف الموت عن طريق أن يشنق نفسه، ويحاول - بعد أن يدخل في الإغماء - أن ينقذه أصحابه فلم ينقذوه.. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣) يعني بسبب ما كانوا يصنعون ويذنبون ويستمررون في هذا الطغيان الفكري، وفي هذا الوضع القلبي الردي مع الله ﷻ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(٤) وربنا غيور لا يجب الشريك.. فمن اتخذ في قلبه هوى مع الله تركه الله وشركه، ونحن لا نستطيع أن نعيش إلا بالله ومع الله والله..؛ ويكفيك من العذاب أن يوكلك لنفسك، ويخليك وما أردت.

(١) رواه أحمد/ حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ - ٢٦١٩٠.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٠-٤١.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

(٤) سورة الجاثية، آية: ٢٣.



يجب علينا أن نُنْفِقَ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١) وأن ندرك نكد المعصية ومتاهة الفكر وحيرة القلب، وأن الإسلام يُجْرِحُ الناس من الظلمات إلى النور، ومن ضلالات هذا الهباء إلى طاعة الله ﷻ.

أيها الناس.. هذا كتابنا وهذه صلاتنا وهذا إيماننا ﴿أَتْلُو مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٢) هذا هو برنامج الإله الذي ارتضاه لنا: أن نقرأ الكتاب وأن نستهدي به، وأن نقيم الصلاة وأن نتمسك بها، وأن نُكثِرَ من ذكر الله تعالى حتى تطمئن القلوب ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣) ادعوا ربكم.



الحمد لله.. والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.. بلِّغ الرسالة.. أدِّى الأمانة.. نصح للأمة.. وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين.. بأبي أنت وأمي يا سيدي يا رسول الله.

أيها الناس.. أكثروا من الصلاة على سيد الخلق بالليل والنهار؛ فهو بابنا إلى مولانا وهو قدوتنا في حياتنا الدنيا وشفيعنا في الآخرة ﷺ؛ فاللهم يا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم.



(١) سورة الرعد، آية: ١١.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢٨.

نصحيح البدايات نصحيح للنهايات

من أفكار الخطبة

- (١) قالها أهل الله الذين أحبه فذكروه كثيرا، وأحبوا رسوله ﷺ فاتبعوا هُديهِ.
- (٢) تحولت العبادة إلى عادة وذهب رونقها فلا جرم فاتتنا البدايات.
- (٣) تصحيح البدايات: إقامة الأمر وتعظيم النهي ورحمة العباد وحفظ الأوقات.
- (٤) تعلموا العلم النافع، ودعوا سفاسف الأمور إلى جلائلها، واتركوا ما لا يعينكم إلى ما يعينكم، وسيروا على الدرب متوجهين إلى الله مخلصين له.
- (٥) صححوا البدايات في كل شيء لتصح النهايات؛ فأحسنوا الوضوء؛ طهارةً وتمامَ نعمة.. والزيادة لمن شكر.
- (٦) الوضوء طهارة للجوارح والحواس الظاهرة وإشارات؛ والأعمال بالنيات.
- (٧) ابدءوا مجدداً بما بدأ الله به أنفسكم ثم الأقرب فالأقرب - بالرحمة.
- (٨) محبةٌ مُطلقة هو محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ.
- (٩) بداية الطريق كثرة الذكر وطول الصمت؛ فتتفجر ينابيع الحكمة من قلبك.
- (١٠) تصحيح البدايات ليس له علاقة بكثرة السؤال، ولا بالوسواس، ولا له علاقة بالتردد والريب والشك.



تصحيح البدايات تصحيح للنهايات^١

هذا آخر يومٍ في ربيع الأول - الأنور - الذي تشرف بميلاد النبي المصطفى والحبيب المجتبي ﷺ.

اليوم هو آخر يوم في هذا الشهر الكريم.. نبدأ غداً شهراً جديداً وزمناً جديداً وبدايةً جديدة، نريد أن نستفيد من ميلاد المصطفى ﷺ، وهو الذي أرسله ربه رحمةً للعالمين وهدىً للمتقين وإماماً للمرسلين وخاتماً للنبيين.. نريد أن نستفيد من ميلاده الشريف وأن يكون لنا عبرة وعظة، نعيش حياته في حياتنا، ونعيش هديه في أنفسنا.

قال أهل الله الذين أحبوا الله فذكروه كثيراً، وأحبوا رسوله فاتبعوا هديه وقاموا بسنته: «تصحيح البدايات تصحيح للنهايات»، وإذا ما تأملنا مشكلاتنا فإننا نراها قد كثرت علينا وأحاطت بنا من كل جانب، وإذا أردنا أن نغير من أنفسنا فيجب علينا أن نبدأ البدايات الصحيحة، وأن نجعل البداية من الآن... هذه اللحظة.. وفي كل لحظة..

يستهن كثير من الناس بما ألفناه من شرع الله تعالى؛ من كثرة تكراره في حياتنا، أو التزامنا به دون أن نعرف الحكمة منه، أو أننا قد استهنا به لأننا قد حولناه من عبادة إلى عادة.. فتفلت منا البدايات فتضيع منا النهايات، والله ﷻ يأبى ذلك ورسوله والمؤمنون.

صححوا البدايات، ولا تستهينوا بأمر الله، وعظّموا شعائر الله في قلوبكم، وتعلموا العلم النافع، واتركوا سفساف الأمور، واهتموا بجلالها، واسألوا فيما يعينكم، واتركوا ما لا يعينكم، وسيروا على الدرب متوجهين إلى الله مخلصين له «إنما الأعمال بالنيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١).

يجب علينا أن نُصحح الموضوع.. وكثير من الناس يتعجب ما بال الموضوع وما بال مشكلاتنا التي نعيش فيها ليل نهار! ونُجيبه بكل بساطة: تصحيح البدايات تصحيح

(١) سبق تحريجه من رواية البخاري ص ١٨٢.



للنهايات؛ فالتفت إلى ذلك المعنى الكريم والنبوي ﷺ يقول: «ابدأ بنفسك ثم بمن يليك»^(١).. «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٢).. «وابدأ بمن تعول»^(٣).

صححوا البدايات..؛ ولذلك نرى السيدة نفيسة رضي الله عنها - وكانت من كبار العلماء المتصدرين - يرجع إليها الشافعي رضي الله عنه - وهو إمام مجتهد متبوع - فلما انتقل الشافعي قالت وهي تمدحه غاية المدح: «رحم الله الشافعي كان يُحسن الضوء»..؛ ظن بعض القاصرين أنها تتعالى بعلمها عليه وحاشاها؛ فهي من العترة الطاهرة.. وهي من العلماء العاملين.. وهي من الأتقياء الأصفياء الذين شهد لها الناس وألقى الله حبها في قلوبهم.. حاشاها أن تتعالى على إمام الأمة ومجتهدها، ولكنها كانت تشير إلى هذا المعنى.. كان رحمه الله تعالى يُحسن الضوء؛ وإذا كان قد يُحسن الضوء فإنه تقبل صلاته فيصح عمله، فيرقى عند الله، فيُقْبَلُ دعاؤه، فيخلص لله، فيقبل إخلاصه..؛ وحينئذ رأينا كيف كان الشافعي بعد مماته نبراساً للأمة، نحتاج إلى علمه إلى يومنا هذا ونُراجعه، وإن رأينا وثقنا فيه وفي علمه.

صححوا البدايات فأحسنوا الضوء؛ فإن إحسان الضوء إنما هو من إحسان العمل، وإذا تعود الإنسان إحسان العمل وعرف معانيه فإنه لن يتهرب من مصنعه.. لن يكذب في تجارته.. لن يتراخى في عمله ووظيفته، والنبوي ﷺ كان يُعلمنا شيئاً يعرفه العالم والجاهل.. الحضري والبدوي، وإذا به ينظم حياته كلها؛ والوضوء أمره سهل يسير كشأن الشريعة كلها، لم يفرضه الله حرجاً على المؤمنين ولا عنتاً عليهم، وإنما فرضه من أجل أن يطهرنا في الظاهر كما أمرنا أن نُظهر أنفسنا بإذنه في الباطن؛ فهناك رضي الله عنه عن الفحشاء والمنكر، وأمرنا بذكر الله وقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٤).

(١) أورده بهذا اللفظ السيوطي في الدرر المنتثرة/ حرف الألف ٣، وقال: رواه النسائي من حديث جابر بن عبد الله وبنفس هذا المعنى عند البخاري ومسلم واشتهر بلفظ ابدأ بنفسك ثم بمن تعول.

(٢) رواه البخاري/ الجمعة - ٨٨٢.

(٣) رواه البخاري/ الزكاة - ١٤٠٧.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.



﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(١) «اغسلوا

وجوهكم» أمر حتم لا بد منه في الوضوء ولا تصح الصلاة إلا بالوضوء ولا يصح الوضوء إلا بغسل الوجه، ولكن فيه إشارة ولطيفة: أن تُقابل الناس بوجهٍ طلق.. بوجهٍ نظيف.. بوجهٍ لا يُخفي حقدًا ولا حسدًا ولا غلاً ولا قصورًا ولا تقصيرًا، والنبي ﷺ في مراقبي العمل الصالح يقول: «وَلَوْ أَنْ تَلَقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(٢) ويقول: «تَبَسُّمِكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(٣) انظر إلى المعاني.. انظر إلى ذلك الشخص الذي إذا ما رُوي ذكر الله.. انظر إلى أنك كون بحالك وقالك وفعلك داعيًا لله أو تُفسد في الأرض بعد ذلك؟!

بداية الصلاة غسل الوجه ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾^(٤) أي: واغسلوا أرجلكم ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾^(٥) وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾^(٦)..

أي: فافهموا.. فافهموا بدايتكم الصحيحة، وصححوا البدايات؛ فالأمر ليس أمر تطهر ظاهري، ولذلك جعل البدل من التراب- الذي هو ضد الماء- أو من الصعيد الطيب- على ما اختلف فيه الفقهاء في تفسيرها لغة- أي: كل ما صعد على الأرض من طيب كما يقول الإمام مالك.. نعم ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٧) تصحيح البدايات في الخلق مع الله إنما يأتي بالرحمة، وأشار النبي ﷺ إلى ذلك فقال:

(١) سورة المائدة، آية: ٦.

(٢) مسلم/ البر والصلة- ٦٦٤٢.

(٣) سبق تخرجه ص ٦٥.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦.

(٥) سورة المائدة، آية: ٦.



«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(١) وتراها في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢) يبدأ بها كل سورة، نعم.. العلاقة التي بيننا وبين الله إن أردنا أن نصححها فبدايتها الرحمة.

صححو البدايات؛ لن نُفْلِحَ ما دُمنا لا يرحم بعضنا بعضا.. لا يرحم الرجل أبناءه وزوجته، ولا يرحم الابن أباه وأمه.. لا يرحم أحدنا جاره ولا زميله ورفيقه وصديقه، إذا لم نرحم لا نرحم «من لا يرحم لا يُرحم»^(٣).

صححو البدايات في العلاقة بينكم وبين أنفسكم؛ وتصحيحها إنما يكون بالكرم والعطاء و«كان النبي ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيْلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ. فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(٤)..

والحب عطاء..؛ ومن تعود أن يعطي فقد تعود على الحب، وإذا تعودت على الحب فمن أحب لا يكره..، ولا يستطيع أن يكره.

الشجرة التي استظل تحتها النبي ﷺ في وادي الأردن وهو ذاهب في رحلته إلى الشام، والتقى عندها ببحيرا الراهب^(٥) - وقيل إنه راهب البُحيرة ولذا سُمي بهذه الأحرف بحيرا- باقية إلى يومنا هذا، لا شجرة سواها في صحراء قاحلة وهي خضراء، وبحساب علماء الطاقة فإن لها طاقة نورانية هائلة..

يستظل بها الناس إلى يومنا هذا!

(١) سبق تخريجه من روايه الترمذي ص ٦٥.

(٢) سورة الفاتحة، آية: ١.

(٣) رواه البخاري/ الأدب- ٥٨٦٠.

(٤) رواه البخاري/ بدء الوحي- ٦.

(٥) رواها من الصحابة أبو موسى الأشعري، ومن التابعين الأجلاء أبو مجلز لاحق بن حميد رحمه الله تعالى، ورد ذلك عنها بإسنادين صحيحين. ورواية أبي موسى الأشعري خرجها الترمذي في سننه وغيره، وحسنه الترمذي وإسناده جيد وقد صححه الحاكم والجزري وقواه العسقلاني والسيوطي وصححه الألباني كما في مجلة التمدن الإسلامي (٢٥/ ١٦٧-١٧٥).



وكان الله شاء لها أن يهدها؛ فلو نظرت إليها لوجدتها على هيئة غريبة كأن بستانني قد فعل فيها فنه وجماله... ولكنه أمر الله ﷻ..



The tree under which prophet Mohammad took shelter (الشجرة التي استقل بها الرسول (ص))

شجرة باقية إلى يومنا هذا...! ما الذي جعلها مورقة؟!!

يقول أهل الله: إن الذي جعلها كذلك أن من جلس تحتها واستظل بظلها محبة مُطلقة، وهو الذي نقول عنه محمد بن عبد الله ﷺ..

محبة مُطلقة..؟! لا يعرف الكراهية، ولا يعرف الحقد، ولا يعرف الحسد، ولا يعرف الكبر، ولم ترد على قلبه تلك المعاني..
محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ..

بأبي أنت وأمي يا سيدي يا رسول الله..؟

فقد خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحاهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحاهم، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله فقال: «هذا سيّد العالمين، هذا رسول رب العالمين. يبعثه الله رحمة للعالمين»...

فقال له أشياخ من قريش: «ما علمك؟» فقال «إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يسق حجر ولا شجر إلا خرّ ساجداً. ولا يسجدان إلا لربي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من



عُضْرُوفٍ كَتِفِهِ مِثْلَ التَّفَاحَةِ».. ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعِيَةِ
الإِبْلِ، فَقَالَ: «أَرْسَلُوا إِلَيْهِ». فَأَقْبَلَ وَعَلِيهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ
سَبَقُوهُ إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فِيءِ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ فَقَالَ:
«انظُرُوا إِلَيَّ فِيءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ»^(١)!..!

لقد من الله عليكم بالانتساب إليه..؛ فهل تُقدِّرون إلى من تتسبون؟ ألا يخجل
أحدنا من نفسه إذا ما راجع حاله على حال النبي ﷺ وهو الذي قد تحمَّل من أجلنا
المشاق.. من أجل أن يبلغ رسالة ربه إلينا.. من أجل أن نعيشه في حياتنا لا من أجل أن
نجعله وراء ظهورنا!

بأبي أنت وأمي والناس أجمعين يا رسول الله.. ما هبت النسائم وناحت على الأيك
الحمام.

صحَّحوا البدايات؛ وبداية الطريق إلى الله أن تُكثروا من ذكر الله، والله قد علَّمنا
الذكر وعلَّمنا كيف نكثر منه، وبداية الخير أن تكثر من الصمت حتى تتفجر الحكمة
وينابيعها من قلبك.. «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا، وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرِبُوا
مِنَهُ، فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ»^(٢).

صححوا البدايات لعلكم تهتدون..

صححوا البدايات في كل شيء؛ في البيع، وفي الشراء، وفي الزواج..

وتصحح البدايات ليس له علاقة بكثرة السؤال، ولا له علاقة بالوسواس، ولا له
علاقة بالتردد والريب والشك..

تصحح البدايات إنما يتم بتصحيح النيات..؛

فصححوا نياتكم..، وادعوا ربكم في هذه الساعة أن ينقلنا من دائرة سخطه إلى

دائرة رضاه ﷻ جل وجهه.

(١) كما رواها الترمذي عن أبي موسى الأشعري: بدء النبوة- المناقب عن رسول الله ﷺ / ٣٧٧٢.

(٢) رواه ابن ماجه/ الزهد- ٤١٩١.

الشر؛ لئلا نقع فيه..!

من أفكار الخطبة ...

- (١) من النور إلى ظلمات بعضها فوق بعض! فأني نخرج من مشكلاتنا.
- (٢) «بئس العبد» تسع مرات!! دعوة لدراسة الشر لاجتنابه، وإحاطة بذوره.
- (٣) الخيلاء أثر التخيل: وهم باطن جرّ لعُجب ظاهر؛ آفة نسيان الكبير المتعال.
- (٤) يعظم التخيل تجبراً، ويتمطى الاعتداد اعتداءً؛ آفة نسيان الجبار الأعلى.
- (٥) ثم اللهو أثر السهو: غفلة تمكنت فجرت اتباع الشهوات؛ آفة نسيان الموت.
- (٦) يقسو القلب ليكون العتو، فيتجاوز الاعتداء طغياناً؛ آفة نسيان الحقيقة.
- (٧) ثوب زور ظاهره دين، والدنيا ملء القلب باطناً؛ نفاقٌ يَحْتَل الدنيا بالدين.
- (٨) يتفنن التأويل - أو التبرير - الباطل، زائغاً يتبع الشبهات تتبع الذئب للصياد.
- (٩) طمعٌ يقوده! بئس العبد وتعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش^(١)!
- (١٠) أفرأيت من اتخذ إلهه هواه فضلاً، وتبع رغباته فذلاً! ولا يذل من واليت... تباركت ربنا وتعاليت..

(١) يأتي قريباً في هذه الخطبة.



الشَّرُّ؛ لئلا تقع فيه ..!

فإن الله يحب ورسوله من الناس أخلاقاً معينة، على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة وعلى مستوى المجتمع وعلى مستوى الأمم، ويكره منه أخلاقاً أخرى مذمومة مدحورة لا يرضى عنها الله ولا رسوله، والمشكلات التي نحيها إنما تأتي من التخلق بالخلق الذميم وترك الخلق القويم، فأحاطتنا هذه المشكلات ﴿أَوْ كَفَلُمْتُ فِي نَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرِنُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^(١) ..

وكل الناس في حاجة إلى نصائح رسول الله ﷺ، وهو يرشد الخلق أجمعين إلى ربهم.. إلى سننه ﷺ في كونه.. إلى الخير والشر لينزيل الغشاوة من على أعين الناس؛ حتى يشاهدوا الحق، والحق اسم من أسائه تعالى، ففياً أخرجه الترمذي وحكم عليه بأنه حديث غريب، وأخرجه البيهقي أيضاً في شعب الإبان، وصححه الحاكم في المستدرک^(٢)، عن أسماء بنت عميس^(٣) رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول - وكأنه يا عباد الله يعلم أصحابه والأمة من ورائهم الخلق القويم، ويدلهم على الخلق الذميم ليجتنبوه، ﷺ - سمعته يقول: «بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَحَيَّلَ وَاخْتَالَ، وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمَتَعَالَ. وَبِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ

(١) سورة النور، آية: ٤٠.

(٢) الترمذي / صفة القيامة - ٢٤٩٦، وقال الحاكم في المستدرک / الرقاق - ٧٩٥٧: هذا حديث ليس في إسناده أحد منسوب إلى نوع من الجرح وإذا كان هكذا فإنه صحيح ولم يخرجاه.

(٣) أسماء بنت عميس السختمية، من بني حننم لها صحبة، وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ. وأمها هند بنت عوف الجرشية. روى لها الأربعة عن النبي ﷺ.

وكانت أولاً تحت جعفر بن أبي طالب، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، ثم قُتِلَ عنها يوم مؤتة، فتزوجها أبو بكر الصديق فمات عنها، ثم تزوجها علي بن أبي طالب. وولدت لجعفر عبد الله بن جعفر، وعون بن جعفر، ومحمد بن جعفر. وولدت لأبي بكر محمد بن أبي بكر في حجة الوداع، وولدت لعلي يحيى بن علي فهم إخوة لأم. تهذيب الكمال - كتاب النساء / ١١٤١٨. باختصار.

وَأَعْتَدِي، وَنَسِي الْجَبَّارَ الْأَعْلَى. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَىٰ وَهَىٰ، وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَىٰ. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَعَىٰ، وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَىٰ. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوَىٰ يَضِلُّهُ. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَعْبٌ يَذُلُّهُ».

«بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ» يتخيل ويختال، يتكبر: يتكبر، أو أنه يتخيل في نفسه غير الحقيقة، ويتصور نفسه شيئاً، وهو عند الله لا يساوي جناح بعوضة إن كان من الكافرين أو المنافقين، ولكنه ثقيل في الميزان إن كان من المؤمنين يتخيل ويختال.. «وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَ» ﷻ.

إذن من آثار العُجب والكبر، ومن آثار فساد الباطن_ أن ينسى الإنسان ربه ﷻ، ونسيان الله ضده الذكر، والذكر كما يكون باللسان يكون بالقلب والجنان، ويكون بالجوارح والأبدان، ويكون بالعقل والفؤاد، ويكون بالروح حيث يطلب العبد من ربه أن يرفع عنها الحجاب حتى ترى الحق حقاً وترى الباطل باطلاً، لكن الإنسان إذا نسي الكبير المتعال فإنه يتكبر في نفسه ويتعالى على الخلق، ويظن نفسه شيئاً.. وأن له حولا وقوة.. وأن له صولا وطولا....

وإذا تكبر دل ذلك على أنه قد نسي الكبير المتعال ﷻ..

اعرف نفسك بالعجز والقهر تعرف ربك بأنه القدير وبأنه القهار وأنت مقهور؛ رسول الله ﷺ يقول: «بِئْسَ الْعَبْدُ» ويكررها في هذا الحديث تسع مرات!!! إنه يجر مرة بعد أخرى، بعد أخرى، بعد أخرى على تلك الصفات التي سنسمعها من رسول الله ﷻ «بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ، وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَ» ﷻ..

الثانية «بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَىٰ وَهَىٰ، وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَىٰ» الإنسان ينسى ربه، وينسى حقائق الكون العليا أنه سوف يموت، والموت قد يأتي فجأة لا يفرق بين شاب وشيخ، ولا بين كبير وصغير، ولا بين غني وفقير، ولا بين طاغٍ وياغٍ، ولا بين مؤمن ومنافق..؛



لكل أجل مستقر ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١).

«بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَغَى، وَنَسِيَ الْمَبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى» انظر إلى هذه المعاني: عتا عن أمر ربه، وطمغى على عباد الله (ونسي المبتدأ والمنتهى) حقائق الكون الكبرى: من أين أنت أيها الإنسان.. وإلى أين تصير..؟ نسي ذلك كله...!

«بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَحْتَلِ الدُّنْيَا بِالدِّينِ. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَحْتَلِ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ^(٢). بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعُ يَقْوَدُهُ. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوَى يُضِلُّهُ. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ» والرُّغْب: الحرص على الحياة الدنيا، وارتكاب الحرام من أجل تحصيلها، وعدم القناعة والرضا بما قد رزق الله ﷻ. ووهب.. طموح في غير محله ولا في حلاله..! «تَعَسَ عَبْدٌ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْحَمِيصَةِ - ثوب فاخر - : إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَبِكَ فَلَا انْتَقَشَ..»^(٣).

هيا بنا إلى عصرنا لنرى تلك الصفات التي ينسى فيها العبد ربه، والتي يحركه طمع وحرص على الحياة الدنيا ويضله عن الحق هوى، والنبي ﷺ يقول: «إِذَا رَأَيْتَ شَحًّا مُطَاعًا، وَهَوَى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ»^(٤) ويقول «لَا تَكُونُوا إِمَعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا

(١) سورة الأعراف، آية: ٣٤

(٢) الحُتْل: تخادع عن غفلة. والمُخَاتَلَة: مَشِي الصَّيَادِ قَلِيلًا قَلِيلًا فِي خُفْيَةٍ لئلا يسمع الصيدُ حَسَّهُ؛ وكُلُّ خَادِعٍ خَاتَلٌ وَخَتُولٌ، وَأَنْ تُخْتَلِ الدُّنْيَا بِالدِّينِ أَي تَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، أَي يَصِيدُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ خَدَاعًا وَاسْتِخْفَاءً كَمَا يَحْتَلِ الدُّقْبُ الصَّيْدَ، وَخَتَلِ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ: أَنْ يَتَّبِعَ الشُّبُهَاتِ تَتَّبِعَ الدُّقْبُ لِلصَّيْدِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ.

(٣) «تعس: هلك. وانتكس» معناه: رجع على عقبيه، وختم له بخاتمة السوء. «وإذا شبك فلا انتقش» معناه: إذا أصابته مصيبة دنيوية مثل الشوكة مثلاً فلا انتقش، معناه: لا أزيلت عنه ولا أخذت عنه بالمنقاش الذي يزال به الشوك.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْحَمِيصَةِ - ثوب فاخر - : إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَبِكَ فَلَا انْتَقَشَ. طَوْبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بَعْنَانَ فَرَسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَبَتْ رَأْسَهُ مَغْبِرَةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُوْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ». البخاري - الجهاد والسير/ (٢٨٢١).

(٤) سبق تحريجه من رواية الترمذي ص ٩٠.



ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظَلَمُوا»^(١) والنبي ﷺ يخاطبك في ذاتك ويقول: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غَنَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»^(٢)، فعلمك أن تبدأ بنفسك، وعن الحسن رضي الله عنه: «إِنْ أَنَا سَأَدْتُ غَرَهُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورَ يَقُولُونَ نَحْنُ نَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ وَلَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لِأَحْسَنُوا الْعَمَلَ» والنبي يخاطبك في ذاتك ﷺ ويجعل التغيير لك ويبدأ من عندك، بأن تغير حياتك مع ربك ويقول: «يُبْصِرُ أَحَدَكُمْ الْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجُدْعَ فِي عَيْنِهِ»^(٣) «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ يَلِيكَ»^(٤).. عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا وَتَزَيِّنُوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخْفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا»^(٥).

إذن التغيير لا يتم إلا ببدء المرء مع نفسه، ولا بد أيها المسلم أن تعلم أن المقياس الذي وضعه رسول الله ﷺ لا يتبدل ولا يتغير، ويُقَاس به الأمم؛ فالأمة التي بغت وطغت على الشعوب، والأمة التي تقتل الأبرياء علناً أمام العالم كل يوم - أمة قد نسيت الله ﷻ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٦) يجب عليك أيها المسلم أن تكون في حزب الله، والمقابل لحزب الله هو حزب الشيطان ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾^(٧) من نفاقه وقلته ديانتته ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخِصَامِ﴾^(٨) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾^(٩) هذا لا يحبه الله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ ويجعل كل هذا ركماً فيركمه في نار جهنم يوم القيامة.

(١) سبق تخريجه من رواية الترمذي ص ٩٠.

(٢) رواه البخاري - الزكاة / ١٤٠٦.

(٣) سبق تخريجه من روايه ابن حبان ص ١٧٥.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٣٢.

(٥) ذكره الترمذي - صفة القيامة / ٢٥٠٨.

(٦) سورة التوبة، آية: ٦٧.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٠٤.

(٨) سورة البقرة، آية: ٢٠٤-٢٠٥.



حقيقة كبرى أن هذه الحياة الدنيا ليست النهاية؛ بل إن هناك يوماً نرجع فيه إلى ربنا فينبئنا بما كنا نعمل، وينبئنا بما كنا فيه نختلف؛ فهو ملك يوم الدين ومالكه، وهو ﷻ جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، والآخرة ليست وهماً بل نتعامل معها على أنها حقيقة؛ لأن الله أخبرنا بها وصدقناه ﷻ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(١) فالأمم التي بغت أذهبها الله وبدّلها، وأتى بقوم يذكرونه ويدافعون عن دينه، وما هذا الذل - والمهانة - الذي أصاب المسلمين في كل مكان إلا لأنهم قد نسوا دينهم، ونسوا أخلاق نبيهم وتكبروا فيما بينهم.. ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَنَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢) ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣) وما هذا الحال بالذي يرضي الله رب العالمين؛ فإنه يذكر المسلمين بتسليط العدو عليهم شيئاً فشيئاً، فإذا تذكروا وعادوا ونصروا الله نصرهم الله، وإذا لم يكن كذلك فإن الله غالب على أمره.. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَنَفِلُونَ﴾^(٥) فإن الله ﷻ سوف يذهب بكم ويأتي بخير منكم ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(٦) أبداً ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا امْتِلَاكًا﴾^(٧).

أيها المسلم.. عد إلى التواضع مع ربك..؛ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين كان يخطب في الناس فيقول: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا». وَجَعَلَ يَزِيدُ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ وَأَدْنَاهَا إِلَى الْأَرْضِ «رَفَعْتُهُ هَكَذَا». وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ

(١) سورة النساء، آية: ٨٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ١٩.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٦.

(٤) سورة الروم، آية: ٦-٧.

(٥) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٦) سورة محمد، آية: ٣٨.



وَرَفَعَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ^(١). تواضع بينك وبين نفسك لله يجعلك صغيراً أمام نفسك كبيراً عنده، وإن تكبرت كنت كبيراً أمام نفسك على غير الحقيقة عند الله!..
تواضع لله وادعُ الله بقلبٍ محبتٍ خاشعٍ قد سجد له، وإذا سجد القلب لله لا يقوم أبداً..؛ فاجعل قلبك يسجد لله؛ فلو وفقت وسجد قلبك لله لا يقوم من سجده أبداً، ويكون الإيمان قد دخل قلبك من غير خروج إلى أن تلقاه، ولا يتأتى هذا إلا بإطاعة النبي ﷺ فيما أمر، والانتهاز عما نهى..؛ طلق الطمع والحرص، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

أيها المسلم.. الطريق سهل والدخول فيه صعب؛ لأنه لا يكون إلا إذا أراد الله..؛ فادع الله أن تكون منهم، وأن يدخلك مدخل صدق، وأن يسجد قلبك حتى...
ترى نور الرحمن يملأ الأكوان. ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٣)
أيها المسلم.. عتت أمم علينا وبغت، وتداعت علينا كما تتداعى الأكلة على قصعة الطعام كما أخبر رسول الله ﷺ، ووصلنا إلى حلقة مفرغة لا ندري بدايتها من نهايتها، فكان كما قال رسول الله ﷺ: «فِتْنَةٌ تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا»^(٤) استجدينا السلاح والدواء من الناس، والسلاح والغذاء والدواء إنما كان بيدنا طوال العمر وعلى مر الدهر، لا بد علينا أن نعمل، كلما أذهب إلى مكان أجد الناس لا يعملون ولا يريدون العمل.. لماذا؟!
من طمَعٍ ومن حرصٍ، ورُغْبٍ مُذِلٍّ، ومن هوىٍ مُضِلٍّ..!
ألم يعد لأحدٍ منّا مشروع يدافع عنه، ويعيش حياته قضيةً!!!
أيها الناس.. لا بد عليكم أن تثوروا على أنفسكم، وأن تُخرجوا أنفسكم من هذه

(١) رواه أحمد مرفوعاً - مسند عمر بن الخطاب / ٣١١.

(٢) سورة ص، من الآية: ٢٦.

(٣) سورة ص، آية: ٣٠.

(٤) من حديث رواه الترمذي - الزهد / ٢٤٤٧، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال: حسن غريب.



الحياة التي تعيشونها، والبرنامج الذي قيدكم لغير وجه الله تعالى..،
اكسروا الحواجز واخرجوا ثائرين على أنفسكم حتى تعمل وتقفى، واتركوا العجز
والكسل؛ والهمل والحزن، والجبن والبخل.. وغلبة الدين وقهر الرجال.. استعيذوا بالله
من ذلك كله؛ فإن نحن عملنا لله ساعة برك الله لنا فيها مئات السنين؛ فإنه جعل ليلةً
واحدةً من عمر المسلم -وهي ليلة القدر- جعلها خير من ألف شهر، ولكن إذا كنت
بطّالاً نائماً في تلك الليلة فما الذي سيكتب لك؟ الأمر موكول بالعمل فلا يستبد بك
اليأس والإحباط..

لَمْ نَفْسِكَ أَوْلَا وَتَخْلُقُ بِالْأَخْلَاقِ السَّلِيمَةِ النَّبَوِيَّةِ ..
واعمل واجعل لنفسك قضية واخرج من هذا الإطار..
وتوكل على الله تجد البركة والنجاح...
ادعوا ربكم.



الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا
محمدًا عبده ورسوله تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.
أيها المسلمون.. طريق واضح وصريح.. اثبت على دينك.. كن واضح الفكر.. احمل
القضية في قلبك يقول رسولك الكريم: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١)..
ويدعو ربه ألا يكون فتنةً للقوم الكافرين، ولا فتنةً للقوم الظالمين، ولا فتنةً للقوم
الفاسقين، ونحن ندعو الله ﷻ في هذه الأيام وقد بغت علينا أمم الأرض وطغت،
واستهانت بدماء المسلمين وتقاتلت ديتها^(٢)،

ندعو الله ﷻ أن يهدي بنا من عادانا وأن يدخلوا إلى الإسلام؛ فإن لم يهدهم

(١) سبق تخريجه من رواية البخاري، آية ص ٢٣.

(٢) حسبها قليلة.



فليشغلهم بأنفسهم.. ويجعل تدبيرهم تدميرا بما قتلوا ودمروا وأفسدوا في الأرض..
اللهم يا ربنا اهدهم إلى طريقك ورسولك، فإن هديتهم فاجعلهم في ميزان حسناتنا
يوم نلقاك بصبرنا على بلائهم وطغيانهم وعتوهم، فإن لم يكن ذلك في مقدورك وقضائك
فانصرنا عليهم يا أرحم الراحمين وبدل حالنا إلى أحسن حال ترضاه..



الملك لله وحدّه

من أفكار الخطبة

- (١) «لا إله إلا الله» كلمة سواء بيننا وبين العالمين: مبناها ومعناها.
- (٢) الخواتيم الثلاثة لسورة البقرة؛ اتلها عقدا ووعياً تنل شرف الدنيا والآخرة.
- (٣) «الملك لله وحده» تُخلي قلبك من السوى، فلا تخش ولا ترجو سواه ﷻ.
- (٤) إن الله ﷻ لا يحاسبك على الخواطر ولكن على ما قر في قلبك.
- (٥) لا تغلق على نفسك ما أراد الله ﷻ أن تفتحه..؛ ولئن فعلت فأنت المحروم.
- (٦) على الدوام.. هو مالك الملك؛ أفترأهن بما ملّكك بإزاء ما أمرك..!
- (٧) ﴿قُلِ أَللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾^(١) أرايتم إلى هذه التركيبة الرائقة للآيات!
- (٨) (الميم واللام والكاف) في لغة العرب تعني القوة مهما كان ترتيب الكلمة.
- (٩) حصّونا بيوتكم وقلوبكم بسورة البقرة، وقوموا بخواتيمها تكفكم.
- (١٠) «الملك لله وحده» كثر ترادفها؛ فهلا وافق القلب اللسان والاعتقاد الكلام.

(١) سورة آل عمران، من الآية: ٢٦.

الملك لله وحده

« لا إله إلا الله » كلمة سواءً بيننا وبين العالمين، ينبهنا الله ﷻ إلى مبنائها ويأمرنا بمعناها، ويكرر علينا المرة تلو الأخرى ويبين لنا أن هذه الكلمة هي حقيقة وجودنا في العالمين.. يقول تعالى:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)..
آية تلخص طريق المسلم في حياته وهو في جميع أوضاعه وأحواله بكلمات سيرات، لما صدرت عن ربنا ﷻ في هذه البلاغة العالية كانت دستوراً للمسلمين ومنهاجاً للعابدين وطريقاً للسالكين وبيانا للمتقين- أن تعلن في نفسك أن الله ﷻ يملك.. يخلق.. يرزق.. يحيي ويميت.. يوجد.. يفني.. ما في السماوات وما في الأرض ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾..

آية بليغة.. ويصوغها ربنا ﷻ بصيغة القصر فيقدم الجار والمجرور؛ لم يقل: «ما في السموات وما في الأرض هو الله»، بل قال: ﴿لِلَّهِ﴾ أي الله فقط؛ عادة العرب أنها إذا قدمت الجار دل ذلك على مزيد الاختصاص؛ فكأنه وبعبارة بليغة قال: ﴿لِلَّهِ﴾ (فقط)، وكلمة (فقط) أتينا بها من هذا الأسلوب البليغ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾، ويعبر ﷻ بلفظة ﴿مَا﴾ لأن كل شيء من إنس وجن وحيوان ونبات وجماد من الأكوان كلها ومن المخلوقات كلها- هي ﴿لِلَّهِ﴾ فلا يكون في ملكه إلا ما أراد ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾، فدخل في ﴿مَا﴾: العقلاء وغير العقلاء والأحياء والأموات، والمتحركون والساكنون، والعالمون والجاهلون..

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.



﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١) جمع السماوات لعظمتها؛ فكل سماء كحلقة في فلاة بالنسبة للسماء التي فوقها إلى سبع سماوات، و«مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ، كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلَقَةِ»^(٢) كما أخبر به رسول الله ﷺ، يعظم لنا شأن السماء التي يعجز الإنسان حينها ينظر إليها ويعلم مكانه من الكون، فهذه الأرض التي نعيش فيها كحبة رمل أو هي أصغر، فيتضاءل الإنسان حينها يعلم أن كل ذلك إنما هو لله؛ وهذه الآية كانت تغني عن إثبات الملك لله؛ لأنها قد جعلت كل ما في السماوات والأرض هو لله، ولكنه قال ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾^(٣) ..

فلم يقول مرة أنه له ﷻ ما في السماوات ويذكر مرة أن له ملك السماوات؟ حتى لا يأتي أحد الجاهلين ويظن أن الظرف - الظرف: أي السموات والأرض، والمظروف: ما فيها - خارج عن ملك الله فهو يقول: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لكن في هذه المرة يجعل السماء كلها بطبقاتها والأرض كلها بأحوالها «وهي الظرف الذي يحيط والذي يشتمل على ما في السموات وما في الأرض» يجعل الظرف أيضًا لله؛ فانظر إلى أن كل كلمة في القرآن لها معنى، وأن هذا المعنى يكمل المعاني الأخرى، وأن بهذا الإكمال يتصور المسلم حق ربه جل وعلا فيخاف، ويعلم كيف يستفيد من تلك المعرفة في الطريق إليه وتعلم الأدب معه ﷻ ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٤) ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مَخْلُوقٌ مَا يَشَاءُ﴾^(٥) ...

في غير ما آية من آيات القرآن على تنوع فيها، وكل آية تدلنا على شيء آخر غير الذي

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٢) من حديث رواه ابن حبان في صحيحه - الاجتهاد في أنواع العبادات / ٣٦٠. عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) سورة المائدة، آية: ١٧.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٨.

(٥) سورة المائدة، آية: ١٧.



دلت عليه الآية الأولى، ويأتي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١)...

ويتساءل مرة أخرى منبها عن طريق واسطته المصطفى ﷺ ابنه العالمين ويحيي قلوب العابدين الذاكرين، ويقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)..؛

فما الذي نستفيده من أن السموات والأرض ملك لله، وأن الأرض ملك لله، وأن ما في السموات وما في الأرض هو الله، وأن ما بينهما ملك لله؟ أن لا تخاف غيره..

أول ما نستفيد أن تخرج السوى من قلبك؛ فلا تلتفت إلا إلى الله؛ لأن له ملك السموات والأرض، ولأن له ما في السموات وما في الأرض.. فما الذي تخاف من دون الله؟ ومن الذي تخافه من دون الله؟... ولم تخاف من دون الله؟

والدرس الثاني: أن لا ترجو إلا الله؛ لأنك إذا أخرجت السوى من قلبك واعتقدت كما كرر الله عليك في الكتاب مرة بعد مرة أن الملك لله - فإنك لا تلتجئ إلا إلى صاحب الملك، فإذا خلقت قلبك من السوى (كل من ما سوى الله) من بشر، من شهوة، من سلطان، فإنك لا تتوجه إلا لمن تجده في قلبك.. ستجد الله في قلبك فتوجه إليه وتخلص له العبادة.

إذن..؟ هو يعلم ما توسوس به نفسك، ويعلم ما يجول في خاطرك، ويعلم ما إذا كنت قد خلقت قلبك عن الأكوان وعبدت الرحمن، أو أنك قد ملأت قلبك بالشيطان واضطرب عليك الحال في كل زمان ومكان..! الله ﷻ يعلم ما في نفسك، ويحاسبك به..

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٠.



لا على الخواطر ولا على ما حدثت به نفسك من الآثام والذنوب فهذا أمر هين
يخبرنا رسول الله ﷺ أن الله قد عفا عنا فيه «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنِّ أُمَّتِي مَا حَدَّثتَ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا
لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»^(١)، ويخبرنا أن «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ. وَمَنْ هَمَّ
بِحَسَنَةٍ فَعَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ.
وَإِنْ عَمَلَهَا، كُتِبَتْ»^(٢).

إنما الذي يحاسبنا به الله هو قرارك بينك وبين نفسك الذي وقر في قلبك: هل تعبد
الله وحده وتثبت له الملك وتخلي قلبك من الاعتماد على السوى أي على ما سوى الله أو
أنك قررت أن تلجأ إلى الناس كما تلجأ إلى رب الناس...!

وإلى أن تعيش في الترهات التي تعيش فيها وتتعلق بكل ناعق ومانع، ويُسد عليك
الحال من كل مكان فتتعلق على نفسك ما أراد الله لك أن تفتحه...!!

فإذا وجدك من هذا النوع الذي أشرك.. عذبتك، وإذا وجدك من ذلك النوع الذي
توكل عليه حق توكله وربط قلبه بالله.. فإنه يغفر لك.. يغفر لك ماذا؟ يغفر لك
خطاياك.. يغفر لك خطيئتك التي تقع في أفعالك يوميًا، ويدعوك إيمانك وتعلق قلبك
بالله بأن ترجع عنها، وأن تفر إلى الله وأن تعود إليه.. «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ فَأَحْذَرُوهُ»^(٣).

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(٤) بالسلام
والعمل ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ باللف والدوران ﴿يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده
حيث شاء لهم الهداية والتوفيق ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده حيث شاء لهم غير ذلك..
فماذا نفعنا؟ وكيف نخرج من ورطتنا في التعلق بالسوى؟

(١) رواه البخاري/ ٤٨٦٤.

(٢) رواه مسلم - الإيمان/ ٢٩٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.



أمرنا: ﴿قُلْ﴾ - وهو موجه إلى الحبيب المصطفى ﷺ وإلى الأمة من بعده - ﴿قُلِ
اللَّهُمَّ مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ
مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾^(١) ..

أي: لا تطلب الخير والملك من غيره ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ..

هذه فيها درس ثالث بعد التولية والتحلية، هو أنك: لا تعتمد على أن ملكك سيدوم، ولا تراهن بملكك بإزاء أحكام الله تعالى؛ من أجل أن تتمسك بملكك أيان كان هذا الملك: ملك سلطان، أو ملك مال، أو ملك قوة أو صحة أو علم... أيان كان.. لا تراهن به، لا تجعله قابلاً للمساومة مع الله ولا مع الخلق، بل اعلم أنه منحة ومحنة؛ منحة أن وفك الله هذا النعيم ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢) ومحنة حيث إنه ابتلاء ينبغي عليك فيه الصبر، وألا يدخل قلبك منه شيء، وأن تجعل الملك لله وحده..؛ تجعل ذلك في قلبك يقيناً لا مرية فيه.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣) ..؛

انظروا إلى الآيات وإلى تكوينها، وإلى ما اشتملت عليه من خطاب النفس البشرية التي تتعلق بالرزق، وتتعلق بالأجل، وتتعلق بالظلمة والنور، وتتعلق بالملك وبالعز وبالذل وبغير ذلك، أرأيتم تركيبة الآيات كيف توجهك إلى الالتجاء إلى الله والتسبيح بحمده ﷻ والاعتقاد فيها؟! ذلك أن الله ﷻ مالك الملك.

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٢٦-٢٧.



هذه الآية ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١) من خواتيم سورة البقرة، وهي من الآيات التي أخبر الجن أنها تحصن البيت من الشيطان، هذه الخواتيم الثلاثة لو تليت بعقيدة وبفهم فقد حزت شرف الدنيا والآخرة، وقد أصبحت بذلك الفهم وبتلك العقيدة عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون، وتم يدك إلى السماء: «يا رب. يا رب» فيستجيب الله لك..

إذا كنت في هذه الحالة العالية فأنت مؤمن قوي؛ وكيف يصمد الشيطان مع المؤمن القوي؟! الشيطان يبحث عن الضعفاء لا عن الأقوياء الذين هم بنور ربهم كالأسد في إيمانهم، في تعاملهم مع الناس، في عقائدهم، في وجودهم كله..

أيها الناس.. تدبروا هذه الآية، وعوا ما فيها من حكم غالية، واعلموا كما حُتمت ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) أن الله على كل شيء قدير،

وتوكلوا على الله.. اثبتوا الله في قلوبكم - وليس على ألسنتكم - أن الملك له، وأن الاختصاص بما في السماوات وما في الأرض وما بينهما ظرفاً ومظروفاً إنما هو له، ولتعلموا أن (الميم واللام والكاف) في لغة العرب تعني القوة مهما كانت الكلمة: (كلم. كمل. لكم. ملك. ملك. مكل).. كل تصاريفها حيثما كانت تعني القوة والشدة^(٣)..؛ فالله هو القوي، والمؤمن القوي يصبح قوياً بقوة الله فلا تتسلط عليه دنيا ولا شهوة ولا شيطان ولا هوى، وهذا هو مراد الله ﷻ من إنزال كتابه على نبيه وتبليغه إلى العالمين ف«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»^(٤)...

ادعوا ربكم.



(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) راجع في ذلك: أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط: سورة البقرة/ ٧٥، وابن فارس - مقاييس اللغة/ كتاب الميم والكاف، والأزهري - تهذيب اللغة/ أبواب الكاف واللام.

(٤) رواه مسلم - القدر/ ٦٧٢٥.



الحمد لله حمد الشاكرين العارفين الواقفين ببابه حتى يفتح علينا ويرضى، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - محمد بن عبد الله - وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحببيه..؛ اللهم صلّ وسلم عليه صلاة تنجيننا بها من جميع الآفات.

أيها المؤمنون.. «الملك لله وحده» كلمة يكثر تراددها، والمطلوب أن يوافق القلب اللسان والاعتقاد الكلام..

المطلوب أن نحولها إلى عقيدة راسخة في قلوبنا نتوخى بها وجه الله تعالى، المطلوب أن نحولها إلى برنامج عمل في حياتنا الدنيا نقضي بها على الفساد وعلى الخوف من المخلوق، وعلى الجبن الذي يجعلنا نترك الواجبات الشرعية التي كلفنا الله بها والتي يمتنعنا.. والذي يمتنعنا ذلك الخوف هو الجبن من أن نقول كلمة الحق، ومن أن نأمر بالمعروف وأن ننهي عن المنكر..

هذا.. ولا ننس ذكر الله والإكثار منه، وقد نسى الناس ذكر الله ﷻ فنسي الله هؤلاء الناس، وإذا نسى الله الناس فذلك ليس عن نسيان كنسيان البشر بل عن تأديب رباني لهم، حتى يعودوا إليه ﷻ: ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).. فاللهم أخرجنا من دائرة النفاق والفسق إلى دائرة الإيمان والطاعة بمنتك وكرمك يا أرحم الراحمين.



(١) سورة التوبة، آية: ٦٧.

الإيمان بالغيب

من أفكار الخطبة ...

- (١) جعل الله ﷻ الإيمان بالغيب أول أركان الإيمان وحقيقته.
- (٢) باهتا تلاعبت به المادية فتاهت معاملة من قلوبنا، واندرست آثاره من حياتنا.
- (٣) الله ﷻ هو حاضر لا يغيب؛ ندعوه ﷻ فيستجيب، والدعاء إيمان بالغيب.
- (٤) فارق بين أن تؤمن بالغيب، وبين أن تعيش في غيبوبة عن الدنيا..!
- (٥) الإيمان بالغيب يدعوك لعبادة الله وعمارة الدنيا، واقفا عند أمره ﷻ ونهيه.
- (٦) إيمانك بالغيب يجعلك فعالاً، لا متكاسلاً عن شأن دنياك وآخرتك معا.
- (٧) كثيرٌ ممن اشتغل بالطب والتداوي ينسى الغيب، وكأنه ضدُّ لما يفعل..!
- (٨) ترك الأسباب جهل والاعتماد عليها شرك؛ فاعزم أمرك وتوكل على الله.
- (٩) ليؤمن أحدكم أن صدقتك حين تخرج من يدك فإنها تقع في يده ﷻ.
- (١٠) الإيمان بالغيب يهز الوجدان ويهيم النفس لاستقبال أوامر الله، ويحصنها كما تحصن الزكاة الأموال وتداوي الصدقات المرضى ويرد الدعاء البلاء.

الإيمان بالغيب



فتاوى وأحكام: حكم المنتحر - الصلاة على الفاسقين - التبرج والحجاب.



فإن الله ﷻ جعل ركن الإيمان وحقيقته - الإيمان بالغيب ﷻ، يقول في صفة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(١) مَنْ هُوَ لاء؟ ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٣) فجعل الإيمان بالغيب ركناً من أركان الإيمان بل جعله حَقِيقَةً.

والإيمان بالغيب الآن وفي عصرنا إيمان باهت، تلاعبت به المادية وتلاعب به كل ناعق ومنافق، والعودة إلى حظيرة الإيمان الصحيح لا بد فيها من البدء بالإيمان بالغيب، حتى سمي العلماء ربنا ﷻ غيب الغيب؛ لأنه لم يطلع على ذاته نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولأنه لا يحيط به أحد من مخلوقاته، ولا يحده حد من أكوانه؛ فكان غيب الغيب لذلك..

والله ﷻ وهو غيب هو حاضر لا يغيب، ونحن به قائمون ندعوه ﷻ،
والدعاء إيمان بالغيب..

والله ﷻ وهو يأمرنا بالإيمان بالغيب لا يأمرنا بالغياب عن الحياة؛ فهناك فارق بين أن نؤمن بالغيب وتتعلق قلوبنا بالرحمن ﷻ وبين أن نغيب عن هذه الحياة الدنيا، يقول ربنا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ؕ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة، آية: ٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢-٣.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٧-٧٨.



انظر إلى هذه المنظومة التي فيها يأمرنا ﷺ بالعبادة من ركوع وسجود، وبفعل الخيرات للناس جميعاً، وبالجهاد فيه وفي سبيله ﷺ سواء أكان جهاد النفس أو جهاد الكفار.

انظر إلى أن الإيمان بالغيب يدعوك إلى عبادة الله وعمارة الدنيا، يدعوك إلى الالتزام بأوامره ﷺ والانتهاز عند نواهيها.

انظر إلى أن الإيمان بالغيب يجعلك فاعلاً وفعالاً، ولا يجعلك كسولاً متكاسلاً، ولا يجعلك غائباً عن الحياة ولا عن الآخرة..

إنك مؤمن تعلم الحق، والحق ثابت، والحقيقة واضحة، ثم إنك تملأ نفسك بكل ذلك وتطيع الله ﷻ بناءً عليه..؛ عقيدتك تدعوك إلى العمل، وعملك لا بد أن يكون عن عقيدة.

من الإيمان بالغيب ما نبهنا رسول الله ﷺ في كيفية ترجمة هذا الإيمان إلى الواقع الذي نعيش فيه؛ وفيما أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان والخطيب في تاريخه وغيرهم من أئمة المسلمين عن جملة من الصحابة الكرام ومن التابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين يرفعونه إلى رسول الله ﷺ يقول: «دَاوُوا مَرَضَاتِكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ»^(١)...

كثيراً من الناس وقد اشتغل بالطب والتداوي ينسى ذلك الغيب، وكأنه ضدُّ ما يفعل وهو ليس كذلك بل هو عين ما يفعل؛ فالنبي ﷺ ينبهنا أنه «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً»^(٢)، ويأمرنا بالتداوي ويقول: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»^(٣) ويقر الرقية التي ينشط الإنسان بعدها من المرض واقعيّاً وليس خيالاً، إحصائياً وكمياً وليس وهمّاً.. واقع نعيشه: نقرأ القرآن ونتداوى به ويُنتج، وهذا لا يدعوننا أن نترك نظام الطب والتداوي، بل يجعلنا نؤمن بالغيب منه وفي خلاله وبه، ونحيطه بذلك الإيمان كما علمنا رسول الله ﷺ وكما علمنا ربنا أن نعمر الدنيا من خلال الإيمان بالغيب، وأن نؤمن أن

(١) سنن البيهقي الكبرى - الجناز / ٦٦٢٥.

(٢) رواه البخاري - الطب / ٥٥٥٠.

(٣) رواه مسلم - السلام / ٥٦٨١.



الصدقة طريق للتداوي الصحيح؛ لأننا لا نعتمد على الأسباب فالاعتماد على الأسباب شرك، نعتمد على الله الذي خلق السبب والمسبب، وخلق الدنيا وما فيها، وإنما أيضاً لا نترك الأسباب فإن ترك الأسباب جهل، والنبى ﷺ لما توكل على ربه وعزم على أن يخرج إلى أحد خالف بين درعيه، وهو الذي قد وعده ربه بالنصرة وبالعصمة من الناس، وبأن أحداً من البشر لا يتسلط عليه...؛

فانظر إلى هذا الفعل: هو يتوكل على الله ويعزم ويقرر أن يخرج لجهاد المشركين ويعلم يقيناً ويؤمن بالغيب بأن أحداً لن يصيبه، ويلبس الدرع ويخالف بينه وبين درع آخر ويتوكل على الله،

انظر إلى قول النبي ﷺ: «لَوْ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْنَاكُمْ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَعْدُو خِمَاصاً، وَتَعُودُ بِطَاناً»^(١) فتغدو وتروح وقد توكلت على ربه.

هذا هو المؤمن.. ومن أجل ذلك فإننا نذكركم بذكرى رسول الله ﷺ أن تعيدوا الزكاة إلى نصابها، لتحصنوا أموالكم من الضياع والهلاك - أي من البوار - الذي يصيب البركة، وينبئكم إلى أن تعودوا إلى الله مرة أخرى، وأن تؤمنوا بالغيب وأن تستحضره في أعمالكم، ومن كان مريضاً أو كان عنده مريضٌ فليصدق بنية زوال هذا المرض.. يجعل بين يدي مناجاته لربه صدقة.. يجعل بينه وبين ربه عملاً صالحاً يدعو به بعد ذلك: «يارب يارب اشف مريضى» - فيشفى بإذن الله...

«وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ»^(٢).. الصدقة بهذا الشأن عندما تفعلها وتمثل وتؤمن بموعد رسول الله ﷺ وأنت تتناول الدواء وتذهب إلى الطبيب فبدلاً من أن تدخل في متاهات مظلمة فإذ بك يوفقك الله ويوفق طبيبك للدواء الصحيح بالجرعة المناسبة في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، ومن وراء ذلك كله ومن غير التفات إلى الأسباب - الله ﷻ يشفيك ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(٣) هو ﷻ.

(١) رواه الترمذي - الزهد / ٢٣٨٢، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذي - الإيمان / ٢٦٨٣، عن أبي ذر رضي عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٨٠.



لا نترك الأسباب..؛ لأن ترك الأسباب ليس من سنة الأنبياء، ولو كان من سنة الأنبياء لتركوها وأمرونا أن نتركها وأرشدونا إلى الخير، ولكنهم لم يفعلوا..، ولا نعتمد عليها؛ لأن في ذلك تضليلاً ميبئاً.. لأننا ننسب الأمر إلى غير أهله وصاحبه ﷺ، والأمر كله بيد الله..؛ فينبغي أن نكون صادقين مع أنفسنا، وأن نكون جادين مع الله ﷻ، وأن نُفَعِّلَ ذلك الغيب في حياتنا الدنيا..

تصدقوا أيها المسلمون.. وليؤمن أحدكم أن صدقته هذه سوف تقع في يد الله ﷻ؛ فإن الله ﷻ سيغير الحال، وأن الله سيشفئ المرضى فاملأوا حجاً إليه وحده؛
 كن مؤمناً بالغيب كما أنك تؤمن بالحس والواقع الذي تشاهده والذي تراه، وإيمانك بالغيب لا يجعلك أبداً منسحباً من ذلك الواقع..! بل جاهد في الله حق جهاده ﴿هُوَ أَجْتَبَنكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(١) فماذا تفعلون؟ ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانَكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾^(٢) ..
 ادعوا ربكم.



الحمد لله..، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.. بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين..؛ صلى الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله.. اللهم جازه عنا خير ما جازيت نبياً عن أمته..

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.



أما بعد...؛ فلقد سئلت في هذا الأسبوع أسئلة شتى يبدو أن الإيمان بالغيب هو

جامع بينها كلها..؛

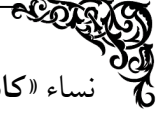
سئلت عن حكم المنتحر.. حيث إن الناس وقد ضلوا في طريقهم وتغيرت مرجعيتهم، ولم يعد الله ورسوله المرجع والمآب لكثير من الناس، بل صار فعل الناس - وإن كانوا فاسقين - هو الحجة..! وهم بذلك في ضلال مبين، والإيمان بالغيب يتيقن أيها المسلم من هذه الترهات.

والانتحار حرام وسيظل حراماً إلى يوم الدين؛ فإنك قد ألقيت - والعياذ بالله تعالى - الهدية التي أهداك الله - ألقيتها في وجهه جل وجه الله؛ فأنت بذلك أيها المنتحر قد ارتكبت كبيرة من الكبائر وعظيمة من العظائم ومصيبة من المصائب - أن تقل من أدبك مع ربك إلى هذا الحد، وتلقى له ما أعطاك إياه قبل أن يأذن - سبحانه وله ملك السماوات والأرض وما بينهما - في أن يأخذه منك؛ فقد ارتكبت قلة أدب وقلة حياء مع الله ﷻ..! تلقي في وجهه هديته..!! لا حول ولا قوة إلا بالله..

وسئلت: أنصلي على الفاسقين؟ نعم.. وما شرعت الصلاة إلا لطلب الرحمة لمن قد ذهب إلى ربه حتى ولو كان منتحراً..؛ فإننا نسأل الله وقد أصبح في ساحته أن يعفو وأن يغفر وأن يتجاوز..

أتعلم هذه الرحمة؟ لو عرفتها في قلبك لاستقام لك كل الدين، أتدري هذه الرحمة تجعلك تحب الناس أجمعين، وترجو لهم من الله الثواب المبين، وتعفو فالله هو العفو، وتتخلق بأخلاق الله ﷻ وتكون صبوراً على الخلق فالله صبور، لو فهمت حكمة الصلاة على الناس ستعرف لم لا نصلي على الشهداء؛ لأنهم لا يحتاجون إلى طلب الرحمة فقد سبقونا إلى الجنة، واستقر مآلهم هناك عند ربهم، وتخلصوا من نكد الحياة وزيتها وشهوتها وأحوالها الكدرة.

وسئلت في هذا الأسبوع عن أقوام يسرون شبه عراة في الشوارع، وأن الحجاب بدأ ينحسر كما بدأ من قبل ذلك في الانتشار؟! واعلموا أن الصادق المصدوق ﷺ أنبأ عن



نساء «كاسيات عاريات على رؤوسهنّ كأسنمة البُحْتِ العجاف»^(١)..

أيها الناس الحجاب فرض بالكتاب والسنة، وجميع بدن المرأة عورة عدا الوجه والكفين، ولها أن تلبس ما تشاء من الثياب ما لم يصف أو يكشف..؛ ووقع الخلاف في تغطية الوجه؛ فإذ بنا قد تركنا كل ذلك وسرنا في الطرقات على هذا الشكل السافر الذي يغضب الله ورسوله والمؤمنين..

وإذا آمن الإنسان بالغيب سهل عليه أن يأتمر بأمر الله وأن ينتهي عن نواهيه، وأن يمثل لسنة سيد المرسلين ﷺ، وأن يتبارى في الخير وينافس فيه بدلاً من أن يسير على حافة الهاوية!! يقول: أصلي الفرائض، ولا أرتكب المحرمات الكبائر، وهو يخالط بعد ذلك ما يخالط مما يعرضه لغضب الله ورسوله!
الإيمان بالغيب أيها المسلم يهز الوجدان..

ويهيئ النفس لاستقبال أوامر الله، ويحصنها كما تحصن الزكاة الأموال وكما تداوي الصدقات المرضى، وكما يرد الدعاء البلاء؛ فإن البلاء إذا نزل فإن الدعاء يقلل من وطأته ويزيل آثاره، وإذا لم ينزل حبسه الدعاء وردّه الله ﷻ وغير حتى ما كتب في اللوح المحفوظ من أجل ذلك..

أي رحمة نحن فيها مع ربنا الرحيم! وأي فضل هذا يشمل العالمين بله المسلمين!
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٢)
فاللهم ياربنا لا تجعل مصيبتنا في ديننا.. ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا..
وافتح علينا فتوح العارفين بك....



(١) بهذا اللفظ من حديث رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو / ٧٠٦٣، وابن حبان في صحيحه - الإخبار عن وصف النساء / ٥٦٥٥. البيهقي: الجلال.
(٢) سورة يونس، آية: ٥٨.

الرَّفْقُ .. الرِّفْقُ

من أفكار الخطبة

- (١) كلماته ﷺ هي حقائق تنقلنا من ضيق الظلمات إلى سعة النور.
- (٢) كل كلمة أرشدنا إليها رسول الله ﷺ كفيلاً بأن تغير حياة الإنسان.
- (٣) «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ».
- (٤) «الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ».
- (٥) الرفق يكون مع النفس الناس والكون، وبكل ذلك أمر رسول الله ﷺ.
- (٦) صلة بين الرفق وبين الحياء؛ فالحي لا يمكن أن يكون عنيفاً قاسي القلب.
- (٧) (جواظ جعظري) ..! كلمات صعبة تستدرك المسألة: ما معناها؟!
- (٨) انظر إلى اختياره ﷺ - وهو أفصح العرب - لهذه الكلمات؛ ليوافق المبنى المعنى، وليوافق نظراً مستمع هذه الألفاظ نظرة النفس منها.
- (٩) ما بال أقوام يُعملون القتل في الناس! وما وجه مكفهره باسم الإسلام؟!
- (١٠) ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١)؛ ولا تجعلنا حجاباً بينك وبين خلقك.

الرفق .. الرفق

جاءنا رسول الله ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق كما أخبر عن نفسه..

جاءنا فحدثنا عن كل شيء يقربنا إلى الله، ونهانا وحذرنا عن كل شيء يبعدنا عن الله، ورسم لنا الطريق الواضح المستنير، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك؛ نسمع هذه الكلمات بأسماعنا ونريد أن تصل إلى قلوبنا؛ لأنها لو وصلت إلى قلوبنا لتغير حالنا إلى أحسن حال، ولأنها لو وصلت إلى قلوبنا بعد أن ألفتها وألفتنا سماعها فإنها ستجعلنا محل نظر الله ﷻ، ومحل رضاه...

هي حقيقة كبرى..؛ وليست كلاماً يرص بعضه بجوار بعض..!

حقيقة جديرة بالتأمل والتفكير والتدبر..؛ لتخرجنا من الظلمات إلى النور.. لتخرجنا من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.. لتخرجنا من غضب الله ﷻ إلى رضاه.. لتخرجنا من دائرة عبادة العباد والتعلق بالأكوان إلى عبادة رب العباد والتعلق بالرحمن..؛ كل كلمة قالها رسول الله ﷺ وهو يرسم لنا طريق الله - الصراط المستقيم - كفيلة بأن تغير حياة الإنسان؛ فمما قاله رسول الله ﷺ - وكل كلامه يدعو إلى حسن الخلق - قال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ. وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(١) «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢) فأمر رسول الله ﷺ زوجته أم المؤمنين، وأمر الأمة من ورائها - بالرفق.

والرفق يكون مع النفس، والرفق يكون مع الناس، والرفق مع الكون، وبكل ذلك أمر رسول الله ﷺ، ولما بَوَّب العلماء العارفون «باب الرفق» بَوَّبوه مع حسن الخلق

(١) رواه مسلم - البر والصلة والآداب / ٦٥٥٣.

(٢) رواه مسلم - البر والصلة والآداب / ٦٥٥٤.



والحياء، وكان هناك صلة بين الرفق وبين الحياء، والنبي ﷺ فيما رُوي عن عمران بن حصين رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»^(١) ورُوي أن النبي ﷺ مر على رجل من الأنصار يعظ أخاه - أو يعاتب أخاه في الحياء -، فقال له: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢) ولا يخفى عليكم قول النبي ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(٣).

النبي ﷺ يعلو بالحياء إلى أن يقول فيما رواه الحاكم وابن أبي شيبة عن ابن عمر: «إن الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر» فصفة المؤمن: الحياء، وصفة الفاجر: الفجور، والإثم: البجاجة فيتبجح بما ليس له وهذا نوع من أنواع العنف، والحياء نوع من أنواع الرقة التي أمر بها رسول الله ﷺ.

الحي لا يمكن أن يكون عنيفاً ولا يمكن أن يكون قاسياً القلب، ورسول الله ﷺ يُعَلِّمُنَا وَيُعَلِّمُنَا أَنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ بَعْضُهَا يَخْدُمُ بَعْضًا، وَبَعْضُهَا يُؤَيِّدُ وَيَسَانِدُ بَعْضًا فَيَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «كُلُّ عُمَّلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ»^(٤) وفي رواية أحمد «كل جَوَاطِ جِعْظَرِي مُسْتَكْبِرٍ»^(٥) وانظر إلى اختيار سيدنا رسول الله ﷺ - وهو أفصح العرب - لهذه الكلمات الصعبة؛ ليوافق المَبْنَى المَعْنَى، وليوافق نَظَرَ مُسْتَمِعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ نَظَرَ النَّفْسِ مِنْهَا.

(جواظ جعظري)..! كلمات صعبة وغير مفهومة لعموم الناس تستدرك المسألة: وما الجواظ؟ وما الجعظري؟ الجواظ: الجَمَاعُ لِلْمَالِ ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾^(٦) لا

(١) مسلم - الأدب / ١٢١.

(٢) صحيح البخاري - الأدب / ٥٩٧٦ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) البخاري - الأنبياء / ٣٤٠٩، عن أبي مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم - الجنة وصفة نعيمها / ٧١٣٦، عن حارثة بن وهب رضي الله عنه.

(٥) أحمد في مسنده عن حارثة بن وهب رضي الله عنه / ١٨٣٧٧.

(٦) سورة الهزلة، آية: ٢.



يريد أن ينفق شيئاً منه في سبيل الله، ولا يريد أن يخرج حتى حق الله فيه من الزكاة، وبذلك يكون عنيقاً مع مجتمعه وناسه؛ فليس العنف مقتصرًا في القوة، وليس العنف مقتصرًا على الهمجية، ولكن العنف قد يكون سلبياً بمنع حق الله ﷻ، فالجواز من يجمع ويمنع؛ يجمع من لطف الله ما شاء الله به عليه، ثم يمنعه أن يصل وأن يدور كما أمرنا الله من ماله أن يكون.

والجعظري: قاسي القلب الذي لا ينتهي إذا ما كلمته بموعظة نظر إليك نظر المعشي عليه من الموت.. إذا ما أردت أن تصل إلى قلبه وتمس شغافه فإنه ينظر إليك باستهزاء وعلو.. إذا ما ذكرته بالموت لا يرق قلبه ولا تهدأ نفسه ولا يخشى من مقابلة الله ﷻ ولا تدمع عيناه!! هذا هو الجعظري، وهذا نوع من أنواع العنف.

لما أن ترقينا في تعليم الناس هذا المعنى، وأن رسول الله ﷺ أمر بالرفق على أعلى مستوياته، ونهى عن الجعظرية حتى ولو كانت بعيدة، وحتى ولو كانت قليلة_ وجدنا طائفة من الناس يقتل بعضهم بعضًا بالسلاح في غير جهادٍ في سبيل الله باسم الإسلام!!!

وجدنا أناسًا وجوهها مكفهرة^(١) لا يشر فيها ولا نور.. باسم الإسلام!

وجدنا أناسًا لا يجب بعضهم بعضًا يقيمون الحواجز بين المسلمين، وبدلاً من امتثال قول النبي ﷺ: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢) كانوا أعداء.. لماذا؟!!

لأنهم لم يفهموا حقيقة أخلاق النبي ﷺ، فأصبح المسلمون بذلك فتنة للكافرين والظالمين.

(١) وجه مكفهر: قليل اللحم غليظ الجلد لا يستحي من شيء، عابس قطوب، صرَبَ لونه إلى العُبرة، متقبض كالح لا يرى فيه أثر بشر ولا فرح. لسان العرب- كفهر.

(٢) رواه البخاري- الأدب/ ٥٩٢٥.



وكان النبي ﷺ يدعو ربه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١)..

أصبحوا فتنَةً للقوم لأنهم لبسوا عليهم أمر الإسلام، فظنوا أن جهاد رسول الله ﷺ لإعلاء كلمة الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى بإذن الله -عدّوه عنفًا..! وسموا ما يفعله الكافرون الثبات..!

والله ﷻ يأبى ذلك ورسوله والمؤمنون.

النبي ﷺ جاهد في سبيل الله.. جاهد بشرف.. جاهد بلطف.. جاهد لغاية ولم يكن عنيفا؛ تصفه الصحابة الكرام بأنهم عندما كانوا يصفحون يده الشريفة كانوا يجدونها أملس من الحرير ﷻ^(٢)، ولكنه كان فارسًا؛ يقولون عنه في حربه: «كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون من أحد أدنى من القوم منه»^(٣).. كان لا يغضب، ونصح أصحابه بألا يغضبوا وقال: «لَا تَغْضَبْ وَلَكِ الْجَنَّةُ»^(٤) ولكنه كان يغضب إذا ما مُست حدود الله ﷻ، «وما انتقم رسولُ الله ﷻ لنفسه إلا أن تُتْهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ اللهُ بها»^(٥)، وإذا ما رأى المعصية أمامه فإنه يغضب بشدة - لا بعنف - لأنه أمر لا يرجع إلى ذاته الشريفة إنما يرجع إلى تبليغ الرسالة وإلى إقامة حدود الله بين البشر.

جاءه أعرابي فأمسكه من ثيابه وخنقه ﷻ حتى كاد الصحابة أن يهوما به يقتلونه - فما زاده الجهل عليه إلا حلما، وما زاده ذلك إلا أمانة..

(١) سورة يونس، آية: ٨٥.

(٢) عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحاً قطُّ - أو عرفاً قطُّ - أطيّب من ريح - أو عرف - النبي ﷺ. رواه البخاري: المناقب - صفة النبي ﷺ / ٣٤٨٥.

(٣) رواه أحمد - مسند الهاشميين من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه / ١٣٦٠.

(٤) رواه هذا اللفظ ابن أبي الدنيا، والطبراني في الكبير والأوسط، عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا. الفتح الكبير / ١٣٥٤٦.

(٥) رواه البخاري: صفة النبي - المناقب / ٣٤٨٤. من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

يروى لنا ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن سلام^(١): إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عِلْمَاتِ النَّبِيِّ سِوَى مَا عَلَّمَهُ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ، حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ؛ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا.. فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لِأَنَّهُ أَخَالَطُهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ...

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحُجْرَاتِ، وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ كَالْبَدْوِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَرِيْبُهُ بَنِي فُلَانٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَكُنْتُ أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا، أَتَاهُمْ الرِّزْقُ رَغَدًا، وَقَدْ أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ وَقَحْطٌ مِنَ الْغَيْثِ، وَأَنَا أَخَشَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يُغِيثُهُمْ بِهِ فَعَلْتُ.

قَالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ، أَرَاهُ عُمَرَ، فَقَالَ: مَا بَقِيَ مِنْهُ سِوَى مَا عَلَّمَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَذَنُوتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: «لَا يَا يَهُودِيُّ وَلَكِنْ أَبِيعْكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا، وَلَا أَسْمِي حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَبَايَعَنِي، فَأَطْلَقْتَ هِمْيَانِي^(٢)، فَأَعْطَيْتُهُ تَمْرَيْنِ..

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجِنَازَةِ، دَنَا مِنْ جِدَارٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ عَلِيٍّ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلَا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - بِمُطَّلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ، وَقَالَ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أَحَازِرُ قُوَّتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ..!

(١) رواه ابن حبان في صحيحه - الصدق والأمر بالمعروف / ٢٨٧.

(٢) تَكَّةٌ أَوْ حَيْطٌ، يَتَمَنَّقُ بِهِ وَيَلْفَهُ حَوْلَ خَصْرِهِ، وَالْمَقْصُودُ: حَلَلْتُ كَيْسَ نَقُودِي.



وَرَسُولُ اللَّهِ يُنْظَرُ إِلَى عُمَرَ فِي سَكُونٍ وَتَوَدَّةٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ، أَدْهَبَ بِهِ يَا عُمَرُ، فَافْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُغِئَتْ».

قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ، فَقَضَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُغِئَتْ. فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا. فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ. قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا قُلْتَ وَتَفْعَلَ بِهِ مَا فَعَلْتَ؟!!

فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ، كُلُّ عِلْمَاتِ النَّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتَهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأَشْهَدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَأَشْهَدُكَ أَنْ شَطْرَ مَالِي -فِيَّ أَكْثَرَهَا مَالًا- صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ! فَقَالَ عُمَرُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَسْعُهُمْ كُلَّهُمْ!!

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظًا أَلْقَيْتَ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١) لكنه كان رحيماً؛ فدخلوا في

دين الله أفواجاً.

إنه يجعل امرأة تحبس هرة مصيرها إلى النار^(٢)، ويجعل امرأة تروي كلباً مصيرها إلى الجنة^(٣).

كان رسول الله ﷺ رفيقاً مع الناس، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ». قُلْتُ: فَلَانَةٌ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ -تَذُكَّرُ مِنْ صَلَاتِهَا-، فَقَالَ: «مَهْ -لفظة زجر- عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «عُدْبَتِ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ رَبَطْتَهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ» رواه البخاري -الأنبياء/ ٣٤٠٧.

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبَيْرٍ. قَدْ أَذْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ. فَتَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا. فَغَفِرَ لَهَا». رواه مسلم - فضل ساقى البهائم / ٥٨١٢.



لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»^(١) وأمرها بترك هذا..؛ فإن الله لا يناله منا نصبنا، إنما يناله منا الإخلاص وهو مردود علينا وإلينا في بركة الدنيا وثواب الآخرة.

رسول الله ﷺ كان رفيقاً بالكون.. رفيقاً بنفسه.. رفيقاً بناسه ومن حوله؛ فليكن هو أسوتك.. فليكن مرشدكم إلى الجنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، وَالنَّبِيَّ رضي الله عنه جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ رضي الله عنه يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ رضي الله عنه وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وَقَمْتَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لَأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ»^(٣).

إذن هذه الأخلاق التي أمرنا الله بها لها علاقة بما وراء هذا المضمون..؛ الملائكة تؤيدك.. الملائكة تبارك في وقتك وفي جسمك وفي صحتك وفي عبادتك وفي سلوكك مع الناس.. الملائكة تأخذ الأمر الرباني فتلقي عليك القبول في الأرض، إن وراء هذا المنظور عالماً غير منظور ينبغي علينا أن نؤمن به..؛ إيماننا بالغيب.. المسألة ليست في كم.. كم هو شتمني وكم شتمته وانتصرت لنفسي..! إنما المسألة في الحقيقة ما الذي يحدث عند الله؟ وما الذي يُرتَّب الله عليه الثواب والبركة في الدنيا والآخرة.

«يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ» - هكذا يستمر رسول الله ﷺ في نصيحة أبي بكر الصديق رضي الله عنه - «يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظَلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُعْضِي عَنْهَا لِلَّهِ رضي الله عنه إِلَّا أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا نَصْرَهُ..» يعني: يتجاوز عن مغضبة الله رب العالمين..، ولم تتغاضى عن هذا

(١) رواه البخاري - التهجد / ١١٣٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) رواه أحمد في مسنده عن أبي بكر رضي الله عنه / ٩٤٩٤، والبيهقي - جماع من تجوز شهادته / ٢١٥٦١.



الظلم ولم يكن هذا التغاضي عن ضعف ولا عن قلة حيلة مع تمنى القلب الانتقام؟! ذلك لله رب العالمين.

«وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا كَثْرَةً» فمن تغاضى عن مظلمة الله رب العالمين لا يزيده الله إلا نصراً «وَمَنْ مَنَعَ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً لَ يَزِيدَهُ اللَّهُ إِلَّا قَلَّةً»^(١).

إذن وراء هذا الرسول شيء ليس بمنظور لنا ينبغي عندما نتخلق بأخلاق الدين.. بأخلاق الإسلام أن نؤمن برب العالمين غاية الإيمان، وأن نثق بما في يده ﷺ أكثر من ثقته بما في أيدينا، وأن نترك هذه الغباوة التي يعيش فيها عموم الإنسان بأن يثق بالمحسوس أكثر من ثقته بربه الذي خلقه..!

هذه أسرار علمنا إياها رسول الله ﷺ.. هذه الأسرار مفقودة لا يعرفها كثير من البشر، ومن كثرة إلفنا لها استهتأ به، ومن كثرة تكرارها على أذهاننا وأسماعنا اعتقدنا أنها دون الحقائق العليا!! إلا أن هذه هي الحقيقة، وإلا أن هذا هو الطريق المستقيم..؛ فجرب - لا تجرب مع الله - جرب نفسك مع الله.. لا تجرب الله فما كان الله ليُمتحن - حاشاه وجل جلاله - إنما جرب نفسك مع الله، وانظر حتى يفتح عليك فتوح العارفين به سبحانه..
وادعوا ربكم.



الحمد لله حمد الشاكرين العارفين بحقه ﷺ.. حمداً دائماً أبداً إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته ومن اتبع هُده، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.
أما بعد..؛

(١) المرجع السابق.

فالحمد لله على نعمة الإسلام.. الحمد لله الذي أرشدنا من غير عناء منا ولا بحثٍ
ولا تفتيش إلى هذه الهدية والهداية الكبرى، وإلى هذه الهدية والهداية العظمى؛ نعمة لو
تأملتها لذهلت ودهشت..! كان الله قادرًا أن يُخرجك من أبوين غير مسلمين، أو ملحدًا
مغضوبًا عليه أو من الضالين؛ فتكَلَّفَ بالبحث في خضم هذا العالم النكد، وهذا الاشتباه
والفتن والشهوات، وليس هناك هداية إلا هداية الله ﷻ..

فالحمد لله رب العالمين على نعمة الإسلام.. واللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا

سيئاتنا...



مفهوم التوبة

من أفكار الخطبة

- (١) السنن الكونية وسريانها في حَمَلَة الكتب الإلهية عبر الزمان.
- (٢) طول الأمد قسوة للقلب تحول بين العبد وبين التوبة.
- (٣) التوبة مفهوم واسع؛ هي نقد ذاتي ومحاسبة ومراجعة.. ورجوع.
- (٤) تغزونا مصطلحات قاصرة.. أحتلالٌ للحقول.. وللعقول أيضا..!؟
- (٥) توابون لا نمل من التوبة؛ وإن الله لا يمل حتى تملوا.
- (٦) ثمارها متاع حسن، وقوة، وفضل يؤتاه كل بحسب استعداده واجتهاده.
- (٧) توبوا جميعا: فتائبٌ وحده لا يكفي حتى يسانده جماعة التائبين.
- (٨) الوعي أصيل في التوبة فنعرف الخطأ والصواب بالرجوع وللوجود.
- (٩) فلنكن أوفياء ولنولّد من الواقع ما يبلغنا طاعته ﷺ؛ فوسيلة الواجب واجبة.
- (١٠) اختزال التوبة في مفهوم فردي بترّ لمراد الله من أوامره وإرشاداته.



مفهوم التوبة

فإن الله ﷻ قد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.. أرسله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور واختارنا أمة للرسالة، وجعلنا خير أمة أخرجنا للناس إن نحن فهمنا عن الله مراده وعن رسول الله ﷺ رسالته، وإن نحن كنا على قدم يرضى فيها الله عنا، حتى نكون هداية للعالمين ولا نكون فتنة للناس..

فهل طال علينا الأمد كما طال على أمم قد سبقت ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١)..

هل طال الأمد على أمة الإسلام فأصبحت تسمع كلام الله ولا تعي أكثره، وأصبحت تتلو سنة رسول الله وبدلاً من أن تنير لها الطريق جاء سوء فهمها يخلط عليها من أمور حياتها، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. شَبْرًا بَشِيرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ. حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرٍ ضَبَّ لَا تَبَعْتُمُوهُمْ» قلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»^(٢)..؛ يعني فمن الأمم من أهل الكتاب مثلنا غيرهم. هم أصحاب كتاب فحرف كثير منهم الكتاب، ونحن أصحاب كتاب وقانا الله تحريفه..

وأول كثير منهم الكتاب، ووقعنا في كثير من تأويل الكتاب..
ونسوا حظاً مما أوتوا، ونسينا حظاً مما أوتينا...

الأمر الذي بيننا وبين العالمين: الوحي، والوحي أرشدنا إلى التوبة، والتوبة عادت كلمة إذا ما سمعها المؤمن اختزل معناها وجعلها خاصة بمعاصٍ خاصة، وجعلها أمراً غيبياً يتعلق باليوم الآخر، والتوبة أعظم من ذلك! تشمل هذا وتزيد عنه جداً، والتوبة

(١) سورة الحديد، آية: ١٦.

(٢) رواه البخاري - الاعتصام بالكتاب والسنة / ٧١٥٦، عن أبي سعيد الخدري.



حالة نقد ذاتي.. حالة من مراجعة النفس.. حالة من الرقابة الإدارية..؛
فإذا ما سمعنا هذه الألفاظ: النقد الذاتي، ومراجعة النفس، ومحاولة الرقابة
والإدارة، ولأنها ألفاظ قد أتتنا من الغير فإننا نفهمها على وجهها؛ حيثما امتلأت مناهج
تعليمنا بها، وإذا سمعنا «التوبة» اختزلنا معناها إلى معنى ضيق هو: الإقلاع عن معاصي
بعينها..! والأمر ليس كذلك؛ يقول رسول الله المصطفى الحبيب والمجتبى المعصوم سيد
الكائنات: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(١) هل كان
يتوب عن معصية يرتكبها؟ أو عن كبيرة يقع فيها؟ حاشاه..

مَنْزَرَةٌ عَن شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ * فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ * وَلَمْ يُبَارِؤُهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
وَكَوْلُهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ * غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ * مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ * ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِي النَّسَمِ
رسول الله..! أي توبة كان يتوب! ﷺ.

نقد ذاتي.. مراجعة.. محاسبة لعمل اليوم: ما الذي قصرنا فيه؟ ما الذي كان في ذمتنا
فلم نفعله لله؟ ما الذي كان ينبغي أن يتم على وجه هو أحسن من ذلك وأجدى؟
التوبة في اللغة: الرجوع؛ تاب إليه أي: رجع إليه، ومنها المراجعة، ومنها المراقبة، ومنها
المحاسبة على حد ما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَرَيُنُوا
لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخْفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا»^(٢).
التوبة لو فهمناها لأدخلناها عنصراً من عناصر الإدارة، وعنصراً أساساً في
الاقتصاد الذي يجري بين الناس، وعنصراً أساساً في الحكم، وعنصراً أساساً في السياسة
خارجياً وداخلياً.

(١) رواه مسلم - الدعوات / ٦١٦٢، عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) سبق تحريجه من رواية الحاكم ص ٧٤.



التوبة معنى عظيم.. منها المعنى الذي نفهمه، ودلالتنا على المعنى الصحيح الواسع الذي أراده الله ليس معناه أن فهمك للتوبة محض خطأ، بل هو عجز وقصور. ما نفهمه من التوبة صحيح إذا ما أذنبت ذنباً «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ»^(١) كما علمنا سيدنا محمد ﷺ إذا فعلت ذلك: أن تقلع عن الذنب، وأن تظهر الندم عليه، وأن تعزم ألا تعود لمثلها أبداً، ثم بعد ذلك إن كان متعلقاً بحقوق العباد أن ترد إلى العباد حقوقهم، وإن كان متعلقاً بالله - والله كريم - فإن الله يسامحك ويغفر لك قطعاً عند كثير من علماء الأمة، وظناً غالباً راجحاً عند آخرين..

إنما هو يتوب عليك، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾^(٢) ويقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: إن تكرار قبول التوبة في الكتاب والسنة يقطع بقبول الله لها.

التوبة تأمرك بأن تقلع وأنت لا تستطيع أن تقلع إلا بإذن الله؛ ولذلك قدم الله الاستغفار عليها، والاستغفار فيه طلب للمغفرة، والمغفرة فيها طلب للمعونة من الله؛ فأنت تطلب من الله المغفرة ثم تتوب.. إذاً فمحاسبتك إنما تكون لله؛ لأن كل فعل المسلم هو لله، ومعيار تقويم هذا الفعل للأعمال بالترك والفعل - إنما هو الله ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ﴾ و(ثم) تأتي للترتيب مع التراخي؛ فالاستغفار: طلب العون والمغفرة من الله والتوفيق منه ﷻ أولاً ﴿ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ﴾ ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ﴾^(٣) ماذا يحدث بعد المحاسبة والمراقبة؟ إنه ﷻ يصحح لكم الحال، ويقرر لكم النظام، ويسير عليكم الأعمال وهذا كله مجموع في قوله: ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ لو تبنا إلى الله ودائماً نكون صرحاء؛ لأننا قد أمرنا بعدم مخادعة الله؛ إنه ﷻ جعل هذه المخادعة من

(١) رواه الترمذي - صفة القيامة / ٢٥٤٧، عن أنس رضي الله عنه أوقال حديث غريب. ورواه الدارمي في الرقائق،

وابن ماجه في التوبة.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٨.

(٣) سورة هود، آية: ٣.



صفات المنافقين ﴿مُخَدِّعُونَ آلَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾^(١)،

فالمخادعة من صفات المنافقين...؛

فلا بد من المصارحة.

الآن يكتبون أنه لا بد من الشفافية؛ يتكلمون بالفاظ لا نعرفها ويفسرونها لنا كما يحلو لهم، فتملاً قلوبنا وتحتل ما أراده الله ورسوله! فاحتلال القوات الأجنبية لأرض المسلمين من قبل...؛ فهذا فيه احتلال للحقول.. وهذا فيه احتلال للعقول!! وكلاهما من الاحتلال الذميم.

التوبة ينتج عنها مراجعة، ولكن مرجعنا هو الله ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتْنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ

مُسَمًّى﴾^(٢).

لما أن فرغنا التوبة من معناها الدنيوي وقصرناها على غيب الآخرة فسر المفسرون ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى مدة حياتكم، فإن أرجعنا لها الجانب الآخر حتى يقتضي حالنا إعجاز القرآن، ويقتضي حالنا عموم لفظه وبقاء أثره - يعطي من غير أن يبلى إلى يوم القيامة - نجد ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فلا بد من المراجعة الدائمة؛ لأن فن المراجعة وسنة الله ﷻ فيه أن يستمر ذلك دائماً، ويرشدنا سيد الخلق ﷺ إلى أن نفعل ذلك كل يوم؛ فالله يصحح علينا أعمالنا ويحفظ علينا نظامنا ويسر لنا أفعالنا إلى أجل مسمى..؛ لا بد بعده - قصر أو طال - من مراجعة أخرى..، ومن توبة ثانية..، من بعد توبة..؛

لا نملّ من التوبة إلى الله.. لا نملّ من مصارحة النفس بالعيوب والقصور.. لا نملّ من الإقلاع بهمة متجددة إلى رب العالمين كل يوم..، ولا ننسى الآخرة، ولا ننسى التوبة من هذه المعاصي التي تؤثر في موقفنا يوم القيامة؛ إنما نضيف إلى فهمنا إضافة جديدة يتسع بها مفهومنا هداية كتاب ربنا حياتنا ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتْنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ

(١) سورة البقرة، آية: ٩.

(٢) سورة هود، آية: ٣.



كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ ﴿١﴾ كل بحسب جده واجتهاده وعمله..؛

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ عيش معها.. تأمل فيها.. اتلها وأنت تسير في الطرقات، وأنت تتأمل في السماء أو في الأرض.. اتلها وأنت وحدك.. تدارسها وأنت مع إخوانك.. وانظر أي كنز معنا بيني الإنسان ويربي نفسه وعقله ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعني: وإن تتولوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ إما في الدنيا وإما في الآخرة؛ لأن ترك نقض الذات ومراجعة النفس والتوبة إلى الله ﷻ يؤدي إلى عذاب كبير قد نكون نعيش في بعضه اليوم ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)...
﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وليس إلى أحد سواه.

واعلموا أن الله ﷻ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.. كم من مرة تفرع سمعك أيها المسلم؟! فعليك أن تحفظها في قلبك، وتحولها إلى يقين يتبعه العمل...

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يصلح الحال إذا ما نفذنا هذا، ويكفي واحد فينا أن يفعل ذلك حتى يتغير المجتمع أو تصحو الأمة ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) إذا أردت أن تكون واحداً من أمة وتريد لهذه الأمة أن تتقدم البشر وأن تقوم برسالتها وأن تكون لها العزة والكرامة فعليك أن تفعل ذلك وأن تأمر غيرك به فواحد لا يكفي من تاب منكم على مستواه بارك الله له في حياته وجعله مفلحاً فيها ولا نرى أثر ذلك في الأمة إلا إذا تحرك جمع منا يتوب إلى الله فينصر الله به الأمة ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

هذه التوبة.. هذه المراجعة الشاملة لقضايا الإنسان في كل مكان وفي كل مجال ينبغي أن تحدث عن وعي وفهم وعن معرفة لما هو الخطأ ولما هو الصواب..،

(١) سورة هود، آية: ٣.

(٢) سورة هود، آية: ٤.

(٣) سورة النور، آية: ٣١.



ونعرف الخطأ والصواب إما من الوحي وإما من الواقع المعاش..؛
 أرادنا الله أقوياء أتقياء أوفياء، فليكن ذلك في الواقع، ونولّد منه (من هذا الواقع) ما
 نستطيع أن ننفذ أمر ربنا ﷺ به؛ فإن مقدمة الواجب واجبة.. ووسيلة الواجب واجبة.
 يقول ربنا ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾^(١) ﴿نَّصُوحًا﴾
 من النصّح، وهناك يقول ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»^(٢).

نفهم نحن ﴿نَّصُوحًا﴾ على أنها توبة صادقة، ولكن لو تعمقنا في «النون والصاد
 والحاء» في «النصح»- وجدنا أن النصّح هذا له أركانه وله شروطه، ومنها أن نكون
 مجتمعاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وعن صواب ووعي وإخلاص.
 هذه خلاصة النصيحة.. فإذا عرفنا ذلك عرفنا أن توبتنا ينبغي أن تتصف بتلك
 الصفات: أن تكون لله، وأن تكون صادقة، وأن تكون فيها همة..، وهذه الهمة إنما هي
 لتغير أحوالنا إلى أحسن حال- كما يريدنا الله ﷻ- في جانبيها: في جانب الشهادة وفي
 جانب الغيب؛ لأنه ﷻ عالم الغيب والشهادة، وبيده الملك والملكوت، وهو رب الدنيا
 والآخرة؛ فالاختزال بتر لمراد الله من أوامره وإرشاداته..! ونحن نأمر أن يعود الأمر إلى
 الأمر الأول، لا أن نهتم بدنيانا ونترك آخرتنا، ولا أن نهتم بآخرتنا ونترك دنيانا، ولكن
 علينا أن نفهم عن الله مرداه كما أراد..؛

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ
 رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) هناك التي في «سورة هود»
 ختمت الآية التالية بـ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤) وهذه التي في «سورة التحريم» انتهت

(١) سورة التحريم، آية: ٨.

(٢) رواه مسلم- الإيمان/ ١٥٩، عن تميم الداري رضي الله عنه.

(٣) سورة التحريم، آية: ٨.

(٤) سورة هود، آية: ٤.



بقوله - عز من قائل - أيضًا: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يشير إليك أن الله ﷻ عندما تلتزم بأوامره التي فهمتها فإنه سيكون ناصرًا لك.. سيقف بجوارك.. سيؤيدك ولو اجتمع أهل الأرض على مراد غير مراد الله - فلن ينفذ إلا مراد الله ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

هذه الدنيا لها قوانينها التي حكمها الله بها وأرشدنا إليها وعلّمنا كيف نتعامل معها، وعلينا أن نتدبر - كما أمرنا - حتى يأتينا القرآن كنوزه، وحتى يفتح الله ﷻ علينا فتوح العارفين به، وحتى تستقر هذه المعاني في أذهاننا وقلوبنا، فنقرأ ما قاله نوح لقومه:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٤﴾﴾^(٢) نوقرك يا ربنا ونسألك الهداية والهدى..
وادعوا ربكم.



الحمد لله حمد الشاكرين له، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين.. سيد المرسلين.. إمام الموحدين يا سيدي يا رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، ونبيه ووصفيه وحببيه..

أما بعد..؛ فإننا ندعوك ربنا بمقاعد العز من عرشك، وبعزك الذي لا يضام، وباسمك الأعظم الذي إذا ما دعيت به أجبت، وإذا ما سئلت به أعطيت أن تتم علينا الخير، وأن ترد علينا قدسنا ثالث الحرمين ومسرى نبيك ومجمع أنبيائك، وأن تنزل في قلوب من قد مكنتهم فينا حب القدس على ما هم عليه من أعمال، وارفع أيدي الأمم عنا.



(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٢) سورة نوح، آية: ١٠-١٣.

حقيقة التوبة

من أفكار الخطبة

- (١) التوبة والإنيابة والإيابة من خصائص المجاهدين في الله حق جهاده.
- (٢) لا تمون نفس الإنسان عليه إلا بقاء الله ﷻ، والنظر إلى وجهه الكريم يُهَوِّن الدنيا وما فيها بمن فيها.
- (٣) كل ما تشتهي قريب والموت دون ذلك أقرب^(١)؛ فليكن رجاؤك وجه الله.
- (٤) يعود المؤمن إلى ربه مطمئنا موقنا بعفوه، فيفر إليه شوقا ويزداد فيه حبا.
- (٥) خرجت الدنيا من القلب ودخل نور الله فتمكنت التوبة وتلاشى العصيان.
- (٦) التوبة عن المعاصي ثم الإنيابة، فالأوبة وهي رجوع تام عما سوى الله ﷻ.
- (٧) التوبة رجوع إلى الفطرة...؛ إلى القلب السليم...؛ فلا تتأخروا.
- (٨) حركوا قلوبكم لله تتحرك لكم الأكوان وتخضع المكونات.
- (٩) إن الله مبتليكم فاصبروا، واذكروا ربكم وكونوا أوثق بما في يده ﷻ مما بأيديكم، واخرجوا من حولكم وقوتكم إلى حوله وقوته.

(١) من كلام الإمام علي بن أبي طالب واشتهرت نسبتها للإمام الشافعي والله أعلم.



حقيقة التوبة

بني الله ﷻ وفي سنة نبيه ﷺ نفسية المجاهدين في سبيله، الذين يمتلكون الدنيا في أيديهم ولا تتعلق قلوبهم إلا بعرش الرحمن.. والتوبة والإنابة والإيابة لله ﷻ -لهي خصيصة من خصائص المجاهدين في سبيل الله.

التوبة من خصائص المجاهدين في سبيله؛ لأنهم يتشفون إلى لقياءه.. لأنهم يتمنون أن يروا ربهم ﷻ.. لأنهم يريدون أن يحشروا في طائفة يصفها ربنا ﷻ فيقول: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾^(١)؛

ولا تهون نفس الإنسان عليه إلا بقاء الله، والنظر إلى وجهه الكريم يهون عليه الدنيا وما فيها بمن فيها، وكيف ألقاه ﷻ وهو معرض عني والعياذ بالله؟! أو وأنا في حالة من حالات سخطه؟! أو على معصية لا يرضاها؟!!

ولذلك يسارع المؤمن إلى التوبة وإلى الإقلاع عن المعصية؛ لأنه مجاهد في سبيل الله.. يريد وجه الله، ويتمنى الموت كل لحظة من أجل أن يلقى ربه.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ لا يعملونها فُجْرًا وَعُدْوَانًا وخروجًا عن شرع الله، بل يفعلونها لضعفهم البشري «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(٢) هم يتوبون من قريب.. بسرعة.. يتنبهون ويُفقهون فيعودون وينيبون لله ﷻ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾^(٣) بأحوال البشر ﴿حَكِيمًا﴾ في توبيتهم ودفعهم إليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

آية بليغة ترسم لنا منهج الحياة.. ترسم لنا كيف يتعامل المؤمن مع ربه.. يعود إليه

(١) سورة القيامة، آية: ٢٢-٢٣.

(٢) سبق تخريجه من رواية الحاكم ص٤٧.

(٣) سورة النساء، آية: ١٧.



﴿ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ بالجزم؛ لم يقل: «عسى الله أن يتوب عليهم»..
«لعل الله أن يتوب عليهم» أبداً.. بل: ﴿ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾.

يعود المؤمن إلى ربه وهو مطمئن.. وهو موقن بأن الله قد عفا عنه.. بأن الله قد قبله،
لا يكون خجلاً من الله.. لا يكون فاراً من الله... بل إنه يحبه ويزداد حباً فيه، ويفر إليه في
سبيله ﷻ.

هذه هي نفسية المجاهد الذي طلق الدنيا من قلبه وتوجّه إلى ربه، من أسس هذه
النفسية - التوبة إلى الله.

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ هناك تكلم عن السوء، وهنا يتكلم
عن السيئات.. تكرار وتنوع في السوء وفي المعصية ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ
كُفَّارٌ ﴾^(١) بالأب يتوبوا حتى إذا حضرهم الموت ﴿ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾
﴿ ذَٰلِكَ تَحْوِفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ لِيُعْبَادُوهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾^(٢) يرينا على التقوى وعلى العودة
إليه ﷻ؛ «يقول الله ﷻ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ،
فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، أَوْ أَغْفِرُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي
ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا. وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً
لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقَيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»^(٣)..

هل هناك فضل أيها المسلم فوق هذا الفضل؟! الجواب: لا.

هل هناك بناءً للشخصية السوية التي تعلم الحق والحقيقة فوق هذا!!! الجواب: لا.

لا إله إلا الله، والله أكبر. الله أكبر كبيراً.

التوبة على ثلاثة أنحاء ولها ثلاثة شروط، شروط التوبة معروفة: أن أندم على

(١) سورة النساء، آية: ١٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٦.

(٣) حديث قدسي رواه مسلم - الذكر والدعاء والتوبة / ٦٧٨٤، عن أبي ذر رضي الله عنه.



الذنب، وأن أقلع عنه، وأن أعزم على ألا أعود إليه ثانية، وإن كان من حقوق العباد رددت الحق إلى العباد.

وللتوبة درجات: منها توبة عن المعاصي والذنوب، ومنها الإنابة، والإنابة أعلى من التوبة؛ حيث يتخلص الإنسان من سوى الله من قلبه.. يفرغ القلب عما سوى الله فيشغله الله ﷻ، ولا يكون في قلب العبد المؤمن إلا الله..؛ فقلب المؤمن لا يبقى خالياً أبداً..؛ إما أن يُشغل بالدنيا، وإما أن يشغل بالله...؛

فتخير أيها المسلم: بِمَ تشغل قلبك!..!

وكلما خرجت الدنيا من قلبك دخل نور الله في قلبك، فصار منورا بنور الإيمان إلى أن تصل إلى الإيمان الكامل الذي ليس بعده شك ولا ريب ولا كفر ولا ارتداد، وتصل بذلك إلى عين اليقين بعد علم اليقين، وإلى حق اليقين بعد عين اليقين، ثم تترقى من الإنابة إلى أن تكون أواباً.. إلى الأوبة وهي: الرجوع التام إلى الله ﷻ ﴿يَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١)... كيف يتأتى هذا؟

يتأتى بإقامة الدين في نفسك ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * مُبَيِّنَ إِلَيْهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٠﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٢)...؛

بنى الله ﷻ فيها منهج حياة مستقيمة فيها العزة في الدنيا وفيها رضوان الله في الآخرة، فتنبه أيها المسلم!.. وتأمل هذه الآيات الثلاث في «سورة الروم»؛ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ لو فعلنا هذا لكانت لنا العزة في الدنيا وكان لنا رضوان الله في الآخرة..
سئل الإمام علي ثمانية أمور: ما واجب وأوجب، وعجيب وأعجب، وصعب

(١) سورة ص، آية: ٣٠.

(٢) سورة الروم، آية: ٣٠-٣٢.



وأصعب، وقريب وأقرب؟ فأجاب بقوله:

فَرَضَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتُوبُوا * لَكِنَّ تَرْكَ الدُّنُوبِ أَوْجَبُ
وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ عَجِيبٌ * وَغَفْلَةُ النَّاسِ فِيهِ أَعْجَبُ
وَالصَّبْرُ فِي النَّائِبَاتِ صَعْبٌ * لَكِنَّ قُوَّةَ الشَّوَابِ أَصْعَبُ
وَكَلُّ مَا يُرْتَجَى قَرِيبٌ * وَالْمَوْتُ مِنْ كُلِّ ذَاكٍ أَقْرَبُ

فتنبه أيها المسلم قبل الفوت والموت أنك ينبغي أن ترجع إلى فطرة الله التي فطر
الناس عليها، وأن توقن وأن تعلم أنه ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدَّيْرُ الْقَيْمُ﴾...؛
وسواه من الأهواء والتيارات ليس بقيم.

تنبهوا!! إن معكم كنزاً قد رضي الله به عنكم من غير حول منكم ولا قوة،
تستطيعون بهذه الكنوز الربانية والمنح الصمدانية والنفحات الإلهية أن تنالوا سعادة
الدارين..؛

فلا تتأخروا عن نيل رضا الله.. وادعوه وأنتم موقنون بالإجابة.



وبعد...؛ أيها المسلمون.. إن الله مبتليكم بكل هذا الذي نحن فيه فاصبروا،
واذكروا ربكم، وثقوا بما في يده أشد مما تثقون بما في أيديكم، واخرجوا من حولكم
وقوتكم إلى حوله وقوته.. أحسنوا يحسن الله لكم.. عودوا إليه وتوبوا إليه حتى يخرجنا
من هذا البلاء.

أيها المسلمون.. لا بد عليكم أن تتوبوا إلى الله.. أن ترجعوا إليه.. أن تنبوا إليه ﴿وَهُوَ
الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١) فليخرج كل
منكم من المظالم، وليرد الحقوق إلى أصحابها، وليلهج في الدنيا وليحدث نفسه بالجهاد في
سبيل الله، وليكن مع الصادقين؛ فإن الله ﷻ ينصر من ينصره ويعز من أعز دينه.

(١) سورة الشورى، آية: ٢٥.



أيها المسلمون.. حرّكوا قلوبكم لله تتحرك لكم الأكوان وتخضع لكم السماوات والأرض.. جربوا أنفسكم لله.. لا تجربوا الله بل أنفسكم حين تلتجئون إليه ﷻ.. لا تئسوا من أنفسكم.. عودوا إلى الله.. واذكروه واستحضروه، وادخلوا في حضرة قدس ذكره ﷻ، ولا يفتر لسانك من ذكر الله، ومن الاستغفار:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٤﴾﴾^(١)!

لا تكونوا كالأمم التي سبقتكم ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٢) ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾^(٣) نسوا الله فجعلهم من الفاسقين.. لا تكونوا كأمم سبقت.. عصت وتجبرت.. جهلت ففقدت الوعي والسعي جميعاً وأشركت بالله رب العالمين.. عودوا إلى الله أيها المؤمنون لعلكم ترحمون.

يا مَنْ تَعَاظَمَ حَتَّى دَقَّ مَعْنَاهُ * وَلَا تَرَدَّدَى رِذَاءَ الْكِبْرِ إِلَاهُ
تَاهُوا بِحُبِّكَ أَقْوَامٌ وَأَنْتَ لَهُمْ * نِعَمَ الْحَبِيبِ وَإِنْ هَامُوا وَإِنْ تَاهُوا
وَلِي حَبِيبٌ عَظِيمٌ لَا أَبُوحُ بِهِ * أَخْشَى فُضِيحَةَ وَجْهِ يَوْمَ الْقَاءِ
أَعَالِطُ الْخَلْقَ طُرًّا فِي حَبِيبِهِ * وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ إِلَّا هُوَ
اذكروا الله.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا أنت..
أنت رب العالمين وأنت ربي.. لا نعرف سواك.. ولا نعبد إلا إياك.



(١) سورة نوح، آية: ١٠-١٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ٦٧.

(٣) سورة الحشر، آية: ١٩.

وَإِيَّاكَ نَسْنِهُنَّ

من أفكار الخطبة ...

- (١) في رمضان تصفد مردة الشياطين.. ثم ها أنت ونفسك..!
- (٢) الاستعانة أمر خطير؛ هي الثقة بالله، والتوكل عليه هي إخلاص الدين لله ﷻ
- (٣) الاستعانة أمر يمثل حقيقة التوحيد والتطبيق العملي للعبادة.
- (٤) الديمومة عليها شديدة ولكنها يسيرة على من وفقه الله ﷻ، وصعبة لكنها سهلة على من تعلق قلبه بعرش الرحمن الواحد الأحد، وبحب رسول الله ﷺ سيرا على قدمه.
- (٥) «ضُيَّادُ»..! جاء رسول الله ﷺ راقيا..! فأسلم هو وقومه.
- (٦) أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هُوْلَاءَ! هات يدك أبايعك على الإسلام.
- (٧) انظر إلى بركة الاستعانة؛ خرجت من فم صادق وقلب نقي معلق بربه ﷻ فكانت سببا في إنقاذ أقوام وهدايتهم.
- (٨) فتحوا البلاد ورحموا العباد وبلغوا دين الله كما أراد، وها نحن بعض ثمار نجاحهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.
- (٩) خذوا عن رسول ﷺ كلمات جمعت خير الدنيا والآخرة، وحررت العقيدة، وخلصت القلوب لله وحده، وأرشدت إلى الخير كله.

وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ

بقيت أيام على رمضان.. على شهر القرآن.. على شهر الله ﷻ، فرض علينا صيامه،
وسن لنا رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون المهديون من بعده - قيامه .
شهر رمضان تَصَفَّدَ فيه الشياطين وتُتْرَك إلى نفسك، والاستعداد لشهر رمضان لا
يكون إلا بالاستعانة برب العالمين ﷻ، وربنا ﷻ علمنا طلب العون منه في الفاتحة التي
نتلوها في كل صلاة ونقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) قدم العبادة على
الاستعانة؛ لأن الاستعانة فيها نوع دعاء ولا بد علينا من أن نقدم العبادة على الطلب؛ فما
كان له ﷻ مقدّم على ما كان منه، فلا بد علينا أن نستجيب لله ﷻ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٢) حتى يستجيب دعاءنا.

والاستعانة هي الثقة بالله ﷻ.. والاستعانة هي التوكل على الله ﷻ.. والاستعانة هي
إفراد الدين وإخلاصه لله ﷻ، فالاستعانة أمر خطير مهم يجب ألا يكون إلا بالله فإنه لا
حول ولا قوة إلا بالله، يقول ربنا ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ
اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) فأمرنا أن نستعين إليه ﷻ بالعبادة.. بالصلاة وهي ذروة الأمر
ورأسه يقول عنها رسول الله ﷺ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ
كَفَرَ»^(٤) والحمد لله أن عبر بالفعل ولم يعبر بالاسم فقال: (كفر) ولم يقل (كافر)؛ فإن كثيرا
من المسلمين يتكاسلون في الصلاة وهم على إسلامهم عصاة يجب عليهم أن يرجعوا إلى
الله، وأن يستعينوا به ﷻ عن طريق الصلاة.
فلنتمسك بالصلاة، والنبى ﷺ يقول: «وَأَسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِّنْ

(١) سورة الفاتحة، آية: ٥ .

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦ .

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٣ .

(٤) رواه الترمذي / الإبان - ٢٦٨٩ . وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب .



الدُّجَّة»^(١) أي في حضور الجماعات بالمشي إليها أطراف النهار، وشيء من الليل، فأمرنا أن نحضر الجماعات في الصلاة، وجعل صلاة الجماعة فوق صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة أو سبع وعشرين درجة، فلا تحرم نفسك أيها المؤمن من حضور جماعات المسلمين والتي فرط فيها كثير من الناس.

أيها المسلمون.. «الصَّلَاة الصَّلَاة وما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»، كانت كلمات هي آخر العهد بلسان رسول الله ﷺ وهو يبلغ عن ربه دينه، قالها في مرض الموت الذي لحق بالرفيق الأعلى بعده، ولقي الله ﷻ وهو يقول: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^(٢) ﷺ.

الصلاة.. الصلاة.. هي التي بقيت لنا في الاستعانة بالله، باعتبارها بابا من أبواب هذه الاستعانة.

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٣) نعم الديمومة عليها شديدة ولكنها يسيرة على الموقِّ الذي وفقه الله ﷻ، صعبة لكنها سهلة على من تعلق قلبه بعرش الرحمن وتعلق قلبه بالله رب العالمين وتعلق قلبه بالواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وتعلق قلبه بحب رسول الله ﷺ وجعله لنفسه أسوة حسنة فسار على نهجه وسار على دربه وطريقه، ومن سار على طريق رسول الله ﷺ نجا.

الاستعانة أمر يمثل حقيقة التوحيد ويمثل التطبيق العملي للعبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٤) والنبي ﷺ كان يكثر من ذكر الاستعانة في كلامه، وكان ذلك سببا في إسلام كثير من الناس، وفي خير أصاب صحابته فخرجوا من المدينة لينشروا النور في العالمين ونجحوا، وها نحن بعض ثمار نجاحهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

(١) من حديث رواه البخاري/ الإيمان- ٣٩.

(٢) البخاري/ المغازي- ٤٣٤١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٤) سورة الفاتحة، آية: ٥.



فتحوا البلاد ورحموا العباد وبلغوا دين الله كما أراد الله وأراد رسول الله ﷺ، ومرت الأيام وزاد الإسلام ودخل في كل بيت مما زوى ربنا الأرض لنبينا^(١) وقال: «وَيْلِقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ»^(٢) فأصبح الإسلام من جاکرتا إلى طنجة ومن غانا إلى فرغانا، والحمد لله رب العالمين الذي صدق رسوله وعده، ولكن هل قد أبقينا على ثمرات الصحابة الكرام فاستعنا بالله في أنفسنا وعلى أنفسنا وعلى الدنيا وعلى أعدائنا، أو أننا رأينا لأنفسنا حولا وقوة؟!!

وحقيقة الاستعانة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، يروي لنا ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ - وَكَانَ مِنْ أَرْدِ شَنْوَاءَ - وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ. فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ! فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ. قَالَ فَلَقِيَهُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ. وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءَ. فَهَلْ لِي أَنْ أَرْقِيكَ؟! ...!

ضماد يعرف أن هناك إله هو الشافي المعافي، ويعرض على سيد الخلق أجمعين أن يطببه حتى تذهب هذه الريح التي يدعيها سفهاء مكة - فهل لي أن أرقيك؟!!

فقال رسول الله ﷺ - وكأنه بأبي هو وأمي يتسم من ظن ضماد الذي جاء مخلصا من قلبه ولكن قد اتبع ما سمع، والنبي ﷺ يحذرنا أن نتبع كل ما نسمع فيقول: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(٣) ويأمرنا بالتوثيق ويقول: «مَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٤) ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ. نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ. وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

(١) «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ. فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا. وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا» رواه مسلم، الفتن وأشراف الساعة: (٧٢٠٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) صحيح ابن حبان/ إخباره عما يكون - ٦٦٤٣. يلقي بجرانه: بشبكته، أي: يعم الأرض.

(٣) سبق تخريجه من رواية مسلم ص ٢٥٥.

(٤) سبق تخريجه من رواية البخاري ص ٢٥٣.



وَرَسُولُهُ. أَمَا بَعْدُ» قَالَ فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هُوَ لَاءٌ! فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ. فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هُوَ لَاءٌ. وَلَقَدْ بَلَغَنَّا نَاعُوسَ الْبَحْرِ^(١). قَالَ فَقَالَ: «هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ» قَالَ فَبَايَعَهُ..

لما سمع أن رسول الله ﷺ يستعين بربه ولم ير من السحرة والكهنة أو الشعراء من يفعل ذلك، وأنه قد تبرأ من حوله وقوته وجعل الضلالة والهداية بيد الله وقدرته ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) لم ينسب لنفسه ولا لغيره مجدا ولا فخرا ولا قوة ولا حولا، جاء للعباد ليخرجهم من الظلمات إلى النور ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة..؛ متوكلا على ربه.

فهم ضماد كلام رسول الله ﷺ فدخل قلبه ومد يده ليبايعه على الإسلام، فبايعه رسول الله ﷺ على الإسلام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَعَلَى قَوْمِكَ» قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي.

فلما انتقل النبي ﷺ إلى المدينة وأقام الدولة ودافع عن الإسلام - شرقا وغربا شمالا وجنوبا- فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ. فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً- والمطهرة إناء يتوضأ فيه.. إناء صغير لا يساوي شيئا- فَقَالَ: «رُدُّوَهَا. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضَمَادٌ»^(٣)!!

فانظر إلى بركة الاستعانة التي خرجت من فم صادق وقلب نقي قد تعلق بربه في

(١) قال شيخنا أبو الحسين: قاعوس البحر بالقاف والعين صحيح بمعنى قاموس كأنه من القعس، وهو تطامن الزهر وتمعقه فيرجع إلى عمق البحر ولجته، هذا آخر كلام القاضي رحمته، قال أبو موسى الأصفهاني وقع في صحيح مسلم (نعوس البحر) بالنون والعين، قال: وفي سائر الروايات (قاموس)، وهو وسطه ولجته، قال: وليست هذه اللفظة موجودة في مسند اسحاق ابن راهوية الذي روي مسلم هذا الحديث عنه، لكنه قرنه بأبي موسى فلعله في رواية أبي موسى. قال وإنما أورد مثل هذه الألفاظ لأن الإنسان قد يتلوها فلا يجدها في شيء من الكتب فيتحير فإذا نظر في كتاب عرف أصلها ومعناها مسلم بشرح النووي: الجمعة- تخفيف الصلاة والخطبة، وراجع أيضاً لسان العرب- نعس.

(٢) سورة القصص/ آية: ٥٦.

(٣) رواه مسلم/ الجمعة- ١٩٨٥.



إنقاذ وفي هداية أقوام إلى يوم الدين، فصلّى الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله.
وعن أبي أمامة قال: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ
دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلُّهُ؟ تَقُولُ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ مِنْهُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ
مُحَمَّدٌ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١)..

فجمع لهم خيري الدنيا والآخرة.. حرر عقيدتهم، وخلّص قلوبهم لله وحده،
وأرشدهم إلى الخير كله. ﷺ.

فاللهم جازه عنا خير ما جازيت نبياً عن أمته.. اللهم يا ربنا نسألك خير ما سألك
منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان
وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الاستعانة.. الاستعانة قبل رمضان حتى إذا ما دخلت متعرضاً لنفحات الله
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢).



(١) عن أبي أمامة رواه الترمذي / الدعوات - ٣٦٥٩. وحسنه.

(٢) سورة الفاتحة، آية: ٥.

الصدق إلى الصدق

من أفكار الخطبة

- (١) لو لم يكن في الصدق إلا الطمأنينة لكفى بها.
- (٢) صحة الصادقين تورث الصدق؛ والبيئة تؤثر في محيطها.
- (٣) هذه أرض سوء: لم يضربوا على يديه فقتل تسعة وتسعين نفسا...! ولما أراد التوبة قوبل بتئيس فأكمل المائة!
- (٤) إذا شاع الكذب وصار ديدن الناس، فأخرج نفسك إلى بيئة الصدق.
- (٥) دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. خذ ما تعرف ودع ما تنكر..؛ كلمات جامعة لا تزال الإنسانية في حاجه إليها ولو امتد الزمان.
- (٦) فلاح الدنيا والآخرة منوط بالخير، ولذلك أمرنا به، ونهينا عن كل شر.
- (٧) تدرب على أعمال الخير حتى تصبح لك سجية وملكة راسخة في النفس.



المدخل إلى الصدق

أيها المؤمنون.. أطل علينا رمضان ولا بد أن نتهياً له حتى لا ندعه يمر علينا كما ودعنا كل عام قبل أن نشيع منه، وقبل أن ننتهز فرصته، وقبل أن نتقل إلى دائرة طاعة الله ﷻ، ولقد تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. أرشدنا كيف نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ﷻ ما بنا.

ومما ترك لنا ما روى النسائي والترمذي وأحمد وابن حبان في صحيحه وغيرهم في مجموع الروايات، عن أبي الحوراء السعدي، قال: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «دَعَا مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طَمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكِذْبَ رَيْبَةٌ»^(١).

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد - عودوا أنفسكم على الصدق حتى إذا ما دخل رمضان وجدكم من الصادقين.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢)؛ فإن الإنسان الذي يجعل نفسه مع الصادقين يتعلم الصدق، «فالرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل»^(٣).

والبيئة المحيطة تؤثر في الإنسان.. في معرفته للمعروف وفي إنكاره للمنكر.. فالصادقون تجد فيهم الصادق.. والكاذبون تجد فيهم الكاذب، والنبى ﷺ فسر لنا تأثير ما حولنا فينا «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا. فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ. فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ. فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ.

(١) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. سنن الترمذي - صفة القيامة / ٢٥٦٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٣) رواه الترمذي - الزهد / ٢٤١٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.



فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا. فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ. وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ. فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ. فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ. فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ. فإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَذْنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ. فَغَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»^(١).

ونحن يجب أن نتوب عن كل صغيرة وكبيرة في حياتنا، فتوب قبل رمضان حتى إذا ما جاء معه خير، وجاءت معه هممة العبادة، وهممة التقوى، وهممة أن نغسل أنفسنا من أدرانها.. حتى إذا مددنا أيدينا إلى السماء: «يا رب..» - استجاب الله لنا، حتى يوحد قلوبنا، حتى يبارك في أعمالنا في قليلها وجليلها، حتى ينظر إلينا نظر الرحمة، حتى ينقلنا من دائرة سخطه إلى دائرة رضاه، حتى يعيننا على أنفسنا، وحتى يصد الناس عنا، حتى يوفقنا إلى العمل الصالح.

قال له: «انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا. فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ. وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ».. إلى آخر الحديث، فأرشدهم إلى أن البيئة المحيطة تؤثر في الإنسان. لماذا لم يضربوا على يديه حتى قتل هذا العدد الكبير ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر؟!

يجب علينا أن نلتفت إلى هذا، فنخرج من الكذب - حتى لو كان من حولنا يكذبون - وأن نلتفت إلى أنفسنا - حتى لو لم يلتفت إلى ذلك من نشأنا في أوساطهم وأصبح الكذب ديدنهم.

لماذا..؟ لأنه.. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢)...

(١) رواه مسلم - التوبة / ٦٩٥٧، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٥.



ولماذا؟.. لأن النبي ﷺ يقول: «لا تَكُونُوا إِمَعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا، وَإِن ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِن وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنِ اسَاءُوا فَلَا تَظْلَمُوا»^(١).

ولماذا؟.. لأن الصدق طمأنينة ولأن الكذب ريبة، ولذلك يجب علينا أن ندع ما يُربينا إلى ما لا يُربينا، يجب علينا أن نكون من الصادقين مع أنفسنا ومع من حولنا، ومع الله - قبل ذلك وبعد ذلك..؛ نفعل هذا أيضًا لله.

يجب أن نكون صادقين... والصدق مَلَكَةٌ..؛ «إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنِ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنِ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا. وَإِنِ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنِ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنِ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٢).
هكذا أرشدنا رسول الله ﷺ.

هيئوا أنفسكم لرمضان، وعودوا أنفسكم أن تحاسبوها قبل أن تحاسبوا، وراجعوا أنفسكم في مسألة الصدق، فكونوا صادقين؛ لأن الصدق هو حكاية الواقع، والواقع من خلق الله فإذا ما صدقت فإنها تكون كما أراد الله، والكذب هو حكاية خلاف الواقع؛ فكأنك تختلق شيئاً لم يخلقه الله وتفترى على الله الكذب وقد نسبته إلى الواقع الموجود..!
«الصدق طمأنينة»..؛ والنبي ﷺ ما ترك لنا خُلُقًا يجعلنا مطمئنين راضين - ننام في الليل من غير ظلم لأحد من عباده ولا إنسان في الأرض - إلا وقد أرشدنا إليه، وما ترك لنا خُلُقًا يحدث قلقًا واضطرابًا في الأرض إلا وقد أبعدها عنه، فكانت شريعة الإسلام - والحمد لله - كاملة تامة إلى يوم الدين...؛
فالحمد لله على نعمة الإسلام الذي أعطانا الله بها عن سائر الملل، وجعل المسلم مطمئنًا سعيدًا، لأنه اتبع رسول الله ﷺ وجعله أسوة حسنة له.

(١) سبق تخريجه من رواية الترمذي ص ٨٨.

(٢) رواه البخاري - الأدب / ٥٩٥٢، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.



﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) فالفلاح في الدنيا وفي الآخرة مناطه

الخير.. فأمرنا بكل خير.. ونهانا عن كل شر.

هذا..؛ فينبغي عليك أن تتدرب عليه قبل رمضان، حتى إذا ما جاء رمضان كان ذلك سجية لك، وكانت أعمال الخير ملكة فيك راسخة في النفس، ف«دع ما يريبك»- وهو الكذب والشر- «إلى ما لا يريبك» وهو الصدق والخير.

كلام جامع لا تزال الإنسانية في حاجة إليه ولو امتد الزمان، وهكذا فيما تركه لنا رسول الله ﷺ من الآيات والمعجزات ما لا يتناهى؛ لأن رسول الله كان قائد النبيين والمرسلين.. كان حبيب رب العالمين.. كان الإنسان الكامل الذي أراده الله ﷺ أن يكون مثلاً للبشرية..؛

إن أردت الصدق فالدخل أن تكون مع الصادقين ف﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢)

إن أردت طريق الله.. فكل الطرق مسدودة، ولم يبق لنا إلا طريق رسول الله ﷺ فهو الخير.. المستند...؛ أكثروا من الصلاة عليه بالليل والنهار.. فاللهم يا ربنا صلّ وسلم عليه بقدر عظمة ذاتك في العالمين في كل وقت وحين إلى يوم الدين صلاة تليق بك منك إليه...
ادعوا ربكم.



(١) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.

أمض ففي طريقك؛ لا تلتفتة..!

من أفكار الخطبة

- (١) كان رسول الله ﷺ يحب جلائل الأخلاق ومكارمها ويكره سفسافها.
- (٢) علمنا رسول الله ﷺ الأدب مع الله.. ومع النفس.. ومع الآخرين.
- (٣) السخرية بالآخرين نوعٌ من الظلم؛ والحوار من مكارم الأخلاق.
- (٤) رد العدوان بمثله ليس عدوانا، وإنما هو من قبيل تسمية الشيء بجزائه.
- (٥) رأينا عبر التاريخ ولا زلنا من يسخرون منا ولا يبالون بمقدساتنا وحرماننا.
- (٦) السخرية من الآخرين في ذواتهم أو أفعالهم أو أفكارهم أو آرائهم فضلا عن ديانتهم... ليست من خلق المؤمن.
- (٧) اللمز والغمز ورمي الكلام والخوض الباطل حيلة العاجز!
- (٨) من سنن المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم: مقاطعة الساكخين واعتزالهم؛ والإعراض عن الجاهلين وتجاوزهم.
- (٩) علموا أبناءكم حب رسول الله وأخلاق رسول الله ﷺ، وكيف يصبرون ويتسع قلبهم للعالمين، وأن يميزوا بين المسائل والقضايا!
- (١٠) قضيتنا هي الدعوة إلى الله؛ فامض في طريقك لا تلتفت؛ فإن ملتفا في طريق الله لا يصل، والحمد لله على نعمة الإسلام.



امض في طريقك لا تلتفت!..!

فإن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١)، وأمرنا ربنا ﷻ بمكارم الأخلاق، وكان رسول الله ﷺ يحب جلائل الأخلاق ومكارمها ويكره سفاسفها ودنيها.. تركنا على المحجة البيضاء.. علمنا الأدب مع الله.. علمنا الأدب مع النفس.. علمنا الأدب مع الآخرين.

والتأمل في كتاب الله ﷻ يرى خُلق المحاورة، وينهى ربنا ﷻ بدرجات كثيرة وفي أنواع شتى عن السخرية بالآخرين، ويجعل السخرية نوعاً من أنواع الظلم ولا يبيحها إلا كما أباح رد العدوان؛ فرد العدوان ليس من العدوان..، وإن سميناه عدواناً فهذا من قبيل تسمية الشيء بجزائه؛ فإن هذا الرد إنما هو كان جزاءً للعدوان الذي اعتدي علينا ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^(٢) وهذه التي نردُّ بها السيئة ليست بسيئة، وإنما كان الأمر على سبيل إيقاف العدوان وصد الطغيان.

نهانا الله ﷻ عنه السخرية بالآخرين، وجعل الله السخرية بالآخرين نوعاً من أنواع الظلم وصفة من صفات المجرمين؛ ولذلك نرى الكاتبين الذين يسخرون من الإسلام وأهله، ومن سنة سيدنا رسول الله ﷺ، ومن آدابه التي أخرج بها الناس من الظلمات إلى النور..! نرى أولئك وقد يكونون من المسلمين الغافلين الفاسقين، وقد يكونون من الكافرين الذين لا يؤمنون لا بإله ولا بوحى ولا بنبي ولا برسول ولا بكتاب.. نرى أولئك عبر التاريخ يسخرون، ونرى المؤمنين الذين التزموا بأخلاق سيد الخلق ﷺ - لا يسخرون.

ربنا ﷻ يعلم المؤمنين عن طريق سيد المرسلين فيقول تعالى:

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ

(١) رواه البيهقي في الكبرى - باب من تجوز شهادته / ٢١٢٤٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الشورى، آية: ٤٠.

فَسَاءَ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ حَظِيرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

نهانا ربنا عن السخرية بالمؤمنين: في ذواتهم.. في أفعالهم.. في أفكارهم.. في آرائهم؛
نهانا ربنا أن يسخر الرجال من الرجال أو النساء، والنساء من النساء أو الرجال، ونبهنا
ربنا ﷺ إلى ذلك، وأمرنا بالتوبة إن وقعنا فيها، كما قال رسول الله ﷺ لسيدنا أبي ذر
رضي الله عنه: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»^(١)؛ يقع الإنسان في ذلك على سبيل العرض، وقد يتمكن
فيه ذلك فيكون مرضاً، وسواء أكان على سبيل العرض أو على سبيل المرض - فإنه يجب
عليه أن يبادر بالتوبة وأن يستغفر ربه، وأن يتأسف ويعتذر لمن سخر منه.

واللمز والغمز ورمي الكلام بالسخرية من المؤمنين، ثم من الأحكام الشرعية، ثم
من سيد المرسلين ﷺ ﴿إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ سَجَّعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٢)....

أمرنا ربنا بإزاء أولئك أن نتركهم جانباً، وأن نستمر في طريقنا، ويكون هدفنا هو
الله، وأن يكون الله هو مقصودنا، وأن يكون الله ﷻ هو غايتنا، وأن يكون الله ﷻ لا نعلم
رباً سواه ولا نعبد إلا إياه.. فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين.
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطابٌ للمؤمنين.. خطابٌ لمن صدق بالله ورسوله، ولكنه
غفل عن نفسه فسخر من أخيه؛ فحيثُ يجب عليه أن يبادر بالتوبة، فإن لم يفعل فقد
ارتضى لنفسه أن يكون في دائرة الظالمين، و«الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

(١) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٢) عن المعرور قال: لَقِيْتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ
رَجُلًا فَعَبَّرْتُهُ بِأَمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَبَّرْتَهُ بِأَمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ. إِخْوَانُكُمْ حَوْلَكُمْ -
خَدَمَكُمْ -، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ. فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا
تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ». رواه البخاري - الإبان / ٣٠.

(٣) سورة الحجر، آية: ٩٥-٩٦.

(٤) سبق تحريجه من رواية البخاري ص ١٩٣.



وربنا ﷻ يتكلم عن هؤلاء الأفراد الذين يسخرون من المؤمنين حتى في مجتمعات الإسلام، فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ - إذن هناك أفراد من المجرمين وأفراد من المؤمنين- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٨﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٤٠﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٤١﴾ عَلَىٰ الْأَرَابِكِ يُنظُرُونَ ﴿٤٢﴾ هَلْ نُؤِثُّبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

ولكن في بيئة وفي زمن يسخر الملاء.. أهل القرار.. النخبة.. يسخرون من المؤمنين..! يضرب الله لنا الأمثال ويقص علينا القصص..!

وفي قصة نوح يقول ربنا ﷻ: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(٢).

رد للعدوان ورفع للطغيان ومحاولة للإسكات، لكنه ليس من شأن المؤمن أن يبدأ بالسخرية وأن يفعلها..! إذن هناك سخرية من الملاء:

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(٣) فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ تخزيه ويحلُّ عليه عذابٌ مُّقِيمٌ^(٤) رد عليهم نوح، لكن بأدبٍ راقٍ لا يقصد السخرية منهم في نفسه، ولكن يقصد أن ينصر قضية الله ﷻ.

إذن.. فهذا ديدنهم من قديم؛ لم يكن في عصر نوح فقط، ولا في عصر النبي فقط، ولا الآن فقط...؛ هذا عنوان..

عنوان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾^(٤)..

(١) سورة المطففين، آية: ٢٩-٣٦.

(٢) سورة هود، آية: ٣٨.

(٣) سورة هود، آية: ٣٨-٣٩.

(٤) سورة المطففين، آية: ٢٩.



عنوان: الضحك والسخرية والاستهزاء..

عنوان: العلاقة بين أولئك الذين يدعون أنفسهم من النخبة فيسخرون من سنة رسول الله ﷺ بكثير من الدعاوي ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).. ماذا يعلم أكثر الناس؟ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٢).

السخرية ليست من خلق المؤمن.. ماذا نفعل؟

فعل المرسلون من قبل بإزاء أولئك: المقاطعة، إذا عرفت من أحدهم هذا وعرفت أنه تحول من عرض إلى مرض إذا كان مؤمناً، أو من حد المودة إلى حد الإجرام إن كان غير مؤمن، أو من حد المفاصلة والعدوان إن كان من الملائم - فعليك أن تقاطعه.. لا تقرأ له.. لا تشتري الجريدة التي يكتب فيها.. اجعلها بضاعة كاسدة.. لا تسمع لكلامه...؛ لأن كلامه من اللغو.

هذه المقاطعة - ولأنهم لا يريدون إلا الدنيا- هي أشد عليهم من كل شيء، هم يريدون الشهرة.. هم يريدون الصدارة.. ليست عندهم قضية يدافعون عليها؛ ولذلك فعلموا أنفسهم هذه المقاطعة..

الاختيار.. نحن نعيش معهم في مجتمع واحد؛ فلنختر ما نشاء، وليفعلوا ما يشاءون ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣)، وحينئذ فلا تقعد معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وحينئذ فقاطعهم واعتزلهم؛ فإنك إن فعلت ذلك كنت حامياً لنفسك.. قاتلاً لغرورهم.. مريباً لهم.. معرضاً عنهم.. مبلغاً رسالة ولو على سبيل الترك والسلب.... اقصد في مشيك.. وليكن الله ﷻ مقصودك..

وسر في طريقك...؛ لا تلتفت...! مقصودك أمامك!..

(١) سورة يوسف، آية: ٢١.

(٢) سورة الروم، آية: ٧.

(٣) سورة الكهف، آية: ٢٩.



علموا أبناءكم حب رسول الله وأخلاق رسول الله ﷺ..
علموا أبناءكم كيف يصبرون وكيف يتسع قلبهم للعالمين،
وكيف يُميزون بين المسائل، وبين القضايا...!
وأن قضيتنا هي الدعوة إلى الله..
سر على بركة الله ولا تلتفت؛ فإن ملتفتاً في طريق الله لا يصل!
ادعوا ربكم.



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده،
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحببيه بلّغ الرسالة وأدى الأمانة
ونصح للأمة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين...؛

فاللهم يا ربنا لا تجعلنا مع القوم المجرمين، ولا تجعلنا نضحك كما ضحكوا ﴿إِنَّ
الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾^(١)..
اللهم اجعلنا ممن يضحك يوم القيامة في جنتك يا أرحم الراحمين ونحن على
الأرائك.. ننظر..

حين يُجزون ويثوبون ما كانوا يفعلون.
والحمد لله على نعمة الإسلام.



(١) سورة المطففين، آية: ٢٩.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢١٥	• تحلية القلب بالصحيح	١٣	• عباد الرحمن
٢٢٣	• التربية على التضحية	٢٥	• مَنْ صَلَّى اللَّيْلَ لَا يَفُوتُهُ الْفَجْرُ!
٢٣١	• الإنسان قبل النبيان	٣٥	• حين ينقلب الهرم!
٢٣٧	• إهلاك الكذب	٤٥	• يا سَعْدُ! أَطْبِ مَطْعَمَكَ
٢٤٣	• كلمات ربانية في الإصلاح	٤٩	• ثق بالله ولا تخف
٢٤٩	• لا يفتنكم الشيطان	٥٩	• أوصيك بتقوى الله.. وأفتيك!
٢٥٧	• عن الله ورسوله خذوا مناهجكم!	٦٧	• المعصية الآدمية والمعصية الإبلسية
٢٦٥	• ثقافة الهدوء وثقافة الضجيج	٧٥	• منبهات ربانية
٢٧١	• النظافة وطهارة الباطن	٨٣	• التربية من جديد
٢٧٩	• الكلم الطيب والعمل الصالح	٩١	• المسجد مؤسسة التقوى
٢٨٥	• مع أرجى آية في القرآن	٩٩	• الخشوع مدخل الطريق إلى الله
٢٩٣	• ميزان الخوف والرجاء	١٠٧	• التكليفات ثلاثة
٢٩٩	• أحبوا الحياة.. ولا تهنؤا!	١١٥	• خير تربية لخير جيل
٣٠٥	• احذروا نزول العذاب	١٢٣	• أسس الربانية في سورة الصف
٣١١	• تصحيح البدايات تصحيح للنهايات ..	١٣٣	• هذا الميراث ونحن ورثته!
٣١٩	• الشَّرُّ؛ لئلا تقع فيه!	١٤١	• إنما ينقصنا الهمة
٣٢٩	• المُلْكُ لله وحده	١٤٩	• خطوات الطريق إلى الله
٣٣٩	• الإيمان بالغيب	١٥٧	• روح الشريعة الأدب
٣٤٧	• الرَّفْقُ.. الرَّفْقُ	١٦٥	• الدين المعاملة
٣٥٩	• مفهوم التوبة	١٧٣	• مسئولية الكلمة وكلمة المسئولية
٣٦٩	• حقيقة التوبة	١٧٩	• الكلمة أمانة.. أو خيانة
٣٧٧	• وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	١٨٥	• تحلية القلب من القبيح
٣٨٥	• المدخل إلى الصدق	١٩١	• الخروج عن الظلم
٣٩٣	• امض في طريقك؛ لا تلتفت!	١٩٩	• الظُّلْمُ ظُلْمَاتٌ
٣٩٩	• فهرس المحتويات	٢٠٧	• نتصافى ولا نتجافى

من إصدارتنا

كتب:

د. علي جمعة:

- * الكامن في الحضارة الإسلامية.
- * تسير النهج في شرح مناسك الحج.
- * خطب الجمعة (سلسلة الوحي والقرآن).
- * خطب الجمعة (سلسلة النبي ﷺ).
- * الطريق إلى الله.
- * كتيب الإفتاء.

المستشار/ مصطفى سعفان:

- * الورقات في الإصلاح.

اسطوانات:

- * سلسلة الحكم العطائية.
- * سلسلة إحياء علوم الدين.
- * سلسلة الخطب.
- * محاضرة الإفتاء بين الفقه والواقع.
- * نفحات رمضانية (CD).
- * سلسلة محاضرات منازل السائرين.

كاسيت:

- * سلسلة محاضرات منازل السائرين. (8 شرائط).
- * خطب:
- ١- غارات تبشيرية.
- ٢- جاءت اللحنة وذهبت.
- ٣- قرآن الحق وفرقان الباطل.
- ٤- إنا كفييناك المستهزئين.
- ٥- ماذا بعد رمضان.

محاضرات:

- ١- الكامن في الحضارة الإسلامية.
- ٢- الإفتاء بين الفقه والواقع.